

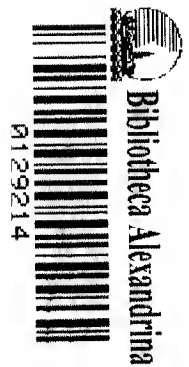
نقد الرؤية الإسرائيلية للسلام شالوم / السلام

أسس مشتركة للحوار بين اليهود والمسلمين
بالولايات المتحدة الأمريكية

ترجمة
محمد عبد العظيم علي
تخليق
أحمد علي الكردي
تقديم

فتحي محمد حجازي
عضو لجان الحوار الديني بنيويورك

SHALOM / SALAAM :
A Resource for
Jewish - Muslim
Dialogue



SHALOM / SALAAM
A Resource For Jewish - Muslim Dialogue

شالوم / السلام
أسس مشتركة للحوار بين اليهود والمسلمين
بالاتالات المتحدة الأمريكية

تأليف

Gary M. Bretton - Granatoor الحاام / جارى م. برىتون جرانتور

&

Andrea L. Weiss

و

الحاام / أندريا ل. ويس

تعليق

احمد على الكردى

ترجمة

محمد عبد العظيم على

الهيئة العامة لمكتبة الأسكندرية



دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع

٢ شارع منشا محرم بك - الأسكندرية ت / ١٩١٤

فاكس : ٥٩٥١٦٩٥

بسم الله الرحمن الرحيم

* ﴿إن هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون، وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين، إن ربك يقضى بينهم بحكمه وهو العزيز العليم، فتوكل على الله إنك على الحق المبين﴾ .
(سورة النمل ٧٦ - ٧٩)

* ﴿ليس بأمانيتكم (أيها المسلمون) ولا أمانيت أهل الكتاب (أيها اليهود والنصارى) من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً، ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً، ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفاً واتخذ الله ابراهيم خليلاً، والله ما فى السموات وما فى الأرض وكان الله بكل شئ محيطاً﴾ .
(سورة النساء ١٢٣ - ١٢٦)

* ﴿لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيداً﴾
(سورة النساء ١٦٦)

طبعة أولى عام ١٩٩٥

تم ترجمة هذا الكتاب بتصريح كتابى من "HAHC"

Union Of American Hebrew Congregation, New York

التي اصدرت الكتاب باللغة الانجليزية عام ١٩٩٣ وطبعته بمطابعها

وحقوق الطبع لهذه الترجمة محفوظة لدار الدعوة للطباعة والنشر والتوزيع
بالإسكندرية.

ويمكن لمن يرغب فى الاطلاع على الكتاب الاصلى وفتح حوار مع المؤسسات غير الاسلامية الاتصال
بهذه الجمعية وعنوانها موضح بهذا الكتاب.

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

يسعدنى تقديم كتاب شالوم / السلام: اسس مشتركة للحوار بين اليهود والمسلمين بالولايات المتحدة، وهو ثمرة جهود مكثفة من عدد كبير من الشخصيات الهامة بالولايات المتحدة الامريكية يهود ونصارى ومسلمين فضلاً عن جهود اخرى بجمهورية مصر العربية لإخراجه إلى قراء العربية.

ففى ظل الصحوة الاسلامية، ومحاولة توطيد العلاقات بين المسلمين وغير المسلمين، وتشجيعهم على الانفتاح فى التعامل بين بعضهم البعض، ومن أجل إيجاد سلام عادل بينهم لسعادة شعوبهم بإحلال السلام بدلاً من الحرب. ومن أجل تصويب بعض الأخطاء الشائعة فى مفهوم العهد - عهد الله إلى ابراهيم (أبى الانبياء) الذى توارثه اليهود - وحرصاً منى على توضيح قضية العهد لأهميتها بعرض المفاهيم القرآنية عنها، خاصة وان الاسلام لم يبدأ من عهد محمد عليه الصلاة والسلام، وإنما هو دين الله على لسان جميع أنبيائه ابتداء من آدم - أبى البشر - حتى محمد خاتم الانبياء والمرسلين لكافة الناس اجمعين مروراً بابراهيم - خليل الله - وموسى - كلم الله - وعيسى - كلمة الله وروح منه .

فقد وجدت من المناسب بعد الاطلاع على هذا الكتاب: السلام / شالوم باللغة الانجليزية، ان انتهاز هذه الفرصة لنقله بالعربية إلى من يهمهم الأمر من المفكرين والدعاة من المسلمين وغيرهم. وان توضح هذه النقاط لجميع الناس بأن إلهنا إله واحد، وان الاسلام الذى ادين به ويدين به ملايين من البشر قاعدته السماحة والسلام مع الآخرين، وما يخالف ذلك فهو ليس من الاسلام فى شئ.

وان الاسلام عقائده ومفاهيمه إلهية، تدعو إلى الرقى الانسانى والمحبة والمساواة بين البشر، ولا تقبل تقاتلهم بسبب خلافاتهم وانما تشجعهم على الحوار والتفاهم. وادعو الله أن يهتم كل من يعمل من أجل نشر السلام فى هذه الأرض أن يكون جدالهم بالتي هي أحسن، وان يحاولوا اصلاح كتب تراثهم حتى يتعاون الجميع لوضع اسس السلام والمحبة فى الأرض وبين البشر جميعاً.

ويتلخص هدفى فى محاولتى واتصالاتى للحصول على موافقة الناشر الأمريكى على ترجمة هذا الكتاب بعد أن عشت عمرى من الطفولة حتى اليوم أى أكثر من ستين سنة - حيث كان قدرى أن اعيش بين اخوة من البشر من مختلف الجنسيات والديانات، امتازت كلها بالعلاقات الطيبة والمحبة والتفاهم والاحترام، فقررت مواصلة هذا العمل من أجل اقامة جسور للتفاهم وقواعد للسلام واسس لبناء المحبة والمودة بين الناس على اختلاف عقائدهم وجنسياتهم.

فمحبة الله وعبادته تتجلى أيضاً فى محبة عبادته ومخلوقاته ودعوتهم والعمل معهم دائماً من اجل العيش فى سلام على هذه الأرض حتى تقوم الساعة.
والله ولى التوفيق

فتحى محمد حجازى

ملاحظة:

المرجو ممن يهمهم الامر ارسال
ملاحظاتهم وتعليقاتهم للاستفادة بها
مستقبلاً على عنوان الناشر

إضافات هامة قبل عرض ترجمة الكتاب

صفحة

- ٦ ١. الاسلام يدعو إلى الحوار ويرحب بالمتحاورين ولكن..
احمد على الكردي (المعلق)
 - ١١ ٢. طبيعة الاسلام وموقفه من الأديان الأخرى.. كمدخل للحوار
محمد عبد العظيم علي (المترجم)
 - ٣٠ ٣. رأى الدكتور مراد هوفمان في الحوار
 - ٣٢ ٤. كلمة الاستاذ احمد بهجت بشأن مؤتمر موسكو عام ١٩٩٥
 - ٣٤ ٥. كلمة الازهر الشريف في مؤتمر الأديان العالمي بباريس
-

الاسلام يدعو إلى الحوار ويرحب بالمتحاورين ولكن..

بقلم/ احمد على الكردى (المعلق)

لا يرفض الاسلام الحوار.. بل يدعو إليه. لأن كل شئ عنده واضح غير مستتر. إذ ليس فيه أسرار يختص بها رجال الدين.. بل لقد أسقط من حسابه نظام الكهنوت وما يسمى برجال الدين، وجعل الأمر فى الايمان يقوم على علاقة العبد بربه. فلا بد إذن من الحوار حتى يقتنع الإنسان بما أوحى الله به، وبالمبادئ التى جاء بها هذا الدين.

ولأن الإسلام يقوم على مبدأ "الإقناع والافتتاح"، فلا مجال للإكراه فيه ﴿لإكراه فى الدين، قد تبين الرشد من الغي﴾ (البقرة ٢٥٦). لذلك كان الحوار هو أسلوبه فى الدعوة إليه منذ أيامه الأولى.

قد يحاور المشركين فى مكة، كما يحاور أهل الكتاب فى المدينة..

ففى مكة يقول للمشركين ﴿قل تعالوا أتى ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً. ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم. ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن. ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق. ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون. ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده. وأوفوا الكيل والميزان بالقسط. لا تكلف نفساً إلا وسعها. وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى. وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون. وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾ (الأنعام ١٥١-١٥٣). ويفند قولهم وادعاءاتهم بعد ذلك بقوله تعالى ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون. أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين. أو تقولوا لو أننا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم. فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة. فمن أظلم

ممن كَذَّبَ بآيات الله وصدف عنها. سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون ﴿ (الأنعام ١٥٥-١٥٧).

وما أجمل هذا النقاش الرائع الذي تقدمه لنا سورة النمل بقوله تعالى ﴿ قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آله خير أم ما يشركون. أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبثنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها إله مع الله بل هم قوم يعطلون. أمن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزاً إله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون. أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض إله مع الله قليلاً ما تذكرون. أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته إله مع الله تعالى الله عما يشركون. أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض إله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴿ (النمل ٥٩-٦٤).

ولما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة كان الحوار الواضح البعيد عن العنف والشدّة هو أسلوبه مع أهل الكتاب، مصداق ما دعا الله إليه بقوله ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا ءامنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون﴾ (العنكبوت ٤٦) بل طالبنا أن ندخل معهم في حوار هادف. دون عنف أو صخب إذ يقول جل وعلا ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾ (آل عمران ٦٤).

وقد جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم محاور في شخصية المسيح عليه السلام، يقول للرسول صلى الله عليه وسلم: كيف تقول عن عيسى انه عبد الله وكلمته؟ وهل هناك عبد لا أباً له؟ فنزل قوله تعالى ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من ترابٍ ثم قال له كن فيكون﴾ (آل عمران ٥٩).

وقد حاور وجادل بعض أهل الكتاب (من اليهود) في شخصية إبراهيم عليه السلام مدعين أنه يهودى - كما جادل أحد كتّاب هذا الكتاب - فقال الله تعالى ﴿ يا أهل الكتاب لم تحاجون فى إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون ﴾ (آل عمران ٦٥) ثم يقول ﴿ ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين ﴾ (آل عمران ٦٧) ويحاورهم فى سورة البقرة فى نفس الموقف بل يوسعه فيقول جل من قائل ﴿ أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً أو نصارى قل أنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون ﴾ (البقرة ١٤٠).

وهكذا نرى الإسلام يجعل أسلوب الحوار سبيلاً إلى الاقتناع بمبادئه وهدايته سواء مع أهل الكتاب أم مع غيرهم.. ولا يكتفى بعرض مبادئه عن طريق الحوار بل يدعمها بمختلف الأدلة. بل يستثير المعارضين أن يأتوا بالبراهين إن كان لديهم منها شيء. استمع إليه وهو يقول ﴿ إله مع الله؟ قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾ (النمل ٦٤). ذلك أن الإسلام يرفض أن يفرض مبادئه على الناس فرضاً. وإنما يخاطب عقولهم وقلوبهم حتى تستجيب له إذ ﴿ لا إكراه فى الدين ﴾ (البقرة ٢٥٦).

والإسلام عندما جاء لم يفترض عداوة بينه وبين أهل الكتاب. بل أعلن أنه خاتم الرسالات، ونبيه خاتم الأنبياء.. وأن الرسل قبله مصدقون عنده.. وأن الإيمان بهم جزء من الإيمان به. ولا يقبل إيمان أحد لم يؤمن بكل الرسل السابقين ﴿ والذين آمنوا بالله ورسوله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم ﴾ (النساء ١٥٢).

ولم يكتف الإسلام بذلك بل جعل أهل الكتاب مرجعاً فى معرفة الحق عندما يضطرب الأمر فى نفوس الناس. يقول الله تبارك وتعالى لنبيه - وخطاب النبى خطاب لأمتة، مالم يرد تخصيص - ﴿ فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ﴾ (يونس ٩٤). ويقول سبحانه ﴿ واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أبعلنا من دون

الرحمن آلهة يعبدون ﴿ (الزخرف ٤٥) . بل يستشهد ببني اسرائيل على صحة الرسالة فيقول الله تبارك وتعالى ﴿ قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فأمن واستكبرتم ﴿ (الأحقاف ١٠) . بل أن الرسول صلى الله عليه وسلم ليقول "بلغوا عني ولو آية. وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج". وبعد وبعد أن رأينا موقف الإسلام من الحوار كوسيلة "للاقناع والافتناع". وبعد أن رأينا موقف الإسلام من أهل الكتاب، بعد كل هذا - هل يقال: إن الإسلام يرفض الحوار أو لا يهتم به؟

غير أننا إذ نقبل الحوار ونرضى به، نشترط أن يكون الحوار يستهدف حقائق ينتفع بها الناس، ويهتدى بها أهل الأديان، ويبتعد بهم عن التعصب والعرقية والمذهبية، ويتجه بنا إلى الحقيقة في ذاتها دون النظر إلى ما يعوقها.

غير أن ما جاء في هذا الكتاب لا يرشح ذلك، ولا يعطينا الضوء لنصل إلى ما نريده من الحوار. فقد رأينا مثلاً ضرب لبيان ما يختلف عليه المسلمون واليهود. وكان بعنوان "إبراهيم المسلم الأول. أم اليهودي الأول؟" ومع أن الأمر ليس أمر نسب وتناسل، وإنما هو أمر أديان تنسب لنبيها. ومن خلال هذه الحقيقة فلا يقال إن إبراهيم هو اليهودي الأول. فلم تكن في أيام إبراهيم يهودية أو نصرانية، وإنما كانت هناك "الوحدانية" الصادقة التي انتسب إليها الإسلام.

واليهود أبناء يعقوب. وهو الذي سمي اسرائيل، وأبناؤه الاثنا عشر هم آباء اليهود. وحتى تلك اللحظة لم تكن هناك ديانة تسمى اليهودية، بل كانت كذلك على يد موسى عليه السلام، وبين إبراهيم عليه السلام وبين موسى مئات السنين. فكيف يكون إبراهيم هو اليهودي الأول؟ .

على أن الإسلام عندما ينتسب إلى إبراهيم عليه السلام - لا ينتسب إليه انتساب تناسل. وإنما هو انتساب دين وحقيقة. فإبراهيم كانت رسالته اعلان التوحيد الخالص. وكذلك كان الإسلام ولا يزال. يقول الله تعالى ﴿ قل إني هدائي ربي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ﴿ (الانعام ١٦١) .

ولا عبرة عندنا لما نقله الكاتب عن القرطبي عن رحلة إبراهيم وزوجه هاجر وابنه اسماعيل عليهم السلام. فالروايات من قصص الانبياء - التي أصبحت غيباً - لا يقبل منها إلا ما جاءت به النصوص الصحيحة من كتاب وسنة. وما ذكره الكتاب والسنة. أما هذه الروايات فهي من الاسرائيليات التي اخذها المسلمون الأوائل عن بني اسرائيل. ونسبتها إلى ابن عباس لا تعطى صحة. فقد يكون السند فاسداً إذا تعرض لنقده. وفي روايات القرطبي كان الصحيح والضعيف والسقيم. وقد ذكر المحققون أن ابن عباس رضى الله عنهما وعبد الله بن عمرو بن العاص كانا يرويان الكثير من الاسرائيليات اخذت عن بني اسرائيل. فهذه الرواية التي ذكرها الكتاب انما هي من قبيل "بضاعتهم ردت إليهم".

ونخلص من كل ذلك على اننا لا نرفض الحوار ما دام يستهدف الحق ويدفع الباطل..

١٧ رمضان ١٤١٥

١٧ فبراير ١٩٩٥

طبيعة الإسلام وموقفه من الأديان الأخرى.. كمدخل للحوار

بقلم / محمد عبد العظيم على (المترجم)

(١) القرآن دعوة^(١) عالمية يقصد الانسان حيث يكون وإلى أى جنس ينتمى، وذلك حين يوجه ندائه إلى العقل والذوق السليم والشعور النبيل فى الانسان، بهدف تطهير العادات وتوضيح العقائد والتقريب بينها، واسقاط الحواجز العنصرية والوطنية، واحلال قانون الحق والعدل محل قانون القوة الغاشمة. وإذا كانت الدعوة القرآنية قد انتشرت فى البداية فى الجزيرة العربية بين العرب فإن غايتها هى أفراد البشرية اجمعين.

(٢) وأهم ملامح الجاذبية التى تتميز بها الدعوة القرآنية تكمن فى الطريقة التى قدم بها القرآن الحقيقة الدينية بهدف وضع نهاية للخلافات المثارة حولها. فقد ركز القرآن على فكرة أن رسل الله جميعاً يعزز بعضهم بعضاً، ويتضامنون فى تبليغ حقيقة واحدة، وان الانبياء أمة واحدة تحت لواء الله الواحد. وان هذه الوحدة كانت تجمع سائر الناس فيما مضى، وإنما الاجيال اللاحقة هى التى بذرت الخلاف والفرقة. والقرآن وهو يعرض دعوته بطريقته المنطقية - لا يعرضها على أنها دعوة محمدية جديدة ومستقلة تنافس الموسوية والمسيحية وتنازعها الحقيقة الدينية. وانما يقرر القرآن أن المسلم هو الذى يؤمن فى آن واحد بموسى وعيسى وجميع رسل الله ويوقرهم بلا تمييز بينهم ويؤمن كذلك بكتبهم ومبادئهم جميعاً. وان المسلم هو الذى يستسلم لله ولإرادته التى اعلنت متابعة على ألسنة الانبياء والمرسلين. وبهذا يسمو الناس فوق الانشقاق والتنافس. ويجدون فى هذا الاجماع التوازن الذى لا غنى عنه لراحة الضمائر..

إن القرآن يدعو إلى العودة إلى الوحدة الدينية الاصلية التى يستجيب لها ويعتز بها ذوو النفوس السامية، والتى تغوص جذورها فى اعماق معتقدات آبائنا

الأولين. وبهذا نرى القرآن - مع استخدامه الأدلة المنطقية - يؤسس دعوته إلى التوحيد على تاريخ الانبياء في كل الأزمنة السابقة، ويثبت بوضوح أن العقل والنقل يشركان القرآن في إثبات عقيدة التوحيد، ورفض الوثنية والاشراك بالله على اختلاف صورهما. وأنه لا شئ في هذا الوجود يستحق العبادة والخضوع سوى الله الواحد القهار استناداً إلى فكرة كمال الله المطلق وصفاته المطلقة التي أسس القرآن عليها الجانب الأول من الحقيقة الدينية العامة.

أما الجانب الثاني من هذه الحقيقة، ألا وهو الايمان بالآخرة، حيث يقدم الانسان اعماله لله تعالى ويتلقى منه الجزاء العادل، فقد أسسه القرآن على خلود الروح وبعث الجسد، والقرآن يؤسس عقيدة البعث ليس فقط على قرار رباني ألزم الله تعالى به نفسه ﴿بلى وعدا عليه حقا﴾ (النحل ٣٨)، وإنما على أنه أحد مستلزمات العدل الإلهي والحكمة السامية ﴿ليبين لهم الذي يختلفون فيه﴾ (النحل ٣٩)، ﴿ولتجزى كل نفس بما كسبت﴾ (الحاثية ٢٢) وإلا لكانت حياة الانسان سدى بلا غاية وبلا جدوى.

ولقد أحرزت الحقيقة الدينية تقدماً ملموساً بالطريقة التي قدمها بها القرآن - ليس فقط لأنه ساق البراهين والأدلة القادرة على اقناع أصعب العقول وعلى تحريك أفسى القلوب، وليس فقط لأنه قدم نظراته الواسعة والثاقبة عن الكون السماوي والأرضي واستخلص المواعظ والدروس من كل مظهر من مظاهر الخلق الظاهرة والباطنة، ولكن لأنه أبرز مادة الدين ذاتها المتعلقة باختصاصات الله تعالى ومآل الروح، فضلاً عن معنى الألوهية - الذي أصبح يمتاز بصفاء ونقاء وقدسية خاصة تبعد عن أي تجسيم وتجسيد، وصارت له قوة جارفة أخاذة تحلق بالانسان إلى عالم الروح السامي - بدى كل هذا وكأنه اكتسب روحاً جديدة لم تكن معهودة من قبل.

(٣) ولكن النفس الانسانية بجانب حاجتها إلى المعرفة والاعتقاد - تحتاج في إلحاح إلى القاعدة العملية الواضحة والقادرة على توجيه نشاط الانسان سواء في تصرفاته

مع نفسه أو فى علاقاته مع غيره أو مع حالقه. ولقد قدم القرآن هذا النظام بأوفى وأدق طريقة ممكنة، وخط فى هذا المجال خطأ واضحاً يسلكه الإنسان فى أمان واطمئنان، وجعل الجانب العملى شرطاً لاغنى عنه للفلاح فى الدنيا والسعادة الآخرة. وامتازت طريقة القرآن بأسلوبه الفريد فى عرض هذه الحقائق وتوضيح مادتها ومحتواها.

فقد قرر القرآن ان الله قد غرس فى داخل كل منا بصيرة أخلاقية غريزية، تجعلنا نقدر ونحب الفضيلة لذاتها فينا وفى غيرنا، كما تجعلنا ننفر من مشاهد أى سلوك هابط، ونكره فى أنفسنا عيوبنا الذاتية حتى ونحن نلتبس لأنفسنا المعاذير. لأننا لا نقبل أن نوصم بأى رذيلة. وعلى هذا الشعور العام القادر على التمييز بين العدل والظلم، وبين الخير والشر، يستند القرآن فى أغلب الأحيان ليؤسس نظامه الأخلاقى، ونظراً لأن هذه الحاسة الفطرية فى الإنسان ليست دائماً بنفس القوة والفاعلية عند كل الناس لكى تلزمهم بالخضوع لقاعدة السلوك الشرعية، فقد وضع الاسلام منهاجاً كاملاً فى التربية يستند إلى الذكاء والعقل وهما هبة الله للإنسان فوق الحاسة الخلقية، حتى إذا ضعفت هذه الحاسة تبقى فكرة الواجب العام ماثلة فى العقل الإنسانى.

ولقد اتبع القرآن أفضل طريقة لإيقاظ هذه الفكرة ولجعلها تسمو بالمشاعر وذلك بأن استعان بتأييد ذوى الاختصاص لها من الحكماء والأنبياء فى كل زمان. فليس بمحض الصدفة ان يدعو محمد صلى الله عليه وسلم إلى ماسبق ان دعا إليه الرسل السابقون. بل اننا لا نجد مبدأ أخلاقياً ينقله لنا القرآن على أنه كان ضمن تعاليم رسول من الرسل أو حكيم من الحكماء إلا وأورده القرآن فى موضع آخر كواجب تلزم به جماعة المسلمين. فالوصايا العشر موجودة فى آيات متفرقة فى عدد من السور المكية والمدنية، فضلاً عن أحكام أخرى من التوراة تتعلق بعمل القلب وعمل الجوارح. ولقد قال عيسى عليه السلام الحق كل الحق عندما أكد أنه لم يأت ليُلغى وينسخ وإنما ليتم ويكمل، أى انه كان يوالى مهمة التطهير الاخلاقى التى

بدأها المرسلون من قبله. والآيات القرآنية تعزز ما جاء به موسى وعيسى ونختار بعض الأمثلة عن ترابط وتكامل الأحكام فى العهدين القديم والجديد وفى القرآن.

- فى الطلاق نجد حرية دون قيد منحتها التوراة للزوج ليطلق زوجته، بينما نرى الانجيل وكأنه يعارض الطلاق إلا فى حالة الخيانة. أما فى القصاص، فمقابل الاصرار على المطالبة بدم القاتل والرد على كل سيئة بمثلها فى العهد القديم، علم عيسى عليه السلام عدم مقاومة الشرير والعفو عنه. أما القاعدة الاخلاقية الصحيحة فهى التى يضمها الكتابان المقدسان معاً بحيث احتوى كل منهما جزءاً منها وترك الجزء الآخر مستتراً إلى حد ما. ولقد تولى القرآن إعلان القاعدة الكاملة فى القصاص ﴿ وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين. واصبر وما صبرك إلا بالله ﴾ (النحل ١٢٦-١٢٧). أما فيما يختص بالطلاق فهناك حواجز قبل إيقاعه (النساء ١٩، ٣٥، ١٢٨) ومحاولات يجب بذلها للتوفيق (البقرة ٢٢٨، ٢٣٠، والطلاق ٢-١)، ومن يرجع عن قرار الطلاق يستحق المغفرة (البقرة ٢٢٦)، وهكذا يوضح القرآن أعمال الرسل ويؤيد شرائعهم بالجمع والتوفيق بينها.

- ولكن القرآن له رسالة أخرى ألا وهى إتمام وإنهاء الصرح الإلهى الذى بناه الرسل والانبياء على مر العصور. وفى مجال الفضيلة الشخصية نجد قاعدة جديدة هى تحريم الخمر والقضاء على مصادرها بمنع تناول المسكرات بكافة أنواعها وذلك لما لها تأثير مدمر على العقل والصحة. ونجد مبدأ جديداً هو "النية" باعتبارها لب العمل الاخلاقى. فقد كان موسى عليه السلام يجرى قومه بأرض الميعاد والنصر على الاعداء والبركة والرخاء فى كل شئون الدنيا، ثم جاء عيسى عليه السلام ليفتح عهداً جديداً ويقرر أن النعيم والسعادة الموعودة ليست فى هذه الدنيا وانما فى ملكوت السماء. وأخيراً جاء القرآن يجمع بمنهجه البناء هذين الوعدين ويوفق بينهما باعتبار أن الهدف هو فى الخير المطلق، أى فى النية

الخالصة لله تعالى الذى يجب استحضاره فى القلب عند اداء العمل الاخلاقى الذى ينطوى على طاعة أوامر الله (البقرة ٢٧٢ والليل ١٩-٢٠).

- والفضيلة بين الأفراد، استقامت شجرتها بأحكام التوراة، وبزغت فروعها وأوراقها بأحكام الانجيل. أما بأحكام القرآن فقد أزهرت الشجرة وآتت ثمارها، فقد أوجد القرآن فصلاً رائعاً فى الحضارة الاخلاقية أى السلوك الكريم فى الأدب والذوق الاجتماعى والتحشم فى المظهر: التحية (النساء ٨٦) دخول البيوت (النور ٢٧-٢٨) الاستئذان (النور ٥٨-٥٩) الأكل عند الاقارب (النور ٦١-٦٢) خفض الصوت (الحجرات ٢-٥) ولقمان (١٩) التناجى (المجادلة ٨-١١) الظن (الحجرات ١٢) غض البصر (النور ٣١) وضع الثياب (النور ٦١) طريقة الحديث (الأحزاب ٣٢-٣٣) دخول بيوت النبى (الأحزاب ٥٣) التحشم (الأحزاب ٥٩).

- والفضائل الجماعية والفضائل العامة: ففى القانون الأخلاقى فى الديانة الموسوية يوجد الحاجز العالى بين الاسرائيلى وغير الاسرائيلى. أما القانون الأخلاقى المسيحى فله الفضل فى إسقاط هذا الحاجز، وتوسيع المحبة المسيحية إلى خارج الحدود الاقليمية لاحتواء الانسانية كلها، وقد أحسنت صنعاً بإبطال الطابع العنصرى واستبداله بأخوة عالمية. ثم جاء القرآن فجمع بين الفضيلة العامة والفضيلة الجماعية وتطورت فكرة الفضيلة العامة التى أعلنها الانجيل واتسعت لتشمل مجالات الحياة المختلفة، إذ يقرر أنه خارج الأخوة فى الله توجد الأخوة فى آدم (الحجرات ١٠-١١، ١٣) وينبغى أن تسود المحبة والاحسان مع اختلاف المشاعر الدينية (المتحنة ٨) وإقامة العدل مع الاعداء (المائدة ٨) وتحريم الربا مع الجميع، وإن يكون التقى داخل جماعته وخارجها (آل عمران ٧٥، ٧٦) والاهتمام بفك اسرى المسلمين (النساء ٧٥) والعبيد بوجه عام (التوبة ٦٠، والبقرة ١٧٧، والبلد ١٣).

- وفصل جديد تماماً فى مبادئ الأخلاق الاسلامية هى فضيلة المعاملات الدولية وبين الاديان. إذ لم تتح لليهودية والمسيحية وقت تأسيسهما فرصة أن يكون

لهما علاقات مع دول معادية. بينما الرسول صلى الله عليه وسلم كان على علاقات دائمة مع أمم وديانات مختلفة تارة مسالمة وتارة معادية. ومن هذه المبادئ أن الحرب الشرعية لا تقوم إلا من أجل دفع العدوان (البقرة ١٩٠) ويجب أن تتوقف بمجرد انتهائه (الأنفال ٦١) ومبدأ احترام المواثيق المبرمة مع العدو (النحل ٩١-٩٢) ولو بدأ العدو في نقض اتفاقه فلا يجوز مهاجمته على غرة، وإنما يجب أولاً إعلانه بإلغاء عهده معنا بطريقة واضحة (الأنفال ٥٨). هذا بخلاف القواعد التي حددتها السنة.

(٤) وحين نتكلم عن مصدر القرآن نجد أن فكرة مصدره الإلهي ليست فقط جزءاً من دعوته وإنما هي الجزء الأساس منها. لأن القرآن نراه يتحدث إلى الرسول صلى الله عليه وسلم أو يتحدث عنه ولا يتركه أبداً يعبر عن فكره الشخصي.. ومما لاشك فيه أن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يكن أول من أثار قضية الوحي، بل أنه كان أكثر تواضعاً من موسى عليه السلام الذي تلقى التوراة - كما يقول القرآن - في لقاء مباشر بينه وبين الله تبارك وتعالى حيث سمع كلام الله ذاته. أما بالنسبة لمحمد صلى الله عليه وسلم فإن القرآن قول رسول سماوى وسيط بينه وبين الله، وفيما عدا هذا الاختلاف فإن الرسولين متفقان في نسبة ما تلقياه إلى ما وراء الكون.

ولنتساءل عن امكان تفسير الافكار التي يتضمنها القرآن بسبب آخر غير الوحي. والواقع أن هناك بحوثاً ودراسات كثيرة قد سلكت هذا السبيل في الماضي، مما يجعل البحوث الحديثة في هذا المجال مجرد تكرار لنفس الكلام القديم، وإن اختلف في الشكل والاسلوب.

- البحث في الفترة المكية- تحاول ايسط الافتراضات ان تجد في بيئة الحجاز- ان لم يكن في مكة - جميع العناصر الضرورية لبناء الدعوة القرآنية. بالرغم من أن حياة العرب كانت حياة "الضلال المبين" وزمانهم زمن "الجاهلية الأولى". وقد كانوا يحتفظون في عاداتهم ببعض الآثار من ديانة إبراهيم واسماعيل

عليهما السلام مثل الحج. ولكن هذه الآثار ذاتها كانت تختلط باخطاء وأوهام كثيرة (البقرة ١٨٩، ٢٠٠) وكان الحاضرون في سوق عكاظ لا يتناظرون في الدين وإنما في المفاهيم الدنيوية. ولا نكاد نجد أثراً للدين في أشهر القصائد المعروفة بالمعلقات الذهبية. وكان بين هذه الجموع من الناس ذات الجهل المفضوح صفوة تعد على الأصابع تعرف باسم "الحنفاء" أي الثائرين على الرأي العام - فماذا كانت دعوة هؤلاء "الحنفاء" ؟ ... يقيناً لا شيء سوى تمردهم على عصرهم وتطلعهم إلى دين صحيح وكان لديهم "نوع من القلق والانتظار المبهم".

وكان هناك "الصابئون" الوارد ذكرهم في القرآن. وكانت أفكارهم الجهرية وشعائهم الأساسية معروفة وفندها القرآن والسنة مثل تأليه الملائكة والكواكب وتأثيرها على الأحداث الأرضية، وكان الحج عندهم يتم بحران بالعراق، وكانت قرابينهم تحرق تماماً، وكانوا يحرمون تعدد الزوجات ولا يزاولون الختان، وكانت عبادتهم طقوساً يقصد بها الكواكب تؤدي ثلاث مرات يومياً. وهكذا نرى الوثنية التي كانت سائدة بالحجاز لا تقدم لنا تفسيراً سليماً عن مصدر القرآن.

ولعل البيئة اليهودية والنصرانية وقتئذ تلقى لنا بعض الضوء. فمقابلة الراهب بحيرى العارضة لا يمكن اعتبارها مصدراً لتعليم محمد صلى الله عليه وسلم. ويقال إن بعض أفراد مسيحيين من المغامرين الرومان والزنوج والاحباش كانوا يعيشون في ضواحي مكة المنزوية "كبايعي نبيذ أو كادحين". فهل كان التقاء محمد صلى الله عليه وسلم بهؤلاء في هذه الأماكن؟ علماً بأن شواغل الرسول صلى الله عليه وسلم قبل بعثته كانت معروفة ومحددة: في الخلاع يرعى الغنم.. أو في التجارة مسافراً.. أو في المجتمع العام مع رؤساء القبائل. ولقد كان هؤلاء المظمورون يجهلون دينهم وكانت لغتهم الأجنبية حائلاً طبيعياً.

أما الفساسة بالشام وبنى الحارث بنحرا باليمن فقد كانوا قد اعتنقوا المسيحية وكان محمد صلى الله عليه وسلم في شبابه يسافر من وقت لآخر في تجارته إلى الشام وإلى اليمن. فهل دخل محمد صلى الله عليه وسلم فعلاً في

الأراضى المسيحية الحقيقية؟ بعض الكتاب المستشرقون يتشككون من هذا لعدم وجود أية إشارة في القرآن عن مظاهر المسيحية الخارجية، بينما يتوسع القرآن في الكلام عن أعماق الروح المسيحية الشرقية بما يخالف مسلك الشعراء العرب الذين زاروا هذه البلاد. في حين أن هناك كتّاب آخرون أكثر اقتراباً من الحقيقة يؤكدون أن رحلات القوافل التي صاحبها الرسول لم تبعد عن سوق "حباشا" بتهامة و"غراش" باليمن. وحتى لو اتصل بالمسيحية ماذا كان سيجد؟ كتب تايلور في كتابه "المسيحية القديمة" (المجلد الأول ص ٢٢٦) "إن ما قبله محمد وأتباعه في كل اتجاه.. لم يكن سوى خرافات منفرة، ووثنية منحطة ومخجلة، ومذاهب كنسية مغرورة، وطقوساً دينية منحلة وصيبانية ...". وعندما أراد "موشايم" وصف هذا العصر، أبرز التعارض بين المسيحيين الأوائل والأواخر، وخرج بأن الديانة الحقيقية في القرن السابع كانت مدفونة تحت أكوام من الخرافات والأوهام السخيفة.

فهل كان العرب الذين تنصروا أحسن حالاً؟ لا.. ويقول "هوارت" "مهما يكن مدى إغراء فكرة تأثر محمد بما شاهده من تطبيق المسيحية بسوريا، فإنه يتحتم استبعادها لضعف الوثائق والاسس التاريخية الصحيحة".

فإذا وسعنا من حقل البحث قليلاً إلى بيئة الكتب والاطلاع فقد يكون محمد صلى الله عليه وسلم قد استخلص دروسه من مطالعته المباشرة للكتب المقدسة سواء كانت مسيحية أو يهودية أو غيرها. ولكن هل كان محمد صلى الله عليه وسلم يعرف القراءة والكتابة؟ يجيب القرآن بالنفي ويبرهن بأمية الرسول الكريم على ربانية تعليمه. فهو أمي من شعب أمي. ولم يسبق له أن قرأ كتاباً أو كتب بيده ﴿ما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبتطلون﴾ (العنكبوت ٤٨)، ولا شك أن معارضى الرسول كانوا يعرفون هذه الأمية جيداً. وحتى على فرض أنه كان يعرف القراءة فقد كانت هناك عقبة يستحيل تذليلها. إذ لم تكن في هذا الوقت قد وجدت تورا ولا انجيل باللغة العربية. كما يؤكد الدكتور "جراف" "أنه لم تكن هناك حاجة لإنجيل باللغة العربية إلا في القرن التاسع

والعاشر." ويقول القس "سيدياك" بأنه لم يتمكن من الرجوع بتاريخ أقدم ترجمات العهد الجديد باللغة العربية إلى أبعد من القرن الحادى عشر. وعلى كل حال لم ينبئنا التاريخ عن أى اتصال محدد.

أما بالنسبة للأفكار الشعبية التى كانت رائجة فى هذا المجتمع فإنها لم يكن لها اتجاه واحد بل كان لكل من المشركين والصابئين ورجال الدين والفرس واليهود والنصارى أسلوبهم الخاص فى عرض الحقيقة ففى أى فريق كان الرسول صلى الله عليه وسلم يستطيع أن يضع ثقته؟ وهو الذى كان يقف مما يرويه العلماء موقف التحدى ..

- البحث فى الفترة المدنية: بعد أن انتقل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى جو مرحب ودود يحوطه فيه أتباعه الاقوياء المخلصون، واصبح على اتصال بطائفة منظمة دينياً، ولها كتابها المقدس، هم يهود المدينة.

أراد بعض المستشرقين أن يتوغلوا فى الدراسة أكثر فاعتقدوا أنهم وجدوا اختلافاً جذرياً بين تعاليم القرآن فى الفترة المكية وتعاليمه فى الفترة المدنية. فقالوا انه فى مكة مثلاً كان القصص اليهودى والمسيحى فى حالة تخطيط أولى. ولما اتصل محمد صلى الله عليه وسلم فى المدينة باليهود استطاع أن "يألف قصص ابراهيم" وأنه "عاش فى البداية وهو يسيطر عليه وهم جميل بأن القرآن يتفق تماماً مع كتب اليهود والمسيحيين المقدسة. ولكن معارضة اليهود المريرة أثبتت له العكس". وكانت الصلاة فى البداية مرتين فى اليوم والليلة. أما فى المدينة فقد أضيفت إليها صلاة ثالثة هى صلاة العصر "بقصد محاكاة اليهود" ولنفس السبب تحولت القبلة إلى بيت المقدس ثم نسخت فيما بعد بسبب موقف اليهود العدائى من الاسلام. وهكذا قالوا بتأثر التشريع التعبدى بالتقلبات السياسية. وحتى فكرة القرآن عن الله طرأ عليها فى نظرهم تغيير من تأثير المواقف الحربية فى الفترة المدنية فانضمت صفة القوة والجبروت ضد الكفار المعاندين إلى صفة الرحمة". فلننظر مدى صحة هذه الملاحظات.

فيما يختص بالقصص المسيحي واليهودي بوجه عام فإن السور المكية هي التي تعرض أطواره بتفاصيله الدقيقة، ولم تترك للسور المدنية سوى فرصة استخلاص الدروس منه. وأما موضوع إبراهيم عليه السلام، فقد سبق للسور المكية أن أشارت إليه (إبراهيم ٣٧) بل إنها دعت الرسول إلى إتباع ملة إبراهيم الحنيف (النحل ١٢٣). أما موقف القرآن من الأديان السابقة فلم يطرأ عليه أى تطور. فالسور المكية تطالب أهل الكتاب بالادلء بشهادتهم عن الكتب المقدسة (الرعد ٤٣) وتدين الكتابيين الذين اتبعوا الشيطان (النحل ٦٣). واحتفظ القرآن بموقفه فى المدينة من العلماء الذين يستشهد بهم وهو يؤكد أن عدداً منهم لا يرغب فى الادلاء بالشهادة (البقرة ١٤٦). وهكذا يفرق القرآن بين الكتب المقدسة ذاتها، والعلماء الذين يتبعونها بإخلاص، وبين هؤلاء الذين يسمون أنفسهم يهوداً أو نصارى، وهم يتبعون أهواءهم. ومنذ قبل الهجرة أعلن أن من جوهر رسالته هداية بنى اسرائيل (*) وبوجه عام جميع الأمم التى تلقت ديناً سماوياً وأن يوضح لهم الحقيقة فى منازلهم (النحل ٦٣-٦٤).

أما عدد صلوات المسلمين فلم يطرأ عليها أى تطور. ومن المؤسف حقاً أن هؤلاء النقاد الغربيين لا يدلوننا على الوثائق التى استقوا منها هذه الفكرة الغربية. اما بشأن القبلة، فإن الادعاء بأن تغيير القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة (وله ما يبرره فى القرآن) بسبب معاداة اليهود للإسلام، فهو إدعاء به تداخل فى التواريخ. فقد بدأت عدواة اليهود عام ٦٢٥م بينما كان تحويل القبلة فى عام ٦٢٣م. أما بالنسبة للملاحظة التى تتعلق بفكرة القرآن عن الله، فإن العكس هو الصحيح لأن الواقع يكذب الملاحظة فما أكثر ظهور "اله الحرب" فى السور المكية حيث يكثر قصص التاريخ القديم بشره وفساده والعقاب الأليم الذى نزل بأمره والتهديد فيها ضمنى - ولكنه دائم - للقرى التى تسلك نفس المسلك. بل أن الحروب التى صدر بها الأمر

(*) إن هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل أكثر الذى هم له يخلفون. وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين، إن

ربك يقضى بينهم بحكمه وهو العزيز العليم ﴿ (النمل ٧٦-٧٨).

فى المدينة لم تكن إلا تنفيذاً لانتذار عام وصريح اعلن وتكرر ذكره قبل ذلك بمكة (يونس ١٠٢، هود ١٢١-١٢٢، الاسراء ٥٨).

أما موقف علماء اليهود فالقرآن يرشدنا ويقسمهم إلى قسمين: الغالبية العظمى وكانت تعادى الاسلام حتى قبل الهجرة - وهؤلاء كانوا بعيدين عن موقف الملقن للرسول المرحب به. بينما كان هناك فريق آخر من علماء اليهود حضروا ليستمعوا إلى الرسول وشهدوا له بصدق رسالته (البقرة ١٢١) وأشهرهم عبد الله بن سلام. وبين هاتين الفئتين لم يترك التاريخ مكاناً "لأصدقاء معلمين".

- من خصائص القرآن فى دعوته إلى الإيمان والفضيلة أنه يستخدم الحقائق الكونية الدائمة ويدعو عقولنا إلى تأمل قوانينها الثابتة - لا بغرض دراستها وفهمها فحسب - وإنما لأنها تذكرنا بالخالق الحكيم القدير. ونلاحظ أن الحقائق التى يقدمها تتفق تماماً مع آخر ما توصل إليه العلم الحديث. مثل منبع العنصر الجنى للانسان (الطارق ٦-٧)، ومراحل الإنسان فى بطن أمه (الحج ٥) وعدد التجويفات المظلمة التى يتم خلق الإنسان بداخلها (الزمر ٦)، ومنشأ المخلوقات المائى (الانبيا ٣٠) وتكوين المطر (الروم ٤٨) ودائرية السماء والأرض (الزمر ٥) وكروية الأرض غير المكتملة عند الاقطاب (الانبيا ٤٤) ومسيرة الشمس إلى نقطة معلومة (يس ٣٨)، وتعايش الحيوانات فى جماعات تشبه المجتمعات الانسانية (الانعام ٣٨) ووصف حياة النحل (النحل ٦٨-٦٩) وثنائية النباتات والمخلوقات (يس ٣٦)، والتلقيح بواسطة الرياح (الحجر ٢٢). ولكن ما تميز القرآن وتفرد به لا يقف عندما يصرح به، بل يمتد اعجازه إلى ما يمتنع عن قوله أو يسقطه عن قصد .. (مثل الروح). هذه الحقائق لم تثبت علمياً إلا بعد بحوث طويلة خلال العصور والأجيال بفضل اسهام رجال متخصصين كل فى فرعه. هل فى هذا مجرد صدفة؟ هل يمكن فى عصر الجاهلية ان يتعرض رجل - مجرد من أية معدات فنية - للعلوم على اختلافها وأن يعطينا فى كل فرع حقائق علمية خالدة لا تتزعزع حتى بعد اربعة عشر قرناً من الزمان.

- ولقد أعلن القرآن عن أحداث ستتم مستقبلاً، رأيناها تقع كما أعلن: مثل مواقف معارضيه وتتابع مصائرهم بحسب كل موقف. وقبل الهجرة بسنوات أعلن عن هزيمة قريش في نفس الوقت الذي ينهزم فيه الفرس من الروم (الروم ٥٣-٥٥) وضربة السيف التي سيتلقاها الوليد بن المغيرة على أنفه (القلم ١٦) وخلود الاسلام على مر الزمان (الرعد ١٧) وقيام دولة الاسلام الفتية على الأرض (النور ٥٥) رجعز كل قوى الأرض عن القضاء عليها (الأنفال ٣٦) وعن مستقبل المسيحية (الانشقاق والخلاف إلى يوم القيامة) (المائدة ١٤) ونشئت بنى اسرائيل في اقطار الأرض واضطهادهم وحاجتهم الدائمة إلى الحليف (آل عمران ١١٢) وتفوق المسيحية على اليهودية إلى يوم القيامة (آل عمران ٥٥)...

وهكذا تتضافر أحداث الماضي والحاضر والمستقبل في مجال الواقع كما أوضحنا لكى تتوافق مع الأفكار التي جاءت في القرآن وتؤديها. بماذا نخلص من هذا كله؟ .. إما أن الله لا يساعدنا عندما يترك جميع الأدلة القاطعة تتحاز إلى هذا الانسان، ولا يترك لنا بصيصاً من الضوء يعاوننا على كشف أمره .. وإما أن يكون هناك ميثاق معقود مع العناية الإلهية تولت بمقتضاه السهر على دعوة الاسلام لعصمتها من كل زلل باعتبار أنها منزلة من عند الله وأن محمداً صلى الله عليه وسلم هو مبلغها إلى الناس أجمعين.

(٥) أما عن بشارة محمد صلى الله عليه وسلم بالكتاب المقدس. فقد ذكر العهد القديم من ضمن أوصاف النبي المبشر بقدومه (تثنية ١٨: ١٧-١٨) "قال لى الرب قد أحسنوا في ما تكلموا. أقيم لهم نبياً من وسط اخوتهم مثلك، وأجعل كلامى في فمه فيكلمهم بكل ما اوصى به" هذا الحديث كان موجهاً إلى بنى اسرائيل (وهم ابناء ابراهيم من ابنه الثانى اسحاق) وكلمة "وسط اخوتهم" تعنى بنى اسماعيل (وهم ابناء ابراهيم من ابنه الأول اسماعيل). وقد أشار العهد القديم إلى بنى اسرائيل باعتبارهم

"أخوة" لبنى اسماعيل (مثل التكوين ١٦: ١٢) "وامام جميع اخوته يسكن" والتكوين ٢٥: ١٨ "امام جميع اخوته نزل".

أما وصف "نبي مثل موسى" فقد كان يفسر فى بعض الأحيان على أنه عيسى عليه السلام. وبداية نقول أن عيسى نفسه كان من بنى اسرائيل وليس من "اخوتهم". وهذه الحقيقة وحدها تكفى للدلالة على أن النبوة المبشر بها ليست لعيسى عليه السلام وإنما "نبي مثل موسى" وهو محمد عليه الصلاة والسلام. والمقارنة التالية توضح ليس فقط تشابه موسى ومحمد عليهما السلام وإنما توضح أن عيسى عليه السلام لا تنطبق عليه هذه البشارة بأى وجه:

وجه المقارنة	موسى	محمد	عيسى
الميلاد	عادى	عادى	غير عادى
الحياة العائلية	متزوج وأولاد	متزوج وأولاد	غير متزوج وليس له أولاد
الوفاة	عادية	عادية	غير عادية
العمل	نبي ورجل دولة	نبي ورجل دولة	نبي
هجرة اجبارية فى سن البلوغ	إلى مدين	إلى المدينة	لا هجرة
لقاء الاعداء	مطاردة ساخنة	مطاردة ساخنة ومعارك	لا لقاءات مماثلة
نتيجة اللقاء	نصر مادی ومعنوى	نصر مادی ومعنوى	نصر معنوى

تسجيل الوحي	بعد مماته (التوراة)	في حياته (القرآن)	بعد مماته
طبيعة التعاليم	روحية قانونية	روحية قانونية	روحية فقط
قبول قيادته (من شعبه)	رفض ثم قبول	رفض ثم قبول	رفض (من أغلب بنى اسرائيل)

وأما وصف "واجعل كلامي في فمه" فانه ينطبق على محمد صلى الله عليه وسلم الذي كان يأتيه جبريل ويملى عليه آيات من القرآن وكان محمد صلى الله عليه وسلم يرددها تماماً كما سمعها ﴿وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحي يوحى﴾ (النجم ٤-٣)، وكثير من الآيات بها قل - ذكر - نبئ - وآيات أخرى بها "وقال ربكم" وآيات غيرها "ويسألونك .. قل " وهذا لا يتطابق فقط مع تنبيه ١٨: ١٨: وإنما مع النصوص التالية: اقرأ تنبيه ١٨: ١٩ "ويكون ان الانسان الذي لا يسمع كلامي الذي يتكلم به باسمي أنا اطلبه" لأن ١١٣ سورة من القرآن تبدأ بجملة "بسم الله الرحمن الرحيم" وأن أول آية نزلت على محمد صلى الله عليه وسلم كانت ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ (العلق ١) وهناك أوصاف أخرى، وأدلة أخرى تؤكد أن هذه البشارة تخص النبي محمد صلى الله عليه وسلم (انظر المرجع)^(٢).

(٦) ما موقف الاسلام من الاديان الأخرى وعلاقته بها؟^(٣)

إذا أخذنا كلمة "الاسلام" بمعناها القرآني، نجدها لا تدع مجالاً لهذا السؤال. فالاسلام في لغة القرآن ليس اسماً لدين خاص، وإنما هو اسم للدين المشترك الذي جاء به كل الانبياء وانتسب اليه كل اتباع الانبياء. ونرى الاسلام شعاراً عاماً يدور في القرآن على ألسنة الانبياء واتباعهم منذ اقدم العصور التاريخية إلى عصر النبوة

المحمدية: نوح (يونس ٧٢) وإبناء يعقوب (البقرة ١٣٣) وموسى (يونس ٨٤) والحواريون مع عيسى (آل عمران ٥٢) وفريق من أهل الكتاب (القصص ٥٣) ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ (الشورى ١٣).

اذن الاسلام بمعناه القرآنى لا يكون محلاً لهذا السؤال. إذ لا يسأل عن العلاقة بين الشئ ونفسه، حيث الوحدة الكاملة التى لا انقسام فيها.

غير أن كلمة "الاسلام" أصبح لها فى عرف الناس مدلول آخر، هو مجموعة الشرائع والتعاليم التى جاء بها محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، كما أن كلمة اليهودية أو الموسوية تختص بشريعة موسى، وكلمة النصرانية تختص بشريعة عيسى. والسؤال الآن أصبح عن العلاقة بين المحمدية وبين الموسوية والمسيحية.

وللإجابة ينبغى أن نقسم البحث إلى مرحلتين: الأولى: فى علاقة الشريعة المحمدية بالشرائع السماوية السابقة كما كانت فى صورتها الأولى ولم تبعد عن منبعها، ولم يتغير فيها شئ بفعل الزمان ولا بيد الإنسان. والثانية: فى علاقتها بهذه الشرائع السابقة بعد أن طال عليها الأمد، وطراً عليها شئ من التطور.

فى المرحلة الأولى: يعلمنا القرآن أن كل رسول يرسل، وكل كتاب ينزل قد جاء مصدقاً ومؤكداً لما قبله. ولكن هذا التصديق نوعان: -

١. تصديق للقديم مع الإذن ببقائه واستمراره،

٢. وتصديق للقديم مع إبقائه فى حدود ظروفه الماضية المؤقتة.

ذلك أن الشرائع السماوية تحتوى على نوعين من التشريعات: "تشريعات خالدة" لا تتبدل بتبدل البلاد والأزمنة، فإذا فرض أن أهل شريعة سابقة تناسوا هذه التشريعات الخالدة جاءت الشريعة اللاحقة لتذكّر بها وتؤكددها، وهناك "تشريعات مؤقتة" بأجل زمنية طويلة أو قصيرة، ولذلك فهى تنتهى بانتهاء وقتها، وتجئ الشريعة التالية بما هو أوفق وأنسب بالأوضاع التى استجدت. ولولا إشتغال الشرائع السماوية على

هذين النوعين ما وجدنا فيها العنصرين الضروريين لسعادة المجتمع البشرى: عنصر الاستمرار الذى يربط حاضر البشرية بماضيها، وعنصر الانشاء والتجديد الذى يعد الحاضر للتطور والرقى نحو مستقبل أفضل وأكمل.

وهكذا كانت الشرائع السماوية خطوات متصاعدة ولبنات متراكمة فى بنیان الدين والاخلاق وسياسة المجتمع وكانت مهمة اللبنة الأخيرة منها أنها أكملت البنیان، وملأت ما بقى فيه من فراغ، وأنها كانت بمثابة حجر الزاوية الذى يشد أركان البنیان. وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صور الرسالات السماوية فى جملتها أحسن تصوير "مثلئى ومثل الانبياء من قبلى، كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وجمله إلا موضع لبنة. فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له. ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة، فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين." . انها إذن سياسة حكيمة رسمتها يد العناية الإلهية لتربية البشرية تربية تدرجية نحو النمو والكمال والازدهار.

أما المرحلة الثانية: فى بحث هذه العلاقة بعد أن طال الأمد على هذه الشرائع، فنالها شئ من التطور والتحرر. فقد رأينا فى المرحلة السابقة أن القرآن يعلن عن نفسه أنه "مصدقاً لما بين يديه من الكتاب" ونلاحظ أيضاً أنه يعلن أنه جاء "مهيئاً" على تلك الكتب (المائدة ٤٨)، أى حارساً أميناً عليها. ومن مهمة الحراسة الأمانة على تلك الكتب الا يكتفى الحارس الأمين بتأييد ما خلده التاريخ فيها من حق وخير، وإنما عليه فوق ذلك أن يحميها من أى دخيل يضاف إليها بغير حق، وأن يبرز الحقائق التى عساها أن تكون قد أخفيت منها.

إذن نقول أن علاقة الاسلام بالديانات السماوية فى صورتها الأولى هى علاقة تصديق وتأييد كلى، وأن علاقته بهذه الديانات فى صورتها الأخيرة علاقة تصديق لما بقى من اجزائها الأصلية، وتصحيح لما طرأ عليها من البدع والاضافات الغريبة عنها.

وهذا الطابع الذى تتسم به العقيدة الاسلامية، وهو طابع الانصاف والتبصير الذى يطالب كل مسلم ألا يقبل شيئاً جزافاً، ولا ينكر شيئاً جزافاً، وإنما يصدر دائماً

عن بصيرة وبينة في قبوله وفي انكاره، وهذا الموقف ليس خاصاً بموقف العقيدة الإسلامية من الديانات السماوية بل هو موقفها امام كل رأى وكل عقيدة، وكل شريعة وكل ملة.

هذا هو موقف الاسلام من الناحية النظرية من الديانات الأخرى. فما موقفه من الوجهة العملية: هل يقف موقف السكوت عليها والاتصراف عنها؟ أم يقف موقف المحارب المقاتل الذى لا يهدأ له بال حتى يطهر الأرض منها ومن أهلها؟ قليل من المستشرقين يجيبنا بالشق الأول من السؤال منهم "جوتية في كتاب اخلاق المسلمين وعوائدهم" بينما أكثر المستشرقين يجيبون بالشق الثانى. فالاسلام فى نظرهم يريد أن يفرض نفسه على الناس بحد السيف. والقرآن فى نظرهم يأمر المسلم بأن يضرب عنق الكافر اينما لقيه... والواقع أن كلا الفريقين قد جانب الحقيقة فى تصويره لموقف الاسلام.

ليس الاسلام فاتراً ومنطوياً على نفسه كما زعم البعض فالدعوة إلى الحق والخير ركن أصيل من أركان الاسلام وفريضة مستمرة فى كل زمان ومكان ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله﴾ (فصلت ٣٣) ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ (آل عمران ١٠٤). ﴿إن الإنسان لفى خسر، إلا الذين ءامنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ (العصر).

ولكن الإسلام أيضاً ليس كما زعم أكثر المستشرقين - عنيفاً ولا متعشاً للدماء، وليس من أهدافه أن يفرض نفسه على الناس فرضاً حتى يكون هو الديانة العالمية الوحيدة. فالاسلام يعرف أن كل محاولة لفرض ديانة عالمية وحيدة هى محاولة فاشلة ومناقضة لسنة الوجود ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة، ولا يزالون مختلفين﴾ (هود ١١٨) ﴿وما أكثر الناس - ولو حرصت - بمؤمنين﴾ (يوسف ١٠٣). ﴿ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعاً، أفأنت تكره

الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ (يونس ٩٩) ﴿انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾ (القصص ٥٦).

ومن هنا نشأت القاعدة الاسلامية المحكمة والمقررة فى القرآن، قاعدة حرية العقيدة ﴿لا إكراه فى الدين﴾ (البقرة ٢٥٦)، ورسم القرآن أسلوب الدعوة إلى الله ومنهاجها القويم وجعلها دعوة بالحجة والنصيحة فى رفق ولين ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ (النحل ١٢٥).

والقرآن لا يتوقف عند هذا، وإنما يوصى بالوصية الذهبية فى معاملة الوثنية التى هى أبعد الديانات عن الاسلام ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه﴾ (التوبة ٦) فتراه لا يكتفى منا بأن نجبر هؤلاء المشركين ونؤويهم ونكفل لهم الأمن فى جوارنا فحسب، ولا يكتفى منا بأن نرشدهم إلى الحق ونهديمهم طريق الخير وكفى، بل يأمرنا بأن نكفل لهم كذلك الحماية والرعاية فى انتقالهم حتى يصلوا إلى المكان الذى يأمنون فيه كل عدوان. فضلاً عن القاعدة الاسلامية التى تكفل لغير المسلمين فى بلاد الاسلام حرية عقائدهم وعوائدهم، وحماية اشخاصهم وأموالهم وأعراضهم. بل وتمنحهم ما تمنحه للمسلمين من الحقوق العامة "لهم ما لنا وعليهم ما علينا".

وتلك الدعوة القرآنية التى لا تكتفى فى تحديد العلاقة بين الامم الاسلامية وبين الأمم التى لا تدين بدينها، لا تجعلها مبادلة سلم بسلم فحسب ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها﴾ (الأنفال ٦١) ﴿فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً﴾ (النساء ٩٠) بل تطلب من المسلمين أن يكون موقفهم من غير المسلمين موقف رحمة وبر، وعدل وقسط ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم. إن الله يحب المقسطين﴾ (الممتحنة ٨).

^(٤) ولقد جنحت انتصارات الاسلام فى عهده الأول وانتشاره فى العالم بالانسان الغربى إلى الزعم بأن الاسلام دين عدوانى انتشر بحد السيف. والحق أن

هناك أسباباً مختلفة لهذا الانتصار وهذا الانتشار. منها أن تلك الفئة المسلمة القليلة العدد والعدد لم تكن لتستطيع فتح تلك الاقطار والممالك الشاسعة، لو لم تدخل شعوبها في الاسلام افواجاً. فقد اعتنق كثير من النصارى أنفسهم الاسلام ونعنى الهراطقة الخارجين على اجماع الكنيسة الغربى من نصارى المغرب والمشرق، ومنهم النصارى المعروفون بالاريسيين والدوناتيين الذين اعتنقوا الاسلام لأنه يتفق مع اعتقادهم في رفض الطبيعة الإلهية للمسيح ورفض التثليث. فمثلاً لم ير النجاشى منذ أول لقاء له بالمهاجرين المسلمين عام ٦١٤ تعارضاً بين رؤية الاسلام لعيسى ومريم عليهما السلام وبين رؤية المسيحية لهما.

وجملة القول في الموقف النبيل الذى يقفه الاسلام عملياً من غير أتباعه هو: ان الاسلام لا يكف لحظة واحدة عن مد يده لمصافحة أتباع كل ملة وكل نحلة من أجل التعاون على إقامة العدل، ونشر الأمن وصيانة الدماء، وحماية الحرمات، ولو على شروط يبدو فيها بعض الاجحاف. ولقد ضرب لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى في ذلك بقوله في الحديبية "والله لا تدعونى قريش إلى خطة، توصل فيها الأرحام، وتعظم فيها الحرمات، إلا أعطيتهم إياها".

هذا هو مبدأ التعاون العالمى على السلام.. يقرره نبي الاسلام .. ورسول السلام.

* * * * *

المراجع

- (1) "مختصر مدخل إلى القرآن" د. محمد عبد الله دراز. ترجمة محمد عبد العظيم على.
- (2) "Mohamed in the Bible" د. جمال بدوى.
- (3) "الدين" د. محمد عبد الله دراز.
- (4) "الاسلام كبديل" د. مراد هوفمان ترجمة د. غريب محمد غريب

رأى الدكتور مراد هوفمان فى الحوار^(١)

ما الفرص الحقيقية المتاحة للحوار المسيحى الاسلامى اليوم، والذى لامناص منه للحفاظ على السلام العالمى؟ يقول عالم اللاهوت الالمانى "هانز كينج" فى محاضرة فى العاصمة الجزائرية بعنوان "لا سلام فى العالم بدون الوئام بين الأديان" فالسلام العالمى رهن بالسلام الدينى... وكان يرجو أو يتمنى أن تتفق الاطراف المعنية على أن تلتزم الامم بميثاق اخلاقى يقوم على التقارب الدينى وعلى تفهم كل طرف للطرف الآخر - لا أن يتخذوا ديناً واحداً يرتضاه الجميع ويدينون به، ولا أن يضلوا فى متاهات الفوضوية التى تحاول التوفيق بين الاديان المتعارضة... ان تفهم كل طرف للآخر يتطلب شرطاً اولياً مسبقاً هو ان يحترم كلاً منهما الآخر ويتقبله حسب فهمه لذاته. هذا يعنى للمسلم أن يتقبل المسيحيين كما هم غير واصم لهم بأنهم مشركون كفر، حتى وان كانوا - من وجهة النظر الاسلامية - يدينون بوحدانية متميزة.

وعلى الجانب المسيحى ان يكف عن الزعم قولاً وعملاً بأن لا نجاه أو خلاص خارج الكنيسة... ان الكنيسة قد ترتضى ان يكون الاسلام ديناً يهدى للخلاص، لكنها ترفض رفضاً تاماً أن تعترف بنبوته محمد صلى الله عليه وسلم، داعياً إلى الله على ذلك الصراط...

يتضح من ذلك أن التقارب المنشود على صعيد الاديان محدود بحدود، لأن كل دين منها يصطدم بنقاط جوهرية صلبة، لا تطرح للمناقشة للحسم فيها أى لا يتنازل أى طرف عنها أو يرضى المساومة عليها. وتلك النقاط الجوهرية التى ذكرها "هانز كينج" هى :

^(١) الاسلام كبديل د. مراد هوفمان ص ٦٠-٦٢

الناشران مجلة النور الكويتية ومؤسسة بافاريا

ترجمة: د. غريب محمد غريب

- * كون المسيح ابن الله لدى المسيحيين
- * كون القرآن وحى الله لدى المسلمين
- * كون اليهود شعب الله المختار لدى اليهود

والواقع أن القياس يمكن أن يصور هذا التناقض على النحو التالي: محور المسيحية شخص. ومحور الاسلام كتاب، وكلمة الله تجسدت فى المسيحية لحما (عيسى عليه السلام)، وتجسدت فى الاسلام كتاباً - هو القرآن. ولا يعنى ذلك أن الحوار المفتوح بين الاديان عديم الجدوى إذا لجأت الاطراف المتحاوره إلى العناد ولم يتنازل أى طرف عن موقفه بعض الشيء... بل على المرء ألا يسئ تقدير آثار الخطوات الصغيرة وجدوى اللقاءات والمناقشات بين البشر، خاصة مع البسطاء غير المتقنين بشرط عدم سوء النية أو النوازع الخفية التى تستهدف التبشير، ولا يخفى على أحد أن المسلم الحق يستحيل أن يرتد أو أن تفلح معه محاولات التنصير.

* * *

ما نشره الاستاذ احمد بهجت بشأن مؤتمر موسكو

المنعقد عام ١٩٩٥، بجريدة الاهرام بتاريخ

٢٧/٦/٩٥ العدد رقم ٣٩٦٤٩

أوضح د. عبد الودود شلبى فى بحثه امام مؤتمر موسكو أن الاسلام دين له اربع شعب، هى العقيدة والعبادة والاخلاق والشرعية، أما العقيدة والعبادة فلا يفرضهما الاسلام على أحد، وأما الاخلاق فى اصولها فهى لا تختلف بين الاديان السماوية فجميعها تدعو إلى العدل والرحمة والمحبة، أما الشريعة فهى تنقسم إلى جانبين، الاحوال الشخصية، وهم احرار فى اتباعها أو اتباع شريعتهم، أما ما عداها من التشريعات المدنية والاقتصادية والادارية فهم يخضعون لها كما يخضعون لاي تشريعات اخرى تقتبس من الغرب أو الشرق وترتضيها الاغلبية، وفى العقوبات يقرر الفقهاء أن الحدود لا تقام عليهم إلا فيما يعتقدون تحريمه كالسرقة والزنا، لافىما يعتقدون حله كشرب الخمر.

وينتقل د. عبد الودود شلبى بعد ذلك إلى الحديث عن مؤتمر عقد منذ ما يقرب من ٦٠ عاماً وكان يحمل اسم الاخوة الانسانية، وانهقد فى لندن سنة ١٩٣٦، وكانت اهداف هذا المؤتمر تقترب كثيراً من اهداف مؤتمر موسكو، وقد بعث الامام الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الازهر يومئذ برسالة لهذا المؤتمر قال فيها: انه مما يثير العجب ان اهل الاديان يحشدون قواهم لمقاتلة بعضهم بعضاً، بدلاً من حشد قواهم لمقاتلة شرور العالم التى تغمر الانسانية، وتطغى على ما بقى فى النفوس من هبة واحترام للنظم الالهية.

ايضا يحدثنا البحث عن محاضرة الامير تشارلز ولى عهد بريطانيا بجامعة اكسفورد، وهى محاضرة قال فيها شهادته امام التاريخ وكان صادقا وامينا.
قال الامير تشارلز: ان هناك سوء فهم شديدا بين العالم الاسلامى والغربى، ومن الغريب أن يستمر سوء الفهم هذا رغم أن المسلمين والمسيحيين واليهود

أصحاب كتب سماوية وديانة سماوية، ونحن نشترك جميعاً في قيم واحدة منها احترام المعرفة والعمل والرحمة والوفاء والبر بالوالدين... واستمر الأمير يقول: إن مجتمعنا المعاصر في أشد الحاجة إلى هذا الوفاء والبر.. اتنا ننظر إلى الاسلام من خلال بعض الفتن أو من خلال الارهابيين المتطرفين، وهذا خطأ جسيم، إن علينا أن نميز بين الاصولية المتطرفة وبين الصحوة الدينية التي تجعل المسلمين يتمسكون بمبادئهم ومثلهم، إن التطرف ليس حكراً على المسلمين، فعلى الجانب الآخر هناك تطرف مسيحي وتطرف يهودى بنفس الدرجة، وقد ادان الأمير تشارلز ما يحدث للمسلمين في البوسنة والهرسك من مذابح، وكانت ادانته قاطعة وحاسمة.

* * *

كلمة الأزهر الشريف في مؤتمر الأديان العالمي^(١)

يعقد في عواصم أوروبا في دورات متعاقبة مؤتمر يدعى (مؤتمر الأديان العالمي) وقد دعى الأزهر في دورة مؤتمر الأديان العالمي التي انعقدت بباريس في جامعة السوربون فندب فضيلة الدكتور محمد عبد الله دراز ليلقي كلمة الأزهر في ذلك المؤتمر. فألقاها بالفرنسية. وكان إعجاب المؤتمرين بها عظيماً حتى قال عنا السير فرنسيس رئيس المؤتمر: إن كلمة الأزهر هذه هي الكلمة الرئيسية! وقد وافق المؤتمرين بالاجماع على الاقتراحين المقدمين في كلمة الأزهر وفيما يلي ترجمة كاملة لها.

باسم الأزهر، ذلك البيت العتيق الذي هو أقدم الجامعات الدينية العلمية المعروفة في العالم، وأكبر المفاخر الأدبية للقطر المصري ولمدينة القاهرة، والمركز الذي تلتف حوله قلوب مئات الملايين من البشر، يعدونه رمزاً خالداً لحضارتهم، ومنبعاً دائم الفيضان لتقاftهم الروحية.

بل باسم الاسلام، ذلك الدين الخاتم الذي أخرج للناس يأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث، ويضع عنهم إصرهم والاغلل التي كانت عليهم، ويمحو ما بينهم من فوارق الأنساب والأجناس، واللغات والألوان، ليجمع منهم أمة واحدة على قدم سواء، لا فضل لأحد منهم على أحد إلا بالعمل الصالح.

^(١) نقلا عن كتاب "دراسات اسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية" د. محمد عبد الله دراز ص ١٢٩-١٣٩ ط ٤ دار القلم - الكويت.

بل باسم الإنسانية التي اجتمعتم اليوم للتشاور فى الوسائل الفعالة لتخفيف آلامها، وإنقاذها من الهاوية، التي أشرفت على التردى فيها.

باسم الأزهر والإسلام والإنسانية، أرحب بقدمكم، وأحى فيكم ذلك الشعور النبيل الذى أوحى إليكم فكرة هذا المؤتمر، وأتمنى لكم النجاح والتوفيق، فيما تسمونه من الخطط لتأييد السلام العام.

إن نظرة واحدة نلقيها على العالم اليوم، لتكفى لإدراك ما يسود بين شعوبه من روح العداوة والشحناء، وما ينبعث فى أقطاره من زفرات الشكوى والأنين. فمن أين جاءت هذه النزعة الشريرة التي تنذر بأسوأ العواقب؟ أليس منشؤها هو تحكم المادية وازدياد نفوذها فى تسيير مجرى الأمور العالمية؟ وإذا كان الأمر كذلك أفلا يكون العلاج الوحيد هو أن نعود إلى الروح فنعيد إليها سلطانها الذى أهداها فى هذا العصر إهمالاً كبيراً؟ ثم ما هى تلك القوة التي تستطيع أن تضطلع بهذا العبء الشاق إن لم تكن هى قوة الدين؟

غير أننا إذا رجعنا إلى الأديان نلتبس منها المعونة، هالنا ما نراه من اختلافها اختلافاً طالما كان من أسباب الخصومات والحروب، بدل أن يساعد على حسن التفاهم والتقريب بين القلوب، فهل نستطيع أن نجد من وراء هذا الاختلاف وحدة مشتركة فى المبادئ والمطامح تصلح أن تكون محوراً لتقرير السلام بين معتقبيها، وتسهيل تعاونهم على الخير المشترك للجميع؟ هذه هى النقطة الأساسية التي تدور عليها اعمال المؤتمر، وهذا هو الإشكال الذى يحاول المؤتمر أن يجد له حلاً.

أما أنا فأميل إلى أن يكون هذا الحل على أساس الفصل فى الأديان بين ناحيتها الاجتماعية وبين نواحيها الأخرى، وأعتقد أن افتراق الأديان فى عقائدها وشعائرها وكثير من تعاليمها لا يمنع التقاءها من الوجهة الخلقية عند قاعدة واحدة هى أساس التعاون المطلوب، وذلك انها كلها تأمر بالعدل والاحسان، وتتهى عن الظلم والعدوان، وكلها تسوى فى هذه المعاملة الدنيوية بين اتباعها وبين اعدائها.

اسمحوا لى إذا أن استعرض الديانات التى هى اكثر انتشاراً فى العالم اليوم، اعنى الديانة الهندية "البرهمية" والديانة البوذية والديانة اليهودية، والديانة المسيحية، والاسلام، لى أبين بإيجاز ما فى كل واحدة منها من روح التسامح والرحمة الانسانية:

أما الديانة الهندية فإن التاريخ يحدثنا انها لم يقع منها اضطهاد قط للفلسفة الالحادية التى نشأت بين ظهرانيها، حتى ان الفيلسوفين "كابيلا" و "كانادا" وغيرهما أمكنهم أن يزعموا ان كتابهم المقدس "الفيدا" ليس كافياً للخلاص، بل أمكنهم أن ينكروا وجود الإله، البتة، ومع ذلك لم يمسهم من رجال الدين اذى ولا إحراج، بل إن الديانة البوذية التى هى فيما يظهر وليدة تلك الفلسفات الالحادية استطاعت أن تنتشر نظرياتها العدمية بملء حررتها وبقيت على ذلك اثنى عشر قرناً دون أن يقاومها احد من البراهمة بالعنف. نعم إنها آل امرها إلى ان طردت من الهند وهاجرت نحو الشمال ونحو الشرق، حتى زعم بعض المؤرخين انها ألجئت إلى ذلك بتأثير التعصب الدينى البرهمى، لكنهم فى الحقيقة ليس عندهم دليل إيجابى يؤيد هذا الرأى.

والديانة البوذية بدورها ما اعتدت قط على احد من مخالفيها. على ان مبادئها نفسها تضطرها اضطراراً إلى الاحتمال وتوسيع الصدر بكل خلاف، فإن من جرّد نفسه من تأثير اللذة والألم، وجعل منتهى همه إنكار الذات والوصول إلى الفناء والعدم، لا يمكن أن يجد غضاضة فى أى مذهب يخالفه مهما كان متطرفاً. هكذا نجد مشكلة السلام العالمى محلولة بطبيعتها فى الديانة البوذية بحيث لا محل لوضع السؤال فيها.

ولعل الديانة التى تليها مباشرة فى هذا المعنى هى "الديانة المسيحية".
أنها لا تتصل بالأحوال الزمنية إلا اتصالاً ضعيفاً، ولذلك نرى فيها طابع التواضع والسلام، بل قد يقال طابع الخضوع والاستسلام، أوضح من أن يحتاج إلى بيان، فشعارها ليس فقط "احب جارك كما تحب نفسك" بل "احب عدوك وصل لمن

يضطهدك" أو بعبارة أخرى " من ضربك على الخد الايمن فأمدد له الخد الايسر"، وهنا تحسن الإشارة إلى أن المسيحيين في العصور الأولى كانوا يتحرزون تحرزاً شديداً من الانخراط في سلك الجندية، وان من دخلها منهم مضطراً كان يجب ألا يسفك دم أحد، وإلا لكان جزاؤه الطرد من حظيرة الدين.

غير ان الناظر في تاريخ اليهودية والاسلام قد يجد فيهما شذوذاً عن القاعدة، وقد يتسرع في الحكم بعدم انطوائهما على روح الرفق والتسامح، ذلك أن موسى ومحمداً عليهما السلام لم يكونا مؤسسي دين فحسب، بل كان كل منهما جامع شتات أمة ومؤسس دولة: كلاهما كان مشرعاً وحاكماً، وكلاهما قاد الجيوش لفتح بلاد الاعداء، ويضيف الاسلام إلى ذلك انه توسع في هذه الفتوح فأنشأ امبراطورية من أعظم الامبراطوريات في اسرع زمن عرفه التاريخ.

ولكن الخطأ كل الخطأ، بل الظلم كل الظلم للحقيقة، ان توصم هذه الفتوحات النبوية بوصمة البغى والعدوان، فليس هناك مثال واحد يدل على ان اليهودية او الاسلام أباحا البدء بالاعتداء على الطوائف الاخرى سواء أكان ذلك لمقاصد دينية أم لأغراض سياسية، بل الواقع على العكس من ذلك انهما احتملا الاضطهاد أمداً طويلاً قبل أن يأذنا لأتباعهما باتخاذ القوة للدفاع عن حياتهم وعن حريتهم في اعتناق الحق والدعاء اليه، وهذا الدفع المشروع ما زال حقاً مقررأ لايجادل فيه عاقل: "ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل. إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير حق".

يكفى في شأن اليهودية أنها رفعت قيمة الحياة الانسانية إلى درجة لم تصل اليها أشد النظريات العصرية تحمساً في الدفاع عن حق الفرد.

ينقل لنا القرآن عن التوراة ان قتل النفس بغير حق لا يقاس في نظرها بقتل أمة بل بقتل الانسانية جمعاء، وحياته بحياتها: "من أجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل انه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً".

وأما الاسلام فمن السهل الرجوع إلى كتابه وإلى حياة نبيه، فكتابه لا يزال غصاً طرياً محفوظاً في نصه وحرفيته كما تركه صاحبه، وحياة نبيه قد سجلها التاريخ بتفاصيلها بأتم عناية وضبط. وإن نظرة واحدة في هذين المصدرين لكافية في معرفة موقف الاسلام نظرياً وعملياً من قضية السلام العالمي.

نعم ان الاسلام قد خاض كل ميادين الحياة وتدخل في جميع جزئياتها، ولكنه على رغم ذلك بقي محتفظاً بسموه الروحي حتى في اشد الشؤون ارتباطاً بالمادة، وهكذا كان وجه بداعته انه استطاع ان يوفق بين المطالب الروحية والمطالب الزمنية للإنسان، بنسبة عادلة مستقيمة.

لا يتسع نطاق هذه المحاضرة للإتيان على ما في القرآن وتاريخ نبيه من براهين على سماحة الاسلام وسعيه للوحدة والائتلاف بأوسع ما في حدود الامكان، فلنكتف بالاشارة إلى شيء من ذلك، أما من الوجهة النظرية فقد سعى الاسلام لتأسيس هذه الوحدة على دعامين:

أولاً: من طريق توحيد الغاية، وذلك بدعوة الناس جميعاً إلى عبادة إله واحد
ثانياً: من طريق التوفيق بين وسائل هذه الغاية، وذلك ببيان أن الشرائع السماوية ترجع كلها إلى اصل واحد، ودعوة معاصريه من اهل الاديان السابقة إلى تكوين اسرة روحية واحدة تؤمن بجميع الكتب وجميع الانبياء بدون تفرق بين واحد منهم: "إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء" "قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى ابراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون" "إن هذه امتكم امة واحدة وأنا ربكم فاعبدون" . ونرى القرآن في اثناء هذه الدعوة يعنى دائماً بربط الاسلام بالاديان التي سبقت منذ عهد نوح: "شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه"، ويصور نبي الاسلام بصورة المأمور باتباع هدى من قبله: "اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده"، ويقول أنه لم يجرى بجديد يهدم القديم وإنما جاء مجدداً

ما اندرس منه، مبيناً لما خفى ، مصححاً لما حُرِّف: "قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب"، وبالجملة ليعيد الدين إلى نقاوته الاولى.

بل ان اسم الاسلام نفسه "فى اصطلاح القرآن" اسم مشترك يضعه القرآن على لسان اكثر الانبياء المتقدمين، يقول فى شأن ابراهيم: "اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين"، وفى شأن يعقوب: "اذ قال لابنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد إلهك وإله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون"، وفى شأن التوراة وأنبياء بنى اسرائيل: "يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا". وهو حين يقول بصيغة الحصر: "إن الدين عند الله الاسلام" لا يمكن أن يعنى إلا هذا المعنى المشترك بين الأديان المنزلة، وإلا لكان هادماً للأساس الذى أراد ان يقيم عليه بناء هذه الوحدة.

غير أن ما هنا نقطة يجب التنبيه إليها: وهى أن القرآن حين دعا إلى هذه الوحدة لم يجعلها غاية يطلب الوصول إليها من كل طريق، وشراءها بكل ثمن، بل نظر إليها كمثال عال وأمل عزيز ينبغى الاقتراب منه بقدر الطاقة، واعترف فى اكثر من موضع بأن هذا الأمل متعذر التحقيق: "ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك".

هذه النظرة لها نتائجها الطبيعية فى مسلك الاسلام بإزاء مخالفيه، فهى التى جعلته يواجه الحقيقة الواقعة بالاحتمال والتسامح.

وهى التى حددت مهمة الرسول بأنها ليست هى إكراه الناس على الايمان وإنما هى التعليم والانذار ثم تفويض الأمر فى عقائدهم إلى الله الذى سيتولى الحكم بينهم فى يوم الفصل "ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعاً، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين؟" "لا إكراه فى الدين" "فذكر إنما أنت مذكر، لست عليهم بمسيطر" "ما على الرسول إلا البلاغ" "فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم، وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم، الله ربنا وربكم، لنا أعمالنا ولكم اعمالكم، لا حجة بيننا وبينكم، الله يجمع بيننا وإليه المصير" "لكم

دينكم ولى دين" قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزى قوماً بما كانوا يكسبون". ومن المهم أن نلاحظ أن هذا الموقف لا يخص علاقة المسلمين بأهل الكتاب، فإن أكثر هذه النصوص مكية فى شأن الوثنيين أنفسهم. وقد صرح القرآن بأن هذه هى حدود مهمة الرسول بإزاء الطوائف كلها، وذلك فى تلك الآية المدنية الجامعة: "وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم ؟ فإن أسلموا فقد اهتدوا، وإن تولوا فإنما عليك البلاغ، والله بصير بالعباد".

وأما من الوجهة العملية، فالإسلام أولاً: قد حظّر البدء بمناوشة مخالفه أو بمضايقتهم فى الحياة المادية ما داموا مسالمين له، وأمر فى هذه الحال بحسن جوارهم ليس بطريقة سلبية فحسب بل بالبر إليهم، والعدل بينهم: "لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم، إن الله يحب المقسطين". ولقد كان من أول الاعمال التى قام بها النبى بعد الهجرة إلى المدينة مخالفته لليهود ومواخاته بين المهاجرين والأنصار، وبذلك أنشأ فى المدينة أمة واحدة من عناصر ثلاثة مختلفة فى الجنس والدين، يستوى قحطانيهم وعدنانيهم كما يستوى مسلمهم ومشرکهم ويهوديهم، فى حقوق الولاء وحسن الجوار والتناصر على دفع المغيرين. كما كان من أواخر أعماله مصالحته لنصارى نجران، وإقرارهم على دينهم فى قلب الوطن العربى الإسلامى.

ثانياً: فى الحال التى تستحكم فيها العداوة وتكون الظروف مهددة باحتمال وقوع حرب، وضع الإسلام وسائل كافية لاتقائها فى الوقت نفسه الذى يكون فيه المسلمون أشد قوة، وأوصى بقبول كل شروط يعرضها المخالفون ما دامت تؤدى لحقن الدماء وصيانة الحرمات وحسن العلاقات بين الجانبين. ومن الأمثلة الواضحة فى هذا الموقف السلمى النبيل تلك المعاهدة التى وقعها الرسول بنفسه مع قريش فى عام الحديبية. هذا والمعاهدات الإسلامية ليست حبراً على ورق، بل هى عقود دينية يوجب الإسلام تنفيذها بدقة وأمانة حتى مع الوثنيين: "إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله

يحب المتقين". ولقد كان فريق من أهل الكتاب يوفون بعهودهم إلى أهل ملتهم ولكنهم لا يرون الوفاء واجباً بعهودهم مع المسلمين "يقولون ليس علينا في الأميين سبيل" فجاء القرآن ناعياً عليهم هذا التفريق، مبيناً أن الوفاء بالعهد واجب إنساني عام: "بلى من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين".

ثالثاً: في الحال التي تصبح فيها الحرب أمراً واقعاً، وضع الاسلام قواعد عملية كثيرة تخفف من أهوالها وتحدد بإنصاف ما يقتضيه الموقف الدفاعي البحت، فنهي عن قتل المرأة في بيتها والراهب في متعبده، والفلاح في مزرعته، وبالجمله حصر القتال في ميدان الحرب لا يتعداه: "وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم"، وفي هذا الميدان نفسه نهى عن التشفى بالتمثيل والتعذيب: "ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين".

رابعاً: في الحال التي تتجلى فيها المعركة عن ظفر المسلمين، ضرب الاسلام أمثلة عالية في الكرم والصفح عن الماضي وعدم الاستمرار في تتبع الفارين الذين يطلبون الأمان ويلقون كلمة السلام: "ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا". ومن أروع الامثلة في ذلك موقف الرسول يوم فتح مكة مع قريش الذين ناصبوه الحرب والعداء أكثر من عشرين سنة، إذ قال لهم بعد أن ظفر بهم: "إذهبوا فأنتم الطلقاء" وأطلق سراح أكثر من ستة آلاف اسير.

أما أن محمداً صلى الله عليه وسلم نفسه كان مطبوعاً بفطرته على التسامح وحب السلام، وأنه كان داعية توفيق لا تفريق، فذلك ما تدل عليه كل حياته حتى قبل النبوة. ولأضرب لذلك مثالين اثنين فقط: احدهما - حادث الحجر الاسود حين اختلفت القبائل فيمن يكون له شرف وضعه في مكانه من الكعبة وحكموا محمداً "الامين" بينهم، فلم يتحيز في حكمه لجانب قبيلته هو، بل حكم ان يوضع الحجر في رداء، وأن تأخذ كل قبيلة بطرف لتساهم كلها في هذا الشرف، وهكذا كان به حقن دمائهم والتأليف بين قلوبهم. الثاني - اشتراكه حين كان له من العمر خمس

وعشرون سنة فى حلف الفضول، وهو شبه مؤتمر صغير تحالفت فيه قریش على نصر المظلوم وحفظ الامن العام.

إن إثارة هذه الذكرى فى يومنا هذا وفى مكاننا هذا لها موقع خاص فى نفسى، وانى لا استطيع أن أدفع عن خيالى هذه المقارنة بين الماضى والحاضر. ويلوح لى أننا الآن إنما نطبع على غرار ذلك الماضى البعيد، وإنما نترسم الخطوات الاولى للنبي العربى الكريم.

إن فكرة الاجتماع والاتلاف نفسها يرى عليها فى الاسلام مسحة من طابع القدسية، فخير يوم عند المسلمين اسمه يوم "الجمعة" أى يوم الاجتماع، وخير مكان عندهم اسمه "الجامع".

إن المحبة المتبادلة بين المؤمنين هى إحدى النعم العظمى التى يمتن الله عليهم بتحقيقها بالفعل: "واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً". وإن المحبة المتبادلة بين الناس اجمعين هى إحدى الامانى الغالية التى فتح القرآن بابها امام المسلمين: "عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة، والله قدير، والله غفور رحيم". إن اسم "السلام" نفسه واسم "الاسلام" يرجعان فى اللغة العربية إلى أصل واحد، وإن أحب التحيات إلى المسلمين هى الدعاء بالسلام.

وبعد: فإنا نستطيع أن نخلص من هذا البيان إلى النتائج الآتية:
أولاً: أن الاديان كلها، بدلاً من أن تكون سبب نزاع وخصام فى شؤون هذه الحياة، هى على الضد من ذلك تنادى بالاتلاف والوئام.
ثانياً: أن السبب الحقيقى لهذه الخصومات هو بالعكس تعدد الانحراف عن الدين، وإن كل طائفة تثير نار الحرب باسم الدين كاذبة فى دعواها الانتساب إلى دينها.

ثالثاً: أن العلاج الوحيد للآلام الانسانية الحاضرة هو ان يعنى رجال كل دين عناية خاصة بالجانب الخلقى العام منه، فينمّوا فى اتباعهم عاطفة الاخوة الانسانية باسم الدين نفسه.

إن هذا التقارب والتعاون فى الحياة العملية ان تم على وجهه سيكون خطوة أولية فى سبيل التفاهم فى الحقائق الدينية نفسها، ويرجى من وراء ذلك تقليل فوارقها النظرية وتسهيل الوصول إلى الحقيقة بالبحث الحر، فى جو ودئ نزيه.

وفى الختام أحب أن أعرض على هيئة المؤتمر اقتراحين عمليين ارجو ان يؤخذ الرأى عليهما:

الأول: أن تنشر خلاصة قرارات المؤتمر على رجال الدين فى كل أمة، وان يرمى منهم المساهمة فى علاج الازمات الراهنة بحث اتباعهم على اقتفاء هذه المثل العليا.

الثانى: ان يطلب باسم المؤتمر إلى مختلف الحكومات ان تتصف الشعوب المظلومة التى تحت نفوذها.

إننا إن فعلنا ذلك نكون قد قمنا بنصيبنا من الواجب الدينى والانسانى لخير الجميع .

* * *

النص الكامل لترجمة كتاب

SHALOM / SALAAM: A Resource for Jewish - Muslim Dialogue

مع إضافة

تعليقات اسلامية هامة بالهوامش

(التعليقات التي لم يذكر بجوارها اسم هي للاستاذ احمد الكردي - المعلق على الكتاب - أما التعليقات الأخرى فهي منسوبة إلى أصحابها).

الفهرس الأصلى للكتاب المترجم

صفحة

٤٦	تنويه عن الكتاب
٤٨	مقدمة الكتاب
	<u>الابحات النظرية</u>
٥٠	١. "الحاجة إلى حوار بين المسلمين واليهود"
	الحاخام جارى م. بریتون - جرانثور
٥٥	٢. "من المرض إلى الحوار" الحاخام اندريا ل. ويس
٦٧	٣. "دروس مستفادة من الحوار بين النصارى والمسلمين
	من أجل الحوار بين اليهود والمسلمين" - ج. داندلى وودبرى
٧٤	٤. "الهوية اليهودية فى عالم الديانة الامريكية
	المتغير" - جوناثان سرنا
٩٤	٥. "ابراهيم: أهو اليهودى الأول أم المسلم الأول؟
	نصوص وتراث وحقيقة فى الحوار بين الأديان" - روفن فايرستون
١١٦	٦. "النمو الفلسفى فى الاسلام واليهودية: نموذج من العصور
	الوسطى يقدمه للعصر الحاضر" - ليونارد كرافيتز
١٢٥	٧. "اكتشاف اخوة اليهود والعرب من جديد: إحدى اللوازم
	الملحة للقرن الواحد والعشرين" - عبد الوهاب حشيش

البرامج العملية

١٤٥	البرنامج رقم ١ .. تمهيد.. بدأت الرحلة
-----	---------------------------------------

تنويه

إن نشر هذا الكتاب: "شالوم/ السلام: أسس مشتركة للحوار بين اليهود والمسلمين" لم يكن ليتم لولا توجيهات ومشاركة عديد من الشخصيات. فنحن نشكر الذين شاركوا أساساً بمقالاتهم في هذا المشروع: الاستاذ عبد الوهاب حشيش - بروفيسور في إدارة الحكومة والشئون الخارجية بجامعة جنوب فلوريدا - وليونارد أ. كرافتز - بروفيسور في المدراس والمواظف في كولدج الاتحاد اليهودي - المعهد اليهودي الديني بنيويورك - و ج. دادلي وودبري عميد واستاذ مشارك في الدراسات الاسلامية بمدرسة الرسالة العالمية بمدرسة فولير الاكليريكية. ونعبر عن تقديرنا لجوناثان سرنا - رئيس الدراسات الشرق أوسطية واليهودية بجامعة Brandeis - وسوزان ديفيد ويلشتاين بمعهد الدراسات السياسية اليهودية لتصريحهما بطباعة مقال د. سرنا وكان المقال قد نشر في "الهوية اليهودية بامريكا" Jewish Identity in America بمعرفة ديفيد م. جورديس ويواف بن هورين (لوس انجلوس - جامعة الديانة اليهودية عام ١٩٩١). أما مقال روفن فايرستون - البروفيسور في التاريخ اليهودي في العصور الوسطى بكونج الاتحاد اليهودي - المعهد اليهودي الديني بلوس انجلوس - فقد نشر بجريدة CCAR (في ربيع ١٩٩٢). ونشكر الدكتور فايرستون والحاخام لورانس انجلندر - ناشري جريدة CCAR لتصريحهما لنا بطباعة المقال.

وقد شارك كثيرون آخرون في هذا الكتاب بعلمهم ورأيهم حول الحوار اليهودي المسلم سواء بالهاتف أو بالحضور مثل د. قطبي أحمد^(١) والإمام الدكتور سالم عوجة^(٢)، ود. محمود أيوب، ود. أوجين بروفيتز، والحاخام جاير

^(١) مدير مكتب رابطة العالم الاسلامي بواشنطن

^(٢) مدير وامام المركز الاسلامي بنيويورك

دافيس، ود. ايفون يزيك حداد، والحاخام مارتين لوسن. والأخت جلادى محمد. ، ود.عظيم ننجى، والسيدة سونى رمسى احمد، ود. مزمل صديقى^(١)، ود. ميكائيل سجنر. والسيدة كارن وود. ونقدر جهود د.فليب ميلر، ود.ميان اشرف اللذين قرأ مسودات البرامج.

وفضلاً عن ذلك نود أن نشكر قسم الانتاج باتحاد الجمعيات الامريكية اليهودية (وبخاصة بات فالون. وفيفيان فرناندز، وهيلين فريدلند) وقسم النشر باتحاد الجمعيات الامريكية اليهودية (ستو بنيك. وشارين افيف) وفوق كل ذلك فنحن مدينون للجهود الكبيرة التى بذلها مود برنس فى المساعدة فى نشر المخطوطات وفى طباعتها.

وينبغى أن نخص بالفضل الحاخام جيروم دافيدسن لدعمه وارشاده الدائمين كرئيس للجنة UAHC لشتون ما بين الأديان. فإنه قد أوضح هو وطائفة معبد Beth El بجريت نك، الثمار التى حققها الحوار بين اليهود والمسلمين.

الحاخام	الحاخام
أندريا ل.ويس	جارى م. برينتون - جرانتيتور
قسم شئون ما بين الأديان باتحاد	مدير قسم شئون ما بين
الجمعيات الامريكية اليهودية	الأديان ومدير مشارك لجنة
UAHC	العمل الاجتماعى لليهودية
	الاصلاحية باتحاد الجمعيات
	الامريكية اليهودية
	UAHC

• • • •

^(١) مدير المركز الاسلامى بلوس انجلوس

مقدمة

أ - الأهداف:

يقرب هذا الكتاب العلاقات بين اليهود والمسلمين من ناحيتين: التربية والمشاركة. والمقالات تمثل تمهيداً للحوار بين اليهود والمسلمين وتوضح جذور العلاقات اليهودية المسلمة. كما توفر البرامج العملية دراسة الديانة اليهودية والاسلام من خلال الحوار والعمل المشترك.

وتساعد المقالات الأربعة الأولى في وضع أساس الحوار بإثارة الأسئلة: لماذا ندخل في حوار بين اليهود والمسلمين؟ وكيف نحقق ذلك على أحسن وجه؟ أما المقالات الأخرى فإنها تضع الحوار اليهودي المسلم في إطار تاريخي موضحة المنظور المسلم اليهودي للروابط الماضية بين الديانة اليهودية والاسلام.

وأما البرامج، فالمقصود منها تحقيق عدة أهداف أساسية ألا وهي تلقين المشتركين معلومات حول الاسلام وحول الديانة اليهودية، وإقامة علاقات بينهم على المستوى الفردي والجماعي ويستهدف شكل محتوى البرنامج انجاز هذه الأهداف بإتاحة الفرص للعديد المشتركين كي يتبادلوا معرفة الأعراف الدينية لكل منهم كي يسهل عليهم أن يشارك بعضهم بعضاً في المصاعب وفي الأعياد الخاصة بحياتهم الدينية.

وكما هو واضح من عنوان البرنامج الأول والأخير، فإن هذه الحلقات الستة للحوار هي بمثابة انطلاق لرحلة، تجعل طريق الحوار اليهودي المسلم ذا مغزى، ويرسى كل برنامج الاحترام والثقة والصداقة، ويحقق فهماً أوسع وإحساساً أعمق لما ينطوي عليه معنى أن يكون الإنسان امريكياً مسلماً أو امريكياً يهودياً.

ب - الانطلاق:

الخطوة الأولى من أجل إقامة الحوار، واضحة كل الوضوح ألا وهي تجميع فريق من المهتمين بالحوار من المسلمين واليهود. بالإضافة إلى الاتصال

بالمنظمات الدينية الموالية في منطقتكم، فإن المنظمات التالية - مع غيرها - نستطيع
أن نقدم العون والمساعدة:

UAHC office of Interreligious Affairs
Rabbi Gary Bretton - Granatoor, Director
838 Fifth Avenue, New York, NY 10021
(212) 249 -0100 (ext. 485)

The Muslim World League
Dr. Dawud Assad
President, council of Mosques of the USA
134 West 26 th street, New york, Ny 10001
(212) 627 - 4033

ولقد حرصنا عند وضع هذا الدليل أن يجرى الحوار بأيسر الطرق الممكنة.
فلا يتحتم أن يكون اليهودي أو المسلم عالماً من علماء الدين لكي يعمل بالبرامج،
ولأن يكون البحث المطلوب على نطاق يتجاوز الحدود. وإنما يكفي لإتجاز البرامج
أن يكون مستوى إعداد المسلم واليهودي معتدلاً.
وعلى المسئولين قبل الحلقة الأولى أن يحددوا تواريخ اللقاءات وأن يعدوا
عدة جداول توضح تاريخ وموضوع ومكان كل حلقة (لتوزيعها في أول لقاء). وإن
أمكن أن يكون مكان اللقاءات متبادلاً بين المعبد والمسجد.
وينبغي قبل البرنامج الأول أن يحصل المشتركون على نسخ من هذا
الكتاب، وأن يقرءوا المقالات الأربعة الأولى لكي تساعد في إعداد المشتركين
للحوار (بينما تدخل المقالات الأخرى في البرامج الأخيرة).

ويطلب وقت إعداد البرنامج الثاني شريط الفيديو "إبراهيم ونريته" من :
Jewish chautauqua city, 838 fifth Avenue, New York NY 10021, (212) 570
- 0707.

• • • •

"الحاجة إلى حوار بين المسلمين واليهود"

بقلم الحاخام جاري م. بريتون - جراناتور

سمحت الطائفة اليهودية لنفسها أن تعيش زمناً طويلاً جداً في ظل مفاهيم خاطئة ومعلومات غير صحيحة عن طائفة المسلمين. بالإضافة إلى أن عناوين الصحافة وأساليب السياسة المعاصرة قد ألقت ظلالاً من التعتيم على ١٣٠٠ عام من العلاقات مما سهل علينا نسيان تاريخ ملئ بالمشاركة التي كان لها جذور إيجابية وعميقة.

وكما أن الديانة اليهودية كان لها أثر قوى على المسلمين وثقافتهم، فقد كان للإسلام أثر هائل على شعبنا وماضيه. واين كنا نحن اليوم لولا الاعتماد على العلوم والرياضيات - المرتبطة بالفكر الاسلامي ارتباطاً وثيقاً - والتي غذت عقول كبار مفكرى اليهود مثل Yehuda Halevi , Saadia Gaon وموسى بن ميمون؟ كما اتخذ الجدل الاسلامي في العقيدة والاعمال الصالحة بمدرسة المعتزلة طريقه إلى موسى بن ميمون وظهر في كتابه Guide to the Perplexed (ارشاد المحترق). وكان فلاسفة اليهود في العصور الوسطى مثل Yehuda Halevi , Saadia Gaon قد تشكلوا في فكرهم على نفس منوال عالمهم الاسلامي. والحق إنه لم يكن لنا أن نتعرف على كبار مفكرى الاغريق مثل افلاطون أو أرسطو لولا الترجمات الإسلامية لأعمال هؤلاء التي أنجزها علماء مسلمون مثل الفارابي وابن رشد، فأتيج لمفكرى اليهود ولغيرهم أن يطلعوا عليها.

لقد شكل الافتقار إلى المعرفة علاقتنا بالمسلمين خلال العقد الماضى إلى حد بعيد. فمثلاً رغم اننا نسمع كثيراً عبارة "مسلم" وعبارة "عربي" ونستخدمهما بمعنى واحد، إلا أنه من الجدير بالذكر أن العرب لا يمثلون سوى عشرين في المائة من العالم الاسلامي. وبالفعل كم نعرف نحن اليهود عن العالم الاسلامي؟ اننا نسمع كلمات مثل "الجهاد" و"رمضان" ولكن هل نعرف معناها الحقيقي؟ وإلى أى مدى

تقنم المناورات السياسية الخاصة بالشرق الأوسط علاقات كان فى الامكان أن تتوثق وأن تثمر؟ هذه هى المفاهيم الخاطئة التى ينبغى أن نبدا اليوم فى تبديدها. إن هذا النقص فى المعرفة هو الذى يتعين علينا أن نستكمله بالتربية والحوار. هنا واليوم يجب إزالة القضايا السياسية التى تقف عقبة فى طريق علاقات جديدة مع إخوتنا المسلمين والمسلمات. انه يجب أن نلزم أنفسنا بالمضى معاً فى هذا الطريق. ألسنا كلنا ذرية أب واحد لإله واحد؟

فى بداية علاقتنا بالمسلمين احتل اليهود والنصارى منزلة خاصة فى الأهمية فى أرجاء العالم الإسلامى. وباعتبارنا "أهل الكتاب" كنا غير ملزمين باعتناق الإسلام. وشغل اليهود مناصب مرموقة فى الحكومات الإسلامية حيث كانت السيادة الإسلامية تطبق الشريعة. والقرآن – النص المقدس فى العالم الإسلامى – استخدم مبادئ^(١) اليهود والنصارى القانونية والثقافية كأساس تطورت أعرافهم عليه. وتتفق بعض القواعد الأساسية فى العقيدة الإسلامية مع العالم اليهودى. وأصول المأثورات المكتوبة والمأثورات الشفهية تشبه السنة الإسلامية. فما يطلق عليه التوراة فى الأثر اليهودى هو القانون المكتوب بينما المشنا والتلمود هما الأثر الشفهى. والقرآن هو القانون المكتوب ولكنه لا يدرس وحده لإستنباط مبادئ الإسلام. والأثر الشفهى والقصص والتعليقات التى تشبه كثيراً المدراس و meforshim " موجودة فى الأحاديث وقصص الأنبياء (التي يشبه عنوانها "قصص الاجداد")^(٢) ^(٣) .

^(١) لم يستخدم المسلمون مبادئ اليهود والنصارى القانونية. وإنما استخدموا المبادئ التى نزل بها الوحي من السماء. وهى مبادئ جاء كثير منها فى الكتب السابقة فهل التشابه فى هذا يعنى أن المسلمين استخدموا مبادئ اليهود والنصارى؟

^(٢) لا مجال للتشابه بين المشنا والتلمود وبين السنة. إذ ثبتت السنة بأسانيد نوقشت وقومت حتى عرف انقسام السنة إلى سنة متواترة وغير متواترة. وعرف من هذه الدراسة الحديث الصحيح والحسن والضعيف والموضوع.

إن قلب الإسلام فى القرآن. وهو يتضمن الوصايا العشر وأصول العقيدة الستة وأركان العقيدة الخمسة. ولا شك أن الوصايا العشر مألوفة لدى أغلب القراء. أما أركان العقيدة الخمسة فهي: -

١. النطق بالشهادة
 ٢. إقامة الصلوات الخمس فى اليوم مستقبلاً مكة
 ٣. إخراج الزكاة لإعانة الفقير ونشر العقيدة
 ٤. مراعاة الصوم فى شهر رمضان إحياء لذكرى نزول القرآن^(١) (مثل الـ shavuot عندنا)
 ٥. الحج إلى مكة إذا توافرت القدرة البدنية والمالية.
- وأما أصول العقيدة الستة فهي:
١. الله واحد^(٢) ^(٣)
 ٢. القرآن كتاب الله المنزل وحياً
 ٣. ملائكة الله كائنات مقدسة مخلوقة لعبادة الله وتقابل الارواح الشريرة
 ٤. الله يرسل الأنبياء إلى الأرض فى أوقات معينة لأهداف معينة ولا يفرق بينهم (آخرهم محمد. ومن الأنبياء نوح وإبراهيم وموسى وداود وكثير من أنبياء اليهود)
 ٥. ويوم الحساب سوف توضع الحسنات والسيئات فى الميزان

^(١) المشنا والمدراش هي تفسيرات لحاخامات اليهود قديماً وحديثاً (فتحي حجازى).

^(٢) صيام رمضان ليس لإحياء نزول القرآن، ولكنه فرض على كل مسلم لأن الله أمر به.

^(٣) من أصول العقيدة: الله واحد ومحمد رسول الله. وليس القرآن وحده من أصول العقيدة بل كل الكتب المنزلة بما فيها التوراة.

^(٤) الله واحد ومحمد رسول الله، والواو بمعنى اضافة وتأکید نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وأنه خاتم الانبياء والمرسلين (فتحي حجازى).

٦. إن حياة الناس واعمالهم معلومة لله إلا أن الناس يصنعون أقدارهم بأيديهم. وهم أحرار في صنع أو إفساد مستقبلهم، وفي محاولة إقامة الحياة الشريفة.

وعلى مر الزمان قامت الخلافات بين أتباع الاسلام وبين جيرانهم اليهود والنصارى. وبينما يوجد كم كبير من الكتابات الهجومية على النصارى، يوجد أقل منها ضد اليهود ومع ذلك فإنها لم تتقدم تماماً من ماضيها المشترك. ولقد كان هناك زعماء إسلاميون كانوا يعملون بالترحيب باليهود وبالديانة اليهودية، غير أنه يبدو أن أعداد النصارى الذين اعتنقوا الاسلام قد تسببوا في قيام شعور وكتابات معادية لليهود. ومن الجدير بالملاحظة أن الهجوم ضد اليهود والديانة اليهودية في العالم الاسلامي قد اتخذ نفس المنحى الذي اتخذته الكتابات الهجومية النصرانية. والتهمة التي وجهت لليهود كانت أنه كلما ظهرت ديانة جديدة وقف اليهود في صلابة متمسكين بعقيدتهم^(١)، ورفضوا اتباع تعاليم الدعوة الجديدة. ومع ذلك فلا يستطيع أحد أن يتهرب من حقيقة أن عدداً كبيراً من التعاليم اليهودية ظهرت في كل من القرآن والأحاديث^(٢). والعكس صحيح إذ كان تأثير الفقه الاسلامي ملموساً على القانون الحاخامي (geonic halacha) وبخاصة في مسائل المواريث والهيئات والأيمان والربا والإقراض.

^(١) ولم يكن تمسك اليهود بدينهم تهمة في نظر المسلمين، فقد عايش اليهود المسلمين فلم يقع إلقاء لهم بسبب عقيدتهم، ولو اكتفى اليهود بصلابتهم في التمسك بدينهم ما آذاهم أحد. بل لقد تجاوزوا التمسك بالعقيدة إلى معارضة كل دين جديد. وهذا ثابت بالنسبة للمسيحية والاسلام. فعندما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم سالمهم، وعقد معهم معاهدة دفاع مشترك عن المدينة، ولكنهم بعد ذلك نقضوا عهودهم.

^(٢) يسعد المسلمين أن يتمسك اليهود بكتابهم المقدس، ولو فعلوا ذلك لآمنوا بما جاء بكتابهم عن بشارة

عيسى عليه السلام ونبو محمد صلى الله عليه وسلم (فتحي حجازي)

^(٣) ان ظهور بعض التعاليم اليهودية في القرآن ليس لأنها مقتبسة من اليهود. ولكن القرآن نزل مصدقاً لما قبله. والذي أنزل القرآن هو الله جل جلاله - الذي أنزل التوراة. قال تعالى ﴿وازلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه﴾ (المائدة ٤٨).

إن ماضينا مليئ بنقاط الالتقاء والتناظر، والتبادلات الإيجابية والتفاعلات السلبية. غير أن يهود اليوم يبدون اهتمامهم بالأحداث الجارية لا بهذا الماضي الغني المعقد. إن قوالب الإزدراء والسلبية التي أصدرتها الصحافة تضيء ظلالاً سوداء على شعب نبيل في تاريخه وفي عقيدته. ونحن اليهود قد قبلنا هذه الصور المؤسفة^(١) واستخدمناها لتوسيع الهوة بين شعبينا. إن هذه الفجوة هي التي نأمل أن نضيقها بفتح الطريق أمام الحوار والتعامل المتبادل المبني على الحق.

إن خطوتنا الأولى من أبسط ما يكون. هي أن نفتح أبوابنا وأن نمد أيدينا وأن نستقبل أخوتنا المسلمين والمسلمات بالترحاب. وعندئذ علينا أن نتعلم ما يتعلق بالعالم الإسلامي والعقيدة الإسلامية وأن ندخلها إلى تراثنا الغني. ومعنى هذا أن نتعلم أعيادهم وتقويمهم وتعاليمهم الأولية وآمالهم الدينية، وأن نطلعهم كيف يمارسون عقيدتنا وأعيادنا وتقويمنا وتراثنا. وكلما تفحصنا أوجه التشابه، وادركنا وقدرنا أوجه الخلاف، كلما وجدنا اهتماماتنا المشتركة وتعرفنا على ما يؤدي به بعضنا البعض. - وبعد أن نكون هذه المهام^(٢) قد وضعنا بكل معناها على الطريق فعندئذ فقط يمكننا أن ندخل المسائل السياسية في الحوار. إذ بدون هذا الشرط الأساسي - ألا وهو الفهم المتبادل لتراث كل منا - فإن المناقشات السياسية قد تنتهي إلى كلام منمق وغوغائية. يحدونا الأمل أن يؤدي استخدام هذا الكتاب إلى قيام الحوار بين الأمريكان المسلمين والأمريكان اليهود. ونصلي من أجل أن يقرب هذا المشروع بيننا وبين أخوتنا المسلمين والمسلمات، وبالتالي يؤدي إلى إيجاد عالم أكثر سلاماً وانسجاماً - وهو العالم الذي أمرنا الله الواحد بأن نحققه.

^(١) إن هذه الصورة المؤسفة لم يصنعها المسلمون، وإنما رسمها اليهود بأقلامهم وعلوانهم المسلح على أرض المسلمين. فقد عاش اليهود في جميع بلاد المسلمين يتمتعون بكل حقوقهم. وعندما ترك المسلمون الأندلس خرج اليهود وعاشوا مع المسلمين في بلادهم. ولا تزال بقاياهم في المغرب وشمال إفريقيا تشهد بصحة ما نقول.

^(٢) إن المهام لا تضع أحداً، ولا أمة، على الطريق. وإنما هو السلام القائم على العدالة والإيمان به

"من المرض إلى الحوار - مدخل إلى الحوار بين اليهود والمسلمين" بقلم الحاخام أندريا ل. ويس

يصف كتاب اللاويين المشهد التالي: عاد رجل إلى داره في آخر النهار وهو يتوقع أن يجدها تماماً كما تركها في الصباح. ولكن كم كانت دهشته حين فتح الباب ولاحظ على الفور أن بيته قد تعرض لتغيير غريب: إذ ملئ الهواء برائحة الطين الغليظ، وشوهت البقع الحمراء والخضراء جدران البيت، وتحطم الجص وتفتت وسقط على الأرض. فسيطر الرعب على صاحب الدار وعاد مسرعاً إلى خارجه. واندفع نحو الكاهن وهو يصرخ ويقول "قد ظهر لى شبه ضربة في البيت" (اللاويين ١٤-٣٥).

أمر الكاهن بنقل الأشياء خارج البيت خشية أن يصبح كل ما في البيت نجساً. وبعد ذلك اقترب الكاهن وفتح الباب وعاین الجدران. ومسح بأصبعه الأحجار وكانت باردة ورطبة وعفنة ونظر حوله وهو يقول متعجباً "ما نوع هذا البيت؟ وما الذي أحدث هذا التلف بالجدران؟"

إن البيت الذي أتحدث عنه ما هو إلا بناء حجري كان موجوداً في وقت ما بأرض كنعان، وكان يسكنه واحد من بنى إسرائيل في الماضي البعيد. إلا أن هذا البيت على سبيل الاستعارة يمثل صورة الموقف السائد اليوم تجاه الحوار بين المسلمين واليهود.

من المحتمل في الغالب ألا تكون هذه أول مزاملة لكم. وعلى كل حال ما علاقة بيت ملوث بما يشبه الطاعون بالحوار بين اليهود والمسلمين؟ رغم ما يبدو في ذلك من الغرابة فإن صورة البيت المصاب تفيد المعنيين بهذا الحوار إذ تساعدهم

على فهم ما ينبغي أن نتغلب عليه من أجل إقامة علاقة إيجابية، وما مدى المخاطرة التي يجب على قدرتنا مواجهتها من أجل ذلك.

إن البيت الخاوي والمبنى من الحجارة والجص تمثل امكانية بناء علاقات ذات معنى مع جيراننا المسلمين - الفرصة - كأفراد وكطوائف - كي نشارك بعضنا بعضاً في قصصنا وأن يعلم بعضنا بعضاً كيف نحن في الحقيقة. أياً كان مكاننا سواء في ديترويت أم في مينيابوليس، في نيويورك أو فيرو بيتش، في اجتماع اكليروسي محلي، بكلية هيل أو بالتبادل بين معبد وبين مسجد. فإن هذا البيت بمعنى من المعاني موجود حيث يوجد يهود ومسلمون يعيشون ويعملون ويلعبون جنباً إلى جنب. وحيث يمكن تحويل إحدى الصدق للتعاش السلمي إلى فرصة للتربية والصدقة. هنا نكون قد وجدنا البيت، وهنا يمكن أن يبدأ الحوار بين اليهود والمسلمين.

غير أن كثيراً من الناس يظنون أن هذا لن يتم، ويقولون "ابقوا بعيداً عن البيت" "فإن شيئاً مثل الطاعون قد ظهر على الجدران".

في مثل البيت الاستعماري الذي يرمز للحوار بين اليهود والمسلمين فإن ما يشبه الطاعون الذي يغطي الجدران، هو العقبات التي تهدد بإتقطاع الحوار وتمنع الحديث حتى مجرد أن يبدأ. إن قائمة العقبات الكامنة قائمة طويلة منها العقبات السياسية والعقائدية والتاريخية والخوف من غيرها ومن غير المعلوم منها. وكثير من العقبات يمكن أن يكون مصدر مواجهة ودمار محتملين.

العقبة الأولى طاعون عالم السياسة. فطبقاً لما يقرره الدكتور عظيم ننجي من جامعة فلوريدا فإن القضايا المحلية بالشرق الأوسط قد أصبحت عالمية. ونتيجة لذلك فإن يهود ومسلمي البلاد البعيدة عن الشرق الأوسط يتقابلون "فوق رؤوسهم سحابة سياسية" تهدد بتعتيم كل المظاهر الأخرى للعلاقات^(١). ورغم أن العرب يمثلون فقط عشرين في المائة من الشعوب الإسلامية، فإن هذه السحابة الرمادية المشنومة تظلم رؤيتنا وتجعل الكثيرين يعتقدون أن الشرق الأوسط هو كل ما يمكننا

أن نتحدث فيه، وأن الحوار بين اليهود والمسلمين والنزاع العربى الاسرائيلى هما شئ واحد ونفس الشئ. ولذلك فإن الذين حاولوا بناء الجسور بين المسلمين الامريكيين واليهود الامريكيين كاندوا أن يجمعوا على أن الحوار لا يمكن أن يبدأ بالسياسات العالمية. وإذا أردنا لجهودنا أن تكمل بالنجاح فما علينا إلا أن نوجه^(١) انظارنا إلى الغرب لا إلى الشرق الأوسط.

والعقبة التالية هى عقبة طاعون سوء التفاهم. فالبعض يظن أن المسلمين كلهم اراهابيون أو أصوليون. والبعض الآخر يعتقد أن الاسلام عتيق وغير متغير. ويقولون "إنهم سوف لا يتكلمون معنا"، "إنهم لا يستطيعون أن يفهمونا"، "إنهم ببساطة لا يهتمون".. فكر جامد ومكرر، وجهل وخوف.. شئ ما يشبه الطاعون قد ظهر على الجدران^(٢) (٣) .

"اغلقوا الباب"

"سدوا النوافذ"

^(١) توجيه الأنظار إلى الغرب وصرفها عن الشرق الأوسط يمثل هروباً من الحقيقة الواقعة. فكيف تقام جسور الحوار بين الشعوب الاسلامية واليهودية وفى الشرق الأوسط إنتهاك لأرض مسلمة وشعب مسلم ومساجد وحقوق ضائعة وسلام ناقص . وبسؤال هل قبل مشكلة الشرق الأوسط كانت هناك أدنى مشكلة بين المسلمين واليهود ؟ ألم يكن اليهود يعيشون فى سلام ووثام فى جميع البلاد العربية والاسلامية ؟ وهل كان هناك أى داع للحوار ؟ كانت المحبة والصداقة سائدة بين الجميع والاحترام متبادل لكل أصحاب الأديان . ومن جانب آخر هل يصرف اليهود انظارهم واهتمامهم وتأييدهم لاسرائيل من أجل إقامة الحوار ؟ (مهندس طلعت فوزى) (انظر بند ٦ فى المقال الرابع) .

^(٢) ليس هذا هو الذى يمنع الحوار فى الشرق الأوسط أو خارج أمريكا بل اتهامكم للمسلمين بهذه التهم التى هى من صنع أوروبا وأمريكا. فلا المسلمون أصوليون بالمعنى الذى تفهمونه للاصولية. ولا الإسلام عتيق. فالاسلام فى أصوله (كما يفهمها المسلمون) ثابت لا يتغير، ولكن شريعته تسير الحياة ، وتجبى بكل وضوح عن كل جديد. وباب الاجتهاد فى الشريعة الاسلامية واسع ولن يغلق.

^(٣) بل الاسلام يشجع على الحوار والانفتاح المستثير على غير المسلمين بصفة عامة من اجل تعايش سلمى وسلام عادل لصالح الانسانية جمعاء (فتحى حجارى).

"امجروا البيت"

هذه هي الاجابات التى حصلت عليها حينما بدأت العمل بهذا الكتاب. ونظراً لضآلة معلوماتى عن الاسلام، ولأنه لم يحدث لى أن تحدثت مع مسلم، فقد بدأت بحثى بالتحدث مع علماء المسلمين وعلماء اليهود والزعماء الدينيين، وجمع كل الكتب التى يمكن أن أعثر عليها وبعنوانها كلمة "اسلام" أو "مسلم".

وهكذا تعلمت ما الطاعون. وذلك عندما اكتشفت أنه بينما كثير من الكتب قد نشر عن اليهود والمسلمين بالجزيرة العربية فى القرن السابع، أو بمصر أو اسبانيا فى العصور الوسطى. فإنه يكاد لم يكتب شئ عن العلاقات المعاصرة بين المسلمين واليهود. وفى مقابل القدر الهائل من الوقت والجهد الذى استثمر فى الاسهام وانعكس على الحوار اليهودى المسيحى، فإن العمل المشترك بين المسلمين واليهود هو حتى الآن نادر نسبياً. كما أن الحوار بين المسلمين واليهود قد تم تجاهله وتلاقيه لزمناً طويلاً بعد أن حجبته التشاؤم وعدم الثقة.

أدى هذا الاكتشاف إلى سؤال يجب أن يطرح وأن يجاب عليه لكى يتحقق الحوار بمعناه الحقيقى.. هو: لماذا نبدأ الآن؟ بدلاً من الصمت والتردد ومواجهة التحديات الكثيرة.. لماذا نبدأ هذا الطريق الطويل المحفوف بالمخاطر؟ أمام مواجهة تساقط الاحجار وتهدم الجص.. لماذا مجرد محاولة اصلاح البيت؟

الاجابة على هذه الاسئلة تقتضى منا أن ننظر عن قرب وبأمانة إلى من نحن. يجب أولاً أن نعترف أننا كأمريكيين فإننا نعيش ببعض الأساطير عن أنفسنا. فحتى فى عصر تعدد الثقافات يتحدث المشرعون وزعماء الطوائف عن القيم اليهودية المسيحية التى قادت بلادنا، ويعلم الساسة ورجال الدين أن الولايات المتحدة وطن ثلاثى الأطراف. أى مجتمع يشتمل على البروتستانت والكاثوليك واليهود. اننا نقسم فطيرة التفاح المنزلية إلى ثلاث قطع متساوية، زاعمين أن الأديان الثلاثة تتمتع كل منها بنفس النفوذ والتمثيل، ومدعين أن تراث عقيدتنا وحده هو الذى صنع الفطيرة.

والحقيقة أنه اذا قدرنا عدد البرونستانت بحوالى ثمانية مليون، وعدد الكاثوليك الرومان بخمسة وخمسين مليوناً، وعدد اليهود بستة ملايين، فإنه يوجد الآن اربعة ونصف مليون مسلم بالولايات المتحدة الأمريكية. ولقد تصاعف عدد المساجد والمراكز الإسلامية فى هذه البلاد أربعة مرات خلال العشر سنوات الأخيرة. وأنه حتى عام ٢٠١٥ أى بعد اثنين وعشرين عاماً من الآن يفدر الخبراء أن عدد المسلمين سوف يتجاوز عدد اليهود وسوف يمارس تأثيراً متزايداً على الفكر الأمريكى. إن الاسلام اليوم هو ثانى أكثر الأديان انتشاراً على مستوى العالم، وعن قريب سيصبح ثانى أكثر الأديان انتشاراً بالولايات المتحدة^(١).

إن علم الحساب وحده يلزمنا بأن نعيد تقدير كيفية تقسيم القطيرة. وتطالبا الاحصائيات بأن نتساءل كيف ستتغير أولوياتنا وهويتنا فى ظل تشكيل العالم الجديد. وما معنى ألا نعد نرى أنفسنا أقلية منعزلة وموزعة داخل مجتمع مسيحى؟ وبدلاً من ذلك أن نكون جزءاً من أصغر الأجزاء الكثيرة التى تتكون منها الحياة الدينية الأمريكية؟ وهل سيتعرض وضع اليهود السياسى والنفسى للهبوط؟ - طالما أن صورة الوطن ذى الهيمنة اليهودية المسيحية سوف تنزوى تدريجياً - أم سوف يزداد اليهود قوة فى الشعور الانتمائى وفى النفوذ؟

إن المسح السكائى والتنبؤات الديموغرافية تجبرنا على أن نطرح أسئلة صعبة وأن نواجه الخوف وقابلية الجراح التى تصاحب التغيير فى الغالب. إلا أنها أيضاً تذكرنا أننا كأقلية دينية فى أمريكا لسنا وحدنا. إنه فى عام ١٩٩٣ وليس عام ٢٠١٥ يجب علينا أن نتحرى ماذا يعنى لنا نحن اليهود تزايد نمو الاسلام. إنه اليوم وليس بعد اثنين وعشرين عاماً من الآن، يجب أن نبدأ رحلة الحوار والالتحام.

وبينما الدراسات الديموغرافية يمكن أن تحتثنا على أن تمتد إلى الطائفة الاسلامية، فإن علم الحساب لا يمدنا إلا بالقليل. كما أن الاحصائيات لا تستطيع أن

^(١) ولماذا يخشون هذا؟ والاسلام دين التسامح والألفة والسلام. والاسلام ليس ثانى الأديان انتشاراً فى العالم بل هو أول الأديان انتشاراً لم انصف العرب فى الإحصاء

تمحو الطاعون عن حوائط المنزل، ولا يمكن للأرقام أن تبني الجسور، أو أن تبذل القوالب، ولا أن تعلم اليهودى معنى أن يكون الإنسان مسلماً، ولا المسلم معنى أن يكون الإنسان يهودياً.

وعلى أحسن الفروض فإن الحوار بين الأديان هو "إثراء للحياة"⁽²⁾ وهو فرصة "للتطور والتسامى الذاتى"⁽³⁾. ولتحقيق هذه الاهداف فعلى اطراف الحوار أن يتصلوا ببعض، لا بسبب الخوف من الدراسات الديموغرافية، ولكن من أجل أهمية التربية والتفاهم، وفوائد الاتصال والترابط، وما يمكن أن تحققه العلاقات الطيبة من وعود.

ومن الأهمية بمكان أنه يجب أن نلزم أنفسنا بأن نواصل الحوار لا لمجرد المكاسب التى يمكن تحقيقها، وإنما من أجل من نحن. إننا مواطنون أمريكيان نعيش فى مجتمع تعددى. وتتضمن التعددية منا العمل المشترك والتعاون بيننا. إننا معشر اليهود قد تعلمنا الاستقامة والرحمة، فمن تعاليمنا "وإذا نزل عندك غريب فى أرضكم فلا تظلموه. كالوطنى منكم يكون لكم الغريب النازل عندكم وتحبه كنفسك. لأنكم كنتم غرباء فى أرض مصر" (لاويين ١٩: ٢٣/٢٤).

إننا كأمرىكان مسلمين وأمريكان يهود، كنا جميعاً غرباء. ترى يهودياً من بوسطن من أصل بولندى يمثل الجيل الثالث. وترى مسلماً كان أجداده قد وفدوا إلى ديترويت من لبنان. وترى إسرائيلى المولد يعيش فى نيويورك. وترى أفريقياً أمريكياً قد اعتنق الاسلام. وترى يهودياً وقد نشأ يتكلم الفارسية فى بيته، ومهندساً من باكستان، وابنة من أسرة مصرية كانت تعيش بالقرب من مسجدها المحلى.

إننا جميعاً نتجول.. لقد كنا جميعاً غرباء.. ولا شك أننا نستطيع أن نتكلم مع بعضنا البعض وجهاً لوجه، كما يتحدث الصديق إلى صديقه، ولا ريب فى أننا نستطيع أن نجد مكاناً للقاء، حيث يمكننا أن نستبدل الادعاءات والتعميمات بالأسماء والوجوه، والجهل بنفاذ البصيرة، والخوف والعداوة بالصدقة والأمل.

حين نجتمع نحن الأمريكان اليهود والأمريكان المسلمين فإننا نفعل ذلك رجالاً ونساء ونحن نضع على وجوهنا أقنعة كثيرة. فهناك الدين والعرقية والقومية في عالمنا المعقد. إننا نأتى إلى الاجتماع كأفراد يحملون التعقيد، وكطوائف فيها الاختلاف. وعندما نكون قادرين على أن يشارك بعضنا بعضاً تاريخنا.. هنا نجد 'حواجز الاختلاف'⁽⁴⁾ وقد أطلت برأسها. ففي كلامهم نستطيع أن نلاحظ صدى تجاربنا السابقة ومعاركنا الحالية. وفي كلامنا نستطيع أن نجد نقطة للمراجعة والترباط، إذ يستطيع الغرباء أن يكونوا حلفاء، ويمكن للمبعدين أن يجدوا أنفسهم أقل ضعفاً وأقل عزلة.

وعندما كنت أبحث عن وسيلة استمع بها إلى صوت المسلمين المعاصرين، عثرت على كتاب بعنوان "القيم الإسلامية بالولايات المتحدة" (Islamic Values in the United States). والكتاب دراسة اجتماعية عميقة لثلاث طوائف إسلامية، يتحرى أوجهاً كثيرة لمعنى أن يكون المسلم عاملاً بدينه وهو بالولايات المتحدة. إن التحليل المركز للقاءات والتطبيقات تعكس صورة طائفة تواجه السؤال الجوهرى فى كيفية أن يعيش المسلم مسلماً فى بلد غير مسلم. وإلى أية درجة يكون الإنسان قادراً - أو حريصاً - على أن يندمج اجتماعياً فى الثقافة الأمريكية؟ وبصفة خاصة بالنسبة للأعداد الوفيرة لجيل المسلمين الأمريكان الأول. وكيف يدخل الفرد فى علاقة مزدوجة - لا تقوى بالتبادل - بين الولاء للإسلام وبين مسئولية الفرد تجاه الوطن الجديد؟⁽⁵⁾

وفى محاولة الكتاب الرد على هذه الأسئلة، يقص علينا عدة قصص. فيما يلى بعض منها:

أقامت مجموعة من المسلمين وافدة من بلد واحد مسجداً لطائفتهم. ومع ذلك عندما حدث تدفق من مهاجرين جدد وفدوا من بلد آخر بدأت جموع المصلين والممارسات التعبدية تتغير. فأصبحت السيطرة على المسجد بيد المهاجرين الجدد،

وصارت اللغة العربية هى الأولى، وتوقف النشاط الاجتماعى، وتقيدت السيدات بالملابس التقليدية وبمساحة منفصلة لصلاتهن.

ناقش أحد الاعضاء المؤسسين للمسجد نتائج هذه السيطرة الجديدة:

أصبح تسعة وتسعون فى المائة من المصلين هناك يعرفون ويتكلمون العربية، وبالتالي لم يعد هناك داعٍ للتحدث بالانجليزية فى هذا المسجد لتحقيق خدمة دينية ناجحة. غير أن طائفة المسلمين المولودة هنا والذين لا يعرفون غير القليل أو لا شئ من اللغة العربية تألمت واستمرت تتألم من هذا الارتداد إلى الأصل. وبما أن الآباء أنفسهم لم يكونوا يفهمون أو يتكلمون العربية فلم يكونوا يضغطون على أولادهم لذلك. وهم يقولون "إنك لا تستطيع أن تقول لابنك "عليك أن تذهب لتتعلم العربية وأن تذهب إلى المسجد لكى تستمع إلى الإمام يتحدث بالعربية" فإن الابن لن يتحمل ذلك. وهكذا كان الأمر بالنسبة للمسلمين المولودين هنا إذ كان على المساجد إما أن تزيد من تعليم الاسلام عن طريق اللغة الانجليزية وإما أن يعانى هؤلاء دائماً من الرفض أو من عدم الاهتمام⁽⁶⁾.

وفى عام ١٩٧٣ توجهت سيدة مسلمة مع زوجها إلى الولايات المتحدة فى صحبة أشرطةها الشابة. وعلى أثر أول مشاهدة لموسم أعياد الكريسماس قالت: لا يوجد مسلمون بين جيراننا. وبعد عام من وصولنا، كانت ابنتى ذات الأربع سنوات تلعب مع أولاد البيت ورأت أنوار الكريسماس وجميع الاشياء على اختلافها. فسألتنى لماذا أعيادنا لا تشتمل على مثل اشجار وأنوار الكريسماس. ولقد حاولت أن أفهمها قائلة: "انظرى يا ابنتى إن هؤلاء مسيحيون. لهم دينهم ويجب عليهم أن يحتفلوا به. ونحن لنا ديننا ولنا احتفالاتنا التى نقيمها فى وقتها". ومنذ ذلك الوقت وحتى اليوم فأبنتى فى كل عيد احضر لكل واحد من أولادى هدية حتى ولو كانت امكانياتى لا تسمح بذلك فى بعض الاحيان⁽⁷⁾.

إن الاستماع إلى هذه الأصوات هو من بعض الجوانب استماع إلى ذات أصواتنا. إننا فى ظل رابطة وصحبة مشجعة، نتذكر أنفسنا ونشعر اننا لسنا وحدنا

فى معركة المحافظة على هويتنا الدينية والعرقية وسط عالم فيه الغالبية غير المتدينة. اننا نبحث فى معامل المعبد أو المسجد، فى معسكر الصيف أو فى المركز الطائفى، عن الصيغة السحرية التى تمكننا من المحافظة على التراث الثقافى من تحول القيم والممارسات الدينية، ومن حماية أنفسنا من إغراء التماثل مع المجتمع.

ورغم اننا لا نستطيع أن ننسى أو نتجاهل الفروق التى تفرق بين الأمريكى المسلم والأمريكى اليهودى، فإن المشاركة فى المعارف والملاحظات يمكن أن تحقق نتائج طيبة. وطالما أن بعضنا يعلم البعض الآخر ممارساتنا واهتماماتنا الدينية، فإن الحوار سوف يودى إلى سبل كثيرة لإمكانات إسداء العون والترابط.

وخذ مثلاً: تحالف Kashrut الحديث. حيث أن كثيراً من المسلمين يمتنعون عن الخنزير ويأكلون اللحوم المذبوحة حسب الشريعة، فإنهم كثيراً ما يشترون المنتجات المباحة فى الشريعة اليهودية. وكان نتيجة ذلك أنه عندما اعربت طائفة اليهود الأورثوذكس عن قلقها بشأن الزيوت الحيوانية التى توجد فى الحاربات الصلب التى تستخدم فى نقل المنتجات المطابقة لشريعة اليهود، ساندتها المجلس الإسلامى للقوت والغذاء Islamic Food & Nutrition Council فى جهودها من أجل تغيير هذا الوضع. وطالب بإلحاح جمعيات اتحاد اليهود الأورثوذكس Union of Orthodox Jewish congregations ومجلس شهادات نجمة K كوشر K - Star Kosher certification board وجماعة أدفانتستس اليوم السابع seventh day، Advantists بإلحاح وبنجاح شركات الصلب للتخلص من بقايا هذه الزيوت الحيوانية.

وفضلاً عن القضايا الغذائية، فإن قوائم المسائل المشتركة ومجالات إمكانات التعاون سوف تستمر فى الزيادة بنمو العلاقات. من الصلاة فى المدارس والعمل من أجل استعادة الحرية الدينية Religion Freedom Restoration Act ، إلى قضايا تتعلق بالأسرة والعدالة الاجتماعية. وكلما زادت معرفتنا حول بعضنا بعضاً كان وضعنا أفضل فى بناء الجسور والعمل المشترك من أجل الخير للجميع.

أكد الدكتور قطبى احمد - المدير السابق لمؤثر العالم الاسلامى بأمريكا الشمالية - هذه الدعوة عندما نادى "بالمزيد من التعاون بين الطائفتين لكى يروا القضايا المشتركة تتحقق فى صالح المجتمع" وعندما تكلم عام ١٩٩١ (٨) فى بنغال جمعية اتحاد اليهود الامريكيين، اعلن انه حضر ومعه تفويض من مؤتمر العالم الاسلامى بالبده فوراً فى الحوار بين المسلمين واليهود.

وعندما سئل عن باعث المسلمين للدخول فى حوار مع اليهود رد الدكتور قطبى احمد بأن اليهود بوصفهم جيران امريكان، فأننا فى حاجة إلى المزيد من التفاهم والتعاون معهم. إننا نحتاج إلى أن نقف معاً لنواجه المنعطفات ونبدد الصور العقلية عن المسلمين والعرب التى تزعم انهم أعداء^(٩). إن كثيراً من المسلمين لديهم استجابة لهذه الرغبة فى عقد الحوار لكى يرى الآخرون أن الإسلام ليس دين الإرهاب وإنما هو دين السلام^(١٠). إنهم يريدون أن يكون دينهم معروضاً عرضاً أميناً ومتمتعاً بالاحترام. انهم يرغبون فى أن يكون مقبولا كما هو، لا مصطنعاً لكى يصبح مثل الثقافة المسيطرة. وبعض المسلمين يدعو إلى إجراء تفويض دينى للحوار، مشيرين إلى الوضع الخاص فى الاسلام الذى يميز اليهود والنصارى ويصفهم بأنهم "أهل كتاب"^(١١). بينما آخرون ينهون^(١٢) إلى أننا نعيش فى "بيئة عالمية متداخلة الصلات" وهذه البيئة تدعو إلى الحوار^(١٣).

اننا كأمرىكان مسلمين وكأمرىكان يهود لدينا جميعاً الكثير من الامكانيات لتقديمها من أجل الحوار. ينبغى علينا أن ننظر إلى هذا الحوار على أنه ضرورة - وليس ترفاً - وعلى أن له أولوية مباشرة لا كشيء يمكن عمله فيما بعد أو تركه ليقوم به الغير.

وحيث أننا نقف امام بيت الحوار بين اليهود والمسلمين فعلىنا أن نتذكر انه طبقاً لكتاب اللاويين لا حاجة لأن نهدم البيت لمجرد أن حوائطه قد تغير لونها، أو لأن بناءه قد تخرّب. وبدلاً من الهدم فإن الكاهن قد عاد بعد سبعة أيام من المعاينة الأولى لاصلاح الحوائط إذا لزم الأمر. وإذا كان الطاعون قد انتشر فإنه أمر

باستبعاد الاحجار المصابة والجص المتكسر، وباستبدال الاحجار القديمة بأحجار جديدة، وتغطية الحوائط بطبقة جديدة من الجص، وقد يعود البيت إلى حالته الصحية الأولى ويصبح قابلاً للسكنى ما دام لم يعد هناك أى تخريب آخر.

لقد طال الانتظار على المسلمين واليهود. وقد آن الأوان لكى نعود معاً إلى البيت وان ننطلق لاصلاح حوائطه.

من العداوة إلى الصداقة، ومن الغربة إلى الجوار، ومن الصمت إلى التحالف، ومن المرض إلى الحوار - أليس هذا التحول فى متناول ايدينا فى حقيقة الأمر؟.

مراجع البحث:

- (1) أشكر الدكتور عظيم نجى من جامعة فلوريدا عن التوضيحات التى اشتركنا فيها معاً خلال محادثة تليفونية فى ٥ فبراير ١٩٩٢.
- (2) هانس كونج "القابلية للحوار والثبات : عن فضيلتين إضافيتين" فى "التعددية الأصولية والحقيقة" : دافيد تراسى وتفا سير الدين" الناشر ورنج جيلروند وجنيفر ل. رايك (نيويورك شركة كروسرود للنشر ١٩٩١) ص ٢٣٩.
- (3) مكايلى أ. سجنر Communitas et Universitas : "من النظرى إلى العملى فى الدراسات اليهودية المسيحية" فى "عندما تقابل اليهود والنصارى" الناشر Jakob J. Peruchowak نيويورك مطابع جامعة State بنىويورك - ص ٧٧.
- (4) نجى
- (5) ايفون يزبك حداد وأدير ت. لوميس "القيم الاسلامية فى الولايات المتحدة" (نيويورك. مطابع جامعة اكسفورد ١٩٨٧) ص ١٥٥، ١٥٦-١٥٧.
- (6) المرجع السابق ص ٤٢.
- (7) المرجع السابق ص ٩٥.
- (8) قطبى احمد بنىالى UAHC ٣ نوفمبر ١٩٩١.
- (9) قطبى أحمد - محادثة تليفونية فى ٣ فبراير ١٩٩٢.
- (10) القيم الاسلامية ص ١٥٨.

(11) حداد - محادثة تلفونية في ٣ فبراير ١٩٩٢ .

(12) مزل صديقي - مدير الجمعية الاسلامية بـ Orange County ٥ فبراير ١٩٩٢ محادثة

تلفونية.

(13) ننجى.

"دروس مستفادة من الحوار بين النصارى والمسلمين

من أجل الحوار بين اليهود والمسلمين."

بقلم ج. دادلى وودبرى

بعد سنوات من الحوار الجيد والسئ مع المسلمين فى أنحاء العالم، سوف أحاول أن أوضح فى البداية ما الحوار الحقيقى، ثم كيفية إعداد الإعداد الجيد، وأخيراً بعض الخطوط الإرشادية المفيدة.

ما الحوار؟

يقتضى الحوار وجود فردين أو جماعتين يستمع كل منهما للآخر بقصد التعارف وفى جو يسوده الاحترام والصراحة فى الإصلاح عن عقيدة كل منهما. ولقد اشتركت فى عدد من "الحوارات" بين المسلمين والنصارى فى المعسكرات الجامعية، وكانت الحوارات فى ذلك الوقت أقرب ما تكون إلى الجدل بسبب عدم وجود الاتصاف حياً فى التعرف على الغير.

والموقف المطلوب أولاً: هو الالتزام بالتواضع. فقد حدث مرة أننى أنا وإفريقى أمريكى مسيحى يعيش ويعمل بلوس انجلوس، شعرنا أننا مدفوعان للاعتذار لإمام المركز الإسلامى "بأورانج كاونتى" عن الآلام التى تسببنا فيها - نحن النصارى - للمسلمين على مدار التاريخ بمثل الحروب الصليبية والاستعمار. وكانت نتائج هذا الاعتذار مفيدة.

وثانياً: الاحترام ضرورى إذا كان صافياً. فالمسلمون لا يذكرون القرآن دون أن يصفوه بكلمة نبيلة. ولا يذكرون أحداً يعتبرونه نبياً إلا بوصفه بصفة التكريم. والاييرانيون المسلمون يستخدمون عبارة "حضرة" مثل "حضرة إبراهيم، حضرة محمد". وفى حوار "بكانسس سيتى" تصادف أن سمعت قول أحد المسلمين أنه يشعر بالقرب من النصارى بسبب التزامهم بالاحترام فى موقفهم.

وثالثاً: الانفتاح للمعارف الجديدة. فقد ازددت فهما للتوراة من المسلمين الذين فهموا بعض الموضوعات فى التوراة وفى القرآن أحسن مما فهمت. وأخيراً: ينبغى أن تنمو الثقة. فقد كنت أنا وصديقى البروفسور محمود أيوب من جامعة تمبل، مدعويين إلى سمنا هارتفورد للمعاونة فى تقويم برنامجهم. وكنا نتناقش فيما يجب عمله، وأكلنا معاً وتجادلنا ثم ذهبنا سوياً إلى الفندق. وبلغت ثقتنا ببعضنا اننا تكلمنا عن ذلاتنا.

وبما أن كلا من النصرانية والإسلام ديانة سماوية، فيجب أن تكون الصراحة المتبادلة هى السمة الطبيعية للحوار الصريح الذى لا ينبغى أن يتعارض مع الرغبة فى الاتصاف المتصف بالاحترام وحب الاندماج مع الغير. ويجب أن نتأكد لدى كلا الطرفين الرغبة فى أن يتقبل الطرف الآخر فهمه للوحى المنزل من عند الله. فإن ذلك أدعى إلى زيادة الثقة.

ويمكن أن يتباين الحوار فى شكله ومضمونه. ومن شأن الحياة المشتركة والعمل المشترك فى خدمة مشروعات جماعية أن يسهل تحقيق التفاهم فيها كما فعلت مع المسلمين عندما اشتغلت معهم بمركز زراعى بلبنان. ويفضل عمل أشياء من باب المزاح باعتبار أن ذلك من مظاهر الصداقة فى أغلب الثقافات وكذلك الأكل معاً بانتظام. ولقد كنت أحضر اسبوعياً بالقرب من كليبات "كلارمنت" عشاء ومناقشات لأطراف متعددة الأديان بينما كانت زوجتى تحضر اجتماعات الجمعية العربية.

إن التجارب الجماعية لا تؤدى إلى الصراع الجدلى. ويمكن أن تقتضى إحدى هذه التجارب حضور الانسان جلسة يتعبد فيها أطراف آخرون ويحاول الانسان أن يشعر بالتجربة ولو باشتراكه الشخصى إلى المدى الذى يستطيع أن يتحملة بطريقة معقولة، وحتى يشعر أصحاب العقيدة الأخرى أن التجربة ملائمة.

ويتسامى الحوار ذو الطبيعة الروحية البحتة بقيام المسلمين بعرض تجاربهم الروحية، فمثلاً عرض أحد الأئمة وابنه منذ عدة سنوات مضت أمام جماعة من

النصارى كنت بينهم - تجربتهما فى الصيام^(١) بأحد مساجد القاهرة. ويمكن أيضاً أن يشتمل الحوار على المشاركة فى رواية قصص حول موضوع يكون موضع اهتمام فى التنشئة والتربية فى ظل العقيدة الأخرى، كما فعلت أخيراً جماعة من اليهود والنصارى والمسلمين "بنو أورليانز".

وكثيراً ما يتم الحوار حول موضوع له اهتمام مشترك. كما حدث فى لجنة تعدد الأديان الأمريكية من أجل السلام فى الشرق الأوسط U.S. Interreligious Committee for Peace in the Middle East ولكن هناك احتمال أن يتحول هذا الحوار إلى حقل ألغام إذا كانت العواطف مشتعلة وجهات النظر متباينة.

أما الحوارات المتعلقة بالمفاهيم وبالعقائد فيمكن أن تتم على مستوى أكاديمى. فبوصفى عضواً بمركز الدراسات النصرانية بباكستان، كنت اشترك بانتظام فى مثل هذه الحوارات مع موظفى معهد البحوث الإسلامية المجاور. أو يمكن أن يتحقق الحوار داخل طائفة ذات عقيدة واحدة تدعو متخصصاً فى العقيدة الأخرى لى يلقى كلمته. وقد دعت كنيسة "سان بترز" بالقرب من لوس انجلوس أخيراً مدير المركز الإسلامى "بأورانج كاونتى" ودعنتى معه للمشاركة بهذه الطريقة.

إعداد الحوار

وصف القرآن اليهود والنصارى بأنهم "أهل كتاب" مما يمكن أن يساعد كثيراً فى ادخال رؤية خاصة بالكتاب المقدس. وهذا على جانب من الأهمية نظراً لمخاوفنا المشروعة من حركة التوفيق بين العقائد ومن نسبية الحقيقة. ولقد قامت جماعة - كنت مشتركاً معها- من الكنيسة المشيخية البروتستانتية بالولايات المتحدة بمهمة التوجيه فى مثل هذه الموضوعات.

^(١) لا يشترط لصيام المسلم إتمامه فى مكان معين كالمسجد أو غيره .. ولعل القصة عن إفطارهما بالمسجد مع جمع من الصائمين (المترجم).

وهناك بعض النصوص المشجعة على الحوار فى الكتب اليهودية المقدسة تنص على الآتى: "لا تشهد على قريبك شهادة زور" (الخروج ٢٠: ١٦) و "تحب قريبك كنفسك" (اللاويين ١٩: ١٨). أما بشأن الوعد بالعلاقة مع الله خارج نطاق شعب الله المختار، فهناك أدلة كثيرة، مثل الميثاق بعد الطوفان "لأنك ميثاقاً أبدياً بين الله وبين كل نفس حية فى كل جسد على الأرض" (التكوين ٩: ١٦)، ولقاء ابراهيم وملكى صادق (التكوين ١٤: ١٨-١٩) وعظمة اسم الله بين الأمم (ملاخى ١: ١١).

ويستطيع النصارى أيضاً أن يجدوا أدلة إضافية خارج نطاق الكنيسة عن حقيقة الله وعمل الله. فمثلاً البرهان على الله فى الطبيعة وفى ذات ضمائرنا (رومية الاول والثانى)^(١). وإن الله "لم يترك نفسه بلا شاهد" (أعمال ١٤: ١٦-١٧) و "بل فى كل أمة الذى يتقيه ويصنع البر مقبول عنده" (أعمال ١٠: ٣٤-٣٥).

وبالإضافة إلى ذلك يجب التحرى عن قيمة الحوار. من أجل تصحيح القوالب الفكرية والمساعدة على نمو التفاهم وتبادل الأفكار والتعاون والشهادة witness. وعلاوة على ذلك فالحوار لا يطالب الفرد بالتخلي عن الاعتقاد فى انفراد عقيدته وتميزها ما دام الحوار يتضمن شهادات صحيحة.

وكثير من الحوارات التى اشتركت فيها ارتادت نفس الطريق. ولذلك هناك فائدة من دراسة نتائج اللقاءات السابقة من أجل البناء على منوالها.

إن نسبة قوة كل طائفة ممثلة فى الحوار تؤثر على فعالية الحوار. ولذلك فإن الطرف الأقوى محلياً يحتاج إلى أن يكون حساساً عند تحديد مكان اللقاء بحيث يعتقد فى المكان الذى يشعر الطرف الآخر فيه بالأمان. وكنت عادة فى الولايات المتحدة اقترح عقد اللقاءات فى مقر المسلمين باعتبارهم أقلية. وينبغى أيضاً أن يتم

^(١) حقيقة الله فوق قدرات العقل. كما جاء فى الأثر "تفكروا فى آلاء الله، ولا تفكروا فى ذات الله فضلوا". (الآلاء هى النعم).

التخطيط جماعياً. فقد كان لدى بعض زعماء المسلمين في "كنساس سيتي" حساسية لهذا النوع من التخطيط المشترك.

خطوط إرشادية للحوار

تشتمل الخطوط الإرشادية للحوار أولاً: على حق كل طائفة في تعريف وتوضيح موقفها. فقد كان من أكثر تجاربي فائدة يوماً بباكستان أني إلتقيت برجل مسلم صالح. وقام كل منا بشرح عقيدته في حضور أتباعه. وكان كل منا حريصاً على أن يتكلم فقط عن نفسه.

ثانياً: يجب عقد مقارنة بين نقاط التماثل في العقيدتين .. في المثل العليا أو في الممارسات العملية لدى كل فريق. ولا تعدد المقارنة بين العقيدة المنهجية لفريق مع الممارسات الشعبية لدى الفريق الآخر. ومع ذلك فإن عرض المعتقدات الواقعية لدى الأفراد قد يكون ذا فائدة علمية كبيرة. فمثلاً بينما الاسلام المنهجي ينكر أبوة الله فقد قابلت بعض المسلمين يتصورون الله كاب لهم^(١) وبذلك كانوا أقرب إلى مفهوم النصارى عن الله بعكس ما يقرره الاسلام الصحيح.

وثالثاً: البحث عن طرق لتلافي وقوع أية مواجهة بين الفريقين. فمثلاً عندما كنت أوضح في الاسلام النقاط التي كانت تبدو غير ملائمة في نظري، كنت أحرص في الغالب على أن أجعل القضية قضيتي فأقول: "اننى اواجه مشكلة هنا .." أو "كيف تتعاملون مع هذه النقطة؟". وحينما كان يوجه لى سؤال مثل "ماذا تفهم عن محمد؟" ولعلمى أن جزءاً من ردى يمكن أن يكون جارحاً، فقد كنت أجيب بسؤال آخر مثل "كيف تظنون اذا قلت ان نبياً عظيماً قد جاء بعد محمد؟". ولعلمى انهم سوف يؤكدون ان محمداً هو خاتم الانبياء، فاننى استطيع أن أقول إننى اشعر

^(١) لا يجوز أن تكون القضايا التي يقوم عليها الحوار مبنية على أنهام العامة، والروايات التي لم تصح، ولا الأقوال المختلف عليها. فمفاهيم المبادئ الاسلامية يرفض ذلك فالفه (لم يلد ولم يولد) (الاخلاص ٣).

بنفس الشيء بالنسبة لعيسى. بذلك اكون اوضحت رأيى دون أن أقول اى شئ سلبى يمكن أن يكون له نتائج عكسية^(١).

وحدث فى مدينة "سان مارينو" منذ فترة وجيزة أن نشر بالصحف مقال غير ملائم عن العرب. وكان يمكن أن يودى ذلك إلى مواجهة حادة، ينتج عنه بعض الانعكاسات الدينية. ولذلك اقترحت زوجتى أن يقوم ذوو الأصل العربى بكتابة رد ايجابى، وباصدار كتب مجانية توزع على المكتبات المدرسية وتوضح الفروق العرقية والدينية.

وبنفس الطريقة، بدلا من مهاجمة الحكومة الاسلامية^(٢) بافغانستان وبالمملكة العربية السعودية، عن القيود المفروضة على الحرية الدينية عندما كانت عائلتنا تعيش هناك. فاننى اشتركت مع بعض الموظفين الحكوميين فى إعداد مذكرة قوية تطالب بالتسامح والحرية وتستند إلى مراجع اسلامية. ان التردد فى نقد موقف الطرف الآخر يمكن أن يودى إلى سرعة صدور نقد من هذا الطرف الآخر لتاريخ تراث الطرف الأول. لقد وجدت ذلك صحيحاً فى مسائل الحرية والسلام.

رابعاً: ان مقر الطائفة يسهل مناقشة القضايا. وكان هذا جلياً عندما كنت اعمل مع المسلمين بمركز زراعى ببلبنان. وتنمو العلاقات إذا أتيح للمسلمين أن يكونوا هم المضيفين، أو باستعارة بيضة، أو بالتوقف لتناول فنان قهوة. وتتوثق العلاقات أيضاً بالعمل من أجل صالح حقوق الاقليات فى بلادنا، وبالتأكيد على

^(١) واذا كان المقصود من الحوار الوصول إلى قدر من التفاهم والتلاقي، فهل هذه الاجابة تصلح لذلك؟

^(٢) كان أولى بالمؤلف أن يذكر موضوع المذكرة التى قدمها لكى يوضح الاسباب الواقعية للمطالبة بالتسامح والحرية استنادا إلى مراجع اسلامية كما يقول لكنه لم يفعل. وكان التسامح والحرية لا تكون موجودة فى ظل الحكومة الاسلامية. وهذا هو نهج الغرب فى تشويه صورة الاسلام حتى وصل الأمر إلى الصورة المؤسفة التى تحدث عنها مؤلف المقال الأول فى هذا الكتاب. وكان المؤلف بهذا الاسلوب الملتوى لم يهاجم الحكومة الاسلامية بافغانستان والمملكة السعودية. (المترجم)

استياء المسلمين فى المواقف المشابهة لقضية سلمان رشدى، وكذلك بمحاولة شرح آلام المسلمين امام الغير.

خامساً: ومما يسهل سير الحوار عمل جداول للاعمال وتحديد الثوابت Parameters والقواعد الاساسية. ففى حوار حديث بين الأديان "باورليانز"، تحركنا بنجاح نحو اهدافنا بفضل مراعاتنا لذلك.

سادساً: أثبتت تجارب الحوار بين الأديان فى عديد من المعسكرات الجامعية ان التقدم يكون حليف الحوار بطريقة بناءة كلما كان اكتشاف نقاط التماثل والاتفاق يتم قبل نقاط الخلاف والتعارض سواء كان ذلك على مستوى العقيدة أم على المستوى العملى.

وأخيراً: محاولة إيجاد توازن بين عدد المشتركين فى الحوار وإن أمكن فى الجنس من حيث الانوثة والذكورة. فإن ذلك أدعى إلى التخفيف من مشاعر حب الدفاع عن النفس لدى الفريق الممثل بعدد أقل.

ولقد كان من أكثر تجاربى فى الحوار نجاحاً ما كان من أحد العلماء الباكستانيين عندما سألنى: ما الهدف الرئيسى لبنى الانسان؟ ولقد أجبتّه من واقع تراثى "هو تمجيد الله وارضائه بصفة دائمة" وبعد أن سألنى عن معنى ذلك، عكفنا معاً على وضع جدول اعمال لمناقشة اجابتي. ومن خلال هذا العمل المشترك تزايد فهمنا لكيفية تمجيد الله وإرضائه مع دوام الأمل فى أن يدخل الطرف الآخر فى تجربتنا عن الله.

• • • •

"الهوية اليهودية في العالم المتغير للديانة بأمريكا" بقلم "جوناثان د. سرنا"

ترجع بداية الجهود التي بذلت بشأن التنبؤ بمستقبل الطائفة اليهودية بأمريكا إلى القرن التاسع عشر. واتسم معظم النبوءات بالتشاؤم. فقد تنبأ الرئيس السابق جون آدمز في رسالة له إلى مردخاي^(١) نواح عام ١٨١٩ عن احتمال "أن يصبح اليهود مع الوقت جماعة ليبرالية من النصارى الموحدين". وكتب طالب شاب يهودى امريكى يدعى "وليم روزبلات" عام ١٨٧٢ وصرح أن غالبية أحفاد اليهود المهاجرين إلى امريكا بالتأكيد سوف يتزاوجون فيما بينهم وسوف يهملون شعيرة الاختتان، وتنبأ أنه خلال خمسين سنة "على الأكثر" سوف يصبح اليهود "غير مصنفين" عن الكتل البشرية التي تحيط بهم". وبعد قرن من الزمان أى فى عام ١٩٦٤ خصصت مجلة LOOK عدداً كاملاً عن "اليهودى الامريكى الزائل" باعتباره اكثر الموضوعات جدلا فى ذلك الوقت. وبعد ذلك فى عام ١٩٨٤ حذر الحاخام "روفن بولكا" فى كتاب بعنوان "تصدع الاصلاح الأورثوذكسى ومستقبل الشعب اليهودى" The Orthodox-Reform Rift and the Future of the Jewish People "اننا نسير نحو كارثة من عدم التكافؤ العدى الذى لن نستطيع الطائفة اليهودية بامريكا الشمالية تحمله بسهولة".

وهكذا ولله الحمد ثبت أن كل هذه النبوءات خطأ. فالشعب اليهودى مازال يعيش. ويمكن اعتبار تلك الحقيقة تذكرة مؤقتة (كما قيل ذات مرة) "بأن التنبؤ صعب للغاية، ولا سيما فيما يختص بالمستقبل". ويرى آخرون أن استمرار حياتنا ليس إلا بفضل العناية الإلهية ودليل على أن الله يسبغ رحمته الإلهية علينا ويرعانا. وفريق ثالث وأنا معه يرى فقط أنه نظراً لانشغالنا كيهود بشأن البقاء فإننا ننصت باهتمام إلى نبوءات الدمار ونستجيب لها. وتقوم نبوءات الشوم والكآبة بدور تاريخى كنوع من الانذار المبكر لليهود إذ أن مناحات النبوءات تزعج الديار بشدة وتنتج

تغييرات لا مفر منها. لهذا السبب يقضى المتنبئون المعاصرون حياتهم فى الغالب كأشخاص جلابين للنحس و"كمتنبئين يتكبرون لذواتهم" self-negating prophets . وينتج فى العادة عن نبوءاتهم التى تنشر على اوسع نطاق - بدلا من تحققها - انواعا من التغييرات المطلوبة "للتحذير من القرارات المشئومة".

ومع أخذ ذلك فى الاعتبار، أود أن ألفت الأنظار إلى تغيير اساسى فى الخصائص الدينية للامريكى المعاصر، يبدو مشحونا بمضامين خطيرة لهوية اليهودى الأمريكى خلال العقود القادمة وهذا الموضوع لا يحظى فى مناقشات الدوائر اليهودية المتخصصة بالاهتمام الكافى. ولا سيما ما يتعلق على وجه التحديد بأقول النموذج اليهودى المسيحى، والبروتستانتى الكاثوليكي اليهودى فى النظام الدينى بأمريكا. مقابل النمو فى النموذج الدينى غير اليهودى المسيحى، ولا سيما نمو الاسلام. وبينما أرى - ونحن نتحدث بصفة عامة - أن هذا النمو يعتبر جزءا من حركة أوسع مدى - يفهمها "روبرت ووثو" على أنها مجرد "إعادة تشكيل فى النظام الدينى بأمريكا"⁽²⁾، فإننى سوف اركز هنا على الموضوع المطروح أمامنا، وأوجز مناقشة المظاهر الأخرى "لإعادة التشكيل هذه" لمناسبة أخرى.

ولكى نفهم الأقول الذى طرأ على النموذج اليهودى المسيحى، والبروتستانتى الكاثوليكي اليهودى يجب أولا أن نقوم برحلة سريعة إلى الوراء عبر التاريخ. فمنذ حوالى قرن مضى من الزمان وبعد صدور الدستور ظل عدد غفير من الأمريكان يعتقدون أنهم يعيشون فى بلد مسيحى، وفى وصف أضيق فى بلد بروتستانتى. وهذا "التعديل الأول" لم يضايق هؤلاء الذين يتمسكون بهذا الرأى لأنهم كانوا يعتقدون - كما قال القاضى "جوزيف ستورى" Joseph story .

"ان الهدف الحقيقى من التعديل ليس هو احتواء، ولا حتى التقدم على الاسلام أو اليهودية أو الاحاد بتخلف المسيحية، وانما باستبعاد الصراع بين المذاهب المسيحية وبتلافى انشاء أى نظام كنسى على مستوى الوطن حتى لا تستأثر هيئة الكهنوت المنظمة بالحكومة الوطنية"⁽³⁾.

وكان المحامون لـ "أمريكا النصرانية" غير منزعين من تحديثات غير النصارى. حتى بعد اعلان آخر احصاء للقرن التاسع عشر الذى يبرز أن كنائس البوتستانت تجاوز عددها الكنائس الأخرى بمعدل يزيد عن نسبة عشرة إلى واحد. استناداً إلى حجة أن المنشقين يمكن طردهم بكل أمان، أو على الأقل يمكن تجاهلهم تماماً⁽⁴⁾.

وحتى المحكمة العليا وافقت عام ١٨٨٢ على "أن هذا الوطن وطن نصرانى". وقد قام القاضى الذى اصدر هذا القرار "ديفيد برووير" - وهو ابن أحد المبشرين - بالدفاع فيما بعد عن وجهة نظره بلا خجل فى محاضرة نشرت على أوسع نطاق بعنوان: "الولايات المتحدة وطن مسيحى" (١٩٠٥)⁽⁵⁾. ولقد عارض اليهود هذه الصياغة بقوة، وكافحوا بثبات ضد فكرة "أمريكا النصرانية"، غير أنهم لم يحققوا الكثير فى هذا المجال⁽⁶⁾.

أما الفكرة الأكثر شمولاً عن أمريكا "كوطن يهودى نصرانى" - إشارة إلى القيم أو المعتقدات المشتركة بين اليهود والنصارى بنفس الدرجة - فإنها ترجع فقط إلى القرن العشرين، بينما ظلال الفكرة تعود إلى قرن مضى أو أكثر. ويحدد "مارك سيلك" الذى سأذكر روايته فيما يلى - أن الاستخدام المعاصر لهذا اللفظ كان عام ١٩٣٠. وكتب يقول "أن الذى دعا إلى استخدام هذا اللفظ فى الحديث الجارى كان الرغبة فى معارضة الفاشية. نظراً لأن الرفقاء الفاشستيين الرحالة والمعادين للسامية كانوا قد استولوا على لفظ "نصرانى" كعلامة تجارية... وصارت عبارة "يهودى مسيحى" شعاراً مقابلاً للطرف الآخر". واستخدم هذا الكاتب عديداً من الأمثلة من واقع هذه الفترة، لكى يوضح كيف أصبح لفظ "يهودى نصرانى" بالتدريج هو اللفظ الليبرالى المعيارى الذى يعبر عن الفكرة التى استندت إليها القيم الغربية فى الاجماع الدينى المشترك.

وهكذا كتب "جوليان مورجنسترن" رئيس كولاج الاتحاد العبرى عام ١٩٤٢: "إننا نتحدث الآن عن الميراث اليهودى المسيحى بفهم - وإن كان لا يزال غير ملائم -

إلا أنه في تفتح مستمر. اننا ندرك الآن ما لم ندركه في التسعة عشر قرنا الماضية - ان اليهودية والمسيحية شريكتان في هذا العمل العظيم ألا وهو خلاص العالم ونشر النهضة في عالم الروح". وبعد ذلك بعشرة اعوام تحدث الرئيس المنتخب "دوايت أيزنهاور" عن "مفهوم اليهودية المسيحية" باعتباره اساساً "لشكل حكومتنا". واستخلص "مارك سيلك" أنه "حتى عام ١٩٥٢ كان يعتبر أمريكياً صالحاً كل يهودى مسيحي صالح. كانت هذه الجملة هي شعار العقيدة الوطنية الجديدة"^(٧).

وجنباً إلى جنب مع شعار هذه العقيدة نما بامريكا نموذج جديد أكثر تعددية يوضح كيف أن الشخصية الدينية الوطنية ينبغي أن يصاغ وان يوصف مفهومها. وقبل ذلك بكثير انحازت المؤلفات ابتداء من "روبرت بايرد" بكتابه "الدين في امريكا" (١٨٤٣) حتى "وليم وارين سويت" بكتابه "قصة الدين في امريكا" (١٩٣٠) - انحازت إلى ما يمكن أن يطلق عليه "التوليفة البروتستانتية" .. وكان الانزعاج قوياً - كما أشار إلى ذلك "سيدنى ألستروم" - من "نهضة ونمو المذهب البروتستانتى" ولكن مع أقول المذهب البروتستانتى^(٨) في القرن العشرين، ونهضة الكاثوليكية اللافت للنظر، وهجمة كراهية Interreligious التعددية الدينية أثناء الحرب العالمية وبعدها، وظهور حركة تعدد العقائد interfaith، وبلوغ ذروة النضج لجيل المفكرين غير البروتستانت، كل هذه التركيبة قد تفككت. وقام مقام نموذج "التراث البروتستانتى" النموذج الثلاثى الجديد للديانة الامريكية ألا وهو الثلاث العسائل للبروتستانت والكاثوليك واليهود.

وقبل عام ١٩٢٠ وقبل ان تتبلور هذه الايديولوجية "اجتمع قادة جماعات البروتستانت والكاثوليك واليهود في نداء إلى الشعب الامريكى للعمل على حماية الحرية الدينية من تهديد التعصب الأعمى والتحيز والتطرف". وبعد ذلك بسبع سنوات تأسس "المؤتمر الوطنى لليهود والنصارى: NCCJ" (وقد تغير اسمه في ١٩٣٨/١٩٣٩) وتقرر ان يكون له ثلاثة رؤساء مشتركون هم: "نيوتن د.بيكر" - بروتستانتى، و"كارلتون ج. هـ. هايز" - كاثوليكى، و"روجر و.شترأوس" - يهودى

وتتضمن المؤتمر الوطني NCCJ في برنامجه التربوي مئات من "الموائد المستديرة" تتكون كل منها "من جماعة من زعماء البروتستانت والكاثوليك واليهود" الذين تضامنوا من أجل "تأييد أغراض المؤتمر الوطني في طوائفه" وفيما بعد شرح "افيريت ر. كلنشي" - الذي ظل طويلاً مديراً تنفيذياً للمؤتمر الوطني NCCJ - هذه الفكرة وعرضها كأيديولوجية كاملة، محاولاً أن يبرهن على أن أمريكا تضم ثلاث "جماعات ثقافية" متساوية، ساهم كل منها مساهمة فعالة في الحياة الأمريكية وينبغي تشجيعها على الازدهار. وخلال عقدين من الزمان تجسد التقارب الثلاثي للديانة الأمريكية في عدد لا حصر له من الرموز والشعارات. فمن برنامج "Equal time" (وقت متساو لكل طرف) في حصص راديو NBC إلى الشعار الشهير "كنيسة القساوسة الأربعة" وهو "مزار متعدد العقائد" أقيم إحياءً لذكرى وفاة أربعة قساوسة غرقاً عام ١٩٤٣ كانوا ملحقين بخدمة أربعة جيوش واقفين على سطح الباخرة "دورشستر"^(٩) مقيدى الأيدي متعبدين وكان أحدهم كاثوليكياً وآخر يهودياً واثنان من البروتستانت.

ولقد كان لظهور أحد الكتب عام ١٩٥٥ الأثر الأكبر في جعل شعار "البروتستانت الكاثوليك اليهود" مفهوماً أسرياً. ألفه "ويل هربرج" الذي يعتبره "ديفيدج. دالن" أحد أهم المفكرين اليهود في النصف الأخير من هذا القرن. ونجح هذا الكتاب في أن يجعل قضية "تعميق الهوية الدينية الذاتية يكون من خلال مشروع البروتستانت الكاثوليك اليهود". وطبقاً لما يقوله "هربرج" أصبحت أمريكا "قدرة ذوبان ثلاثية" احتوت على ثلاث طوائف كبرى ذات لاقتات دينية تمثل ثلاث "ملل" أو "عقائد". ويضيف محذراً "فإذا لم يكن الشخص بروتستانتيًا أو كاثوليكياً أو يهودياً، فإنه بطريقة أو بأخرى لا يكون أمريكياً"^(١٠).

وقبيل منتصف ١٩٥٠ صار كل من التراث اليهودي المسيحي و"قدرة الذوبان الثلاثية" مترسَخاً كمكونات للهوية الأمريكية. وأصبح كلا النموذجين - وقد تزوجا تماماً - يشيران إلى مزيد من الفهم التعددي لأمريكا - وقد احتضنت اليهود

كمتعادلين. وكان ذلك بالنسبة لليهود تغييراً مرضياً باعتبار أن وضعهم جرى على أن يكونوا أقلية مضطهدة. ولقد كان من المناسب حقاً أن أعلن بأسلوب إيجابي "مكسيل أبيل" - الزعيم العلماني لليهود المحافظين - في ورقة بعنوان رسالة المعبد اليهودي الأساسية في أمريكا" هذه الادعاءات المدعومة تاريخياً. إذ أوضح قائلاً "تحدث الامريكان دائماً عن التراث اليهودي المسيحي باعتباره أساس الحياة الدينية في العالم المعاصر، واعطونا بذلك كيهود الثقة بأننا أحد العناصر الأساسية لهذا التراث. لقد تحدث الامريكان دائماً عن الديانات الثلاث الكبرى بأمريكا أنها هي البروتستانتية والكاثوليكية واليهودية على الرغم من أن عدد اليهود لا يزيد عن حوالي الخمسة ملايين من حوالي ١٦٠ مليون عدد الشعب كله"^(١١).

ولقد اعتقد "أبل" - كما اعتقد كثيرون غيره من اليهود - أن اليهود لا يستحقون هذا الوضع المتعادل الذي منحه لهم الامريكان. وتغنموا صراحة أن يتمكن اليهود من أن يعوضوا عدم تعادلهم العددي الصارخ بتحقيق مشاركة فعالة في الحياة الامريكية. وهنا كان مكن الخطر الذي أظن أننا بدأنا ندركه وهو أن هناك تفرقة واسعة وحقيقية ومتزايدة بين الاسطورة والحقيقة. فلا التراث اليهودي المسيحي ولا "قدرة الانصهار الثلاثية" قد عبرا على نحو مناسب وصحيح عن المدى الكامل لتعددية الحياة الدينية الامريكية في كامل مظاهرها المركبة. ولقد عاش الامريكان زمناً طويلاً في ظل هذه التفرقة وبرغم هذا التسافر في المعارف. وجد اليهود وضعهم المبالغ فيه مناسباً جداً. كما اعتقد عدد ساحق من الامريكان أن اليهود يمثل تعدادهم نسبة اكبر بكثير من التعداد الشعبي على غير الحقيقة، وتعاملوا مع اليهود تبعاً لذلك^(١٢). ولكن هذه الأساطير اليوم قد تبددت. ومن الأوفق لنا أن نعرف لماذا تبددت، وماهي متطلبات الهوية اليهودية في السنوات القادمة.

أثبت "مارك سيلك" أن الفكرة اليهودية المسيحية لاقت مقاومة منذ وقت مبكر يرجع إلى سنوات ١٩٤٠. وشملت الانتقادات الاتهام بأن الفكرة كانت غامضة (طالب هارفرد دوجلاس بوش fuller hunts توضيح ماذا تعني فكرة التراث العبري

المسيحي - التي لا يوليها الجميع سوى اهتماما سطحيا غامضا أو ماذا يمكن أن تعنى هذه الفكرة بالاصطلاحات الحديثة فى نظر أولى العزم من رجال العصر الحديث) فضلا عن أنها تعتم على الفروق اليهودية المسيحية القديمة قدم الدهر. ثم تعرضت الفكرة للهجوم أيضا فى أعقاب حرب الايام الستة عام ١٩٦٧ - وهى الحدث الذى أثار الانتشاقات العقائدية بين اليهود والنصارى ولا سيما فيما يتعلق بإسرائيل، وعجل بظهور اتجاه متزايد من إعجاب اليهود بأنفسهم. ومنذ عهد قريب جدا تعرضت الفكرة إلى الهجوم على أنها خدعة بلاغية استخدمتها العناصر اليمينية بهدف الترويج لبرنامج سياسى قاصر على المسيحيين وحدهم⁽¹³⁾.

ولم يعد ما يطلق عليه "قدرة الانصهار الثلاثية" تصلح كمفهوم تفسيري. إذ أنها تهون تماما من قيمة الفروق العرقية، وتتجاهل كلية معنى البروتستانتية الانجيلية، وتستبعد بالكامل العقائد الامريكية الأخرى وكأنها لم يكن لها أى وجود. ولقد أشار "ديفيد دالين" إلى "أنه حتى فى الوقت الذى كان "هربرج" يكتب، كانت هناك فرق انجيلية جديدة تظهر، ولرق أخرى قديمة تجتاز مرحلة انبعاث الروح من جديد.

وفى أقل من خمس سنوات بعد الاعلان البروتستانتى الكاثوليكي اليهودى، استطاع عالم الاجتماع "سيمور مارتن ليبست" أن يلاحظ أن هذه الفرق المتزمنة "كانت اقوى بكثير اليوم مما كانت فى أى وقت خلال القرن العشرين" وان الزيادة الاكثر بروزا فى عضوية الكنيسة قد حدثت على وجه التحديد داخل هذه الفرق المتطرفة، وليس فى اطار ما يسمى "بالخط الأم" للتراث البروتستانتى الذى عول عليه "هربرج" كثيراً⁽¹⁴⁾. ومما لاشك فيه ان نموذج "هربرج" قد مهد الطريق امام مناقشات مستقبلية "للديانة المدنية" بامريكا. غير أن قدرة الانصهار الثلاثية فى حد ذاتها لم تكن تكفى لوصف الديانة بامريكا فى اعوام ١٩٥٠ وكانت اقل كفاية لما بعد ذلك.

واليوم يواجه الطابع الامريكى اليهودى المسيحى والبنية البروتستانتية الكاثوليكية اليهودية مشكلة أشد خطرا ألا وهى النمو السريع للديانات الامريكية التى لا تنتمى إلى البروتستانتية أو الكاثوليكية أو اليهودية وانما هى خارج نطاق كل من اليهودية والمسيحية تماما. وأقصد بصفة خاصة الاسلام من بين أسرع الديانات نموا فى الولايات المتحدة، إلا أنه ينبغي ان نأخذ فى الحسبان وجود ديانات مستترة (واللفظ لـ "ج. جوردون ملتون") وتشمل العقائد الميتافيزيقية، والديانات الشرقية، والديانات النفسية أو New Age وما شابهها. وفى عام ١٩٨٥ لاحظ العالمان الاجتماعيان "واد كلارك روف" و "وليم ماكينى" ان العقائد غير اليهودية وغير المسيحية يدين لها من الامريكان بالولاء ضعف من يدين باليهودية، وان ما يقرب من واحد إلى عشرة لا ينتسبون إلى أى انتماء دينى. وبمعنى آخر فعلى الأقل ثلاثة عشر فى المائة من مجمل عدد الامريكان لا يشاطروننا ادعاءاتنا المعتادة حول الطابع الدينى لأمريكا. وهذا يمثل زيادة لأكثر من أربعة أضعاف خلال ثلاثين عاما، وان هناك أكثر من سبب للاعتقاد بأن عدد هذه "الاستثناءات" سوف يزداد بمعدل سريع^(١٥).

ومن وجهة نظر اليهود الامريكان، يستحق نمو الاسلام فى أمريكا عناية خاصة، ولا سيما العداوة التى تكنها الطائفة المسلمة المنظمة تجاه إسرائيل. ان بزوغ الاسلام كمعقيدة رئيسية بأمريكا لم يقلح حتى الآن فى إثارة جدل كثير فى الدوائر اليهودية ربما خوفاً من الظهور بمظهر التعصب الدينى. ولم أطلع على دراسة علمية واحدة عن معنى هذا الانتشار بالنسبة لليهود. وبالتأكيد لم يبحث أحد كيف سيكون أثر ازدهار الاسلام على الهوية اليهودية وعلى الحياة اليهودية فى السنوات القادمة. ويتعذر ايضا ان نقوم هنا بدراسة مفصلة لهذا الموضوع ولكن استنادا إلى دراستى "الهوية اليهودية فى عالم الديانة الامريكية المتغير" فإنه يعن لى بعض الملاحظات الأولية.

فمن الناحية التاريخية وفد بعض الافراد المسلمين إلى أمريكا في وقت مبكر في فترة الاستعمار وعرف أن اعداداً قليلة من المسلمين قد عاشوا في طوائف مختلفة في القرن التاسع عشر، إلا أنهم كانوا دائماً على شكل افراد إذ لم يكن للإسلام وجود منظم. وفي فترة الهجرة الكثيفة (اعوام ١٨٨٠ إلى الحرب العالمية الأولى) زادت الهجرة مما كان يسمى بسوريا الكبرى بسبب عوامل غاية في التنوع: منها عدم الأمان السياسي والاقتصادي، والمشاكل الزراعية، وزيادة الكثافة السكانية، واضمحلال الامبراطورية العثمانية، واغراء التقدم الاقتصادي في العالم الجديد. وقد كان أغلب المهاجرين في ذلك الوقت من النصارى العرب، غير أن عددا من المسلمين قد وفد أيضا كانوا يأملون تحقيق أكبر دخول ممكنة ثم العودة إلى ديارهم^(١٦). والرواية التي تتردد كثيرا تقول إن طائفة صغيرة من المسلمين استقرت في "روس" Ross و"شمال داكوتا" حوالي عام ١٩٠٠ وعانت من الصعوبات التي واجهها المسلم حين عاش في بيئة غير إسلامية. القصة تبدو مألوفة جدا على أسماع اليهود.

فقبل أن يتم بناء أول مسجد عام ١٩٢٠ كانت الصلاة والشعائر تؤدي في المنازل الخاصة بإمامة أحسن الموجودين علما. ونظرا لعدم وجود مسجد لمدة تقرب من ثلاثين عاما، ولعدم وجود دعم ثقافي من القادمين الجدد، فقد المسلمون بسرعة استخدام اللغة العربية، وتسموا بأسماء نصرانية وتزوجوا من غير المسلمات. وتقلصت الجماعة بهروب الأبناء ومُجر المسجد حوالي عام ١٩٤٨^(١٧).

أكثر المراكز الإسلامية ظهروا في وقت مبكر كانت في "متشيجان" وخاصة في مناطق "دترويت" و "ديربورن" حيث أن عديداً من العرب اشتغلوا بمصانع فورد. واستقرت طوائف مسلمة أخرى في "إيست كوست" و "ميدويست" حيث اشتغلوا بالمراكز الصناعية هناك. ولكن نظرا لليهود التي فرضت على الهجرة ونوبان المهاجرين، ظل عدد المسلمين في أمريكا صغيرا "أكثر قليلا من ١٠٠ ألف" حتى ما يقرب من عام ١٩٦٠. ومنذ ذلك الحين أخذ التعداد الإسلامي في الازدياد

بسرعة بسبب زيادة نسبة المهاجرين (١٤٪ من جملة المهاجرين الى الولايات المتحدة الآن مسلمون) ولاعتناق الاسلام بالآلاف وبخاصة من السود. وهناك طوائف اسلامية بارزة موجودة بنيويورك ولوس انجلوس وشيكاغو وديترويت وتوليدو - اوهايو. وتشير دراسة حديثة إلى وجود ٥٩٨ مسجدا ومركزا إسلامياً تعمل بالولايات المتحدة، وتقدر هذه الدراسة عدد المسلمين الامريكان "بما يقرب من حدود مليونين إلى ثلاثة ملايين" كتقدير متحفظ^(١٨). ويختتم واضعو هذه الدراسة بالخلاصة التالية: "نظرا لارتفاع معدلات المواليد، وتزايد عدد معتققي الاسلام الجدد، واستمرار تدفق المهاجرين، فإنه من المحتمل ان نتقبا أنه مع بداية العقد الأول من القرن الواحد والعشرين سيكون الإسلام ثاني أكبر الأديان بالولايات المتحدة"^(١٩).

وتقف الطائفة الإسلامية كطليعة لهؤلاء الذين يسعون لتحطيم النموذج اليهودي المسيحي، والنموذج البروتستانتي الكاثوليكي اليهودي في الحياة الدينية الأمريكية. ومن المفهوم تماما أن زعماء المسلمين يشعرون أن هذين النموذجين يستبعدان الطوائف الأخرى، وهم يلحون إلى أن المسلمين لا يستطيعون أن يشاركوا في المجتمع الأمريكي على قدم المساواة مع غيرهم. يقول "سلام المراتي" - المتحدث الرسمي للجنة العمل السياسي المسلم - "اننا نود أن يبدأ الشعب فيفكر في أن المجتمع الأمريكي هو مجتمع يهودي مسيحي مسلم". وقال مسلم آخر للباحثين إنه يتطلع إلى اليوم "حين يقول الجميع "كاثوليك وبروتستانت ويهود ومسلمون"^(٢٠) وبينما هذا التعبير لن يلبى القدر الكافي لرغبات هؤلاء المسلمين الذين هدفهم الأخير هو إيجاد ولاية اسلامية في أمريكا، فضلا عن أن هذا التغيير بالتأكيد لن يحقق مطالب هؤلاء الذين لا يدينون لا باليهودية المسيحية ولا بالاسلام. فإن ذلك يؤيد تحليلنا السابق، من أن الهوية الدينية الامريكية في تغير دائم، وبالتالي فإن الطريقة التي يفهم بها اليهود أبعاد الحياة الدينية الامريكية يجب أيضا أن تتغير.

ما هي إذن متطلبات هذه التغيرات بالنسبة لليهود الامريكان وبالنسبة للهوية اليهودية الامريكية؟ نظرا لما سبق أن رأيناه من نتائج ضئيلة للجهود التي بذلت مبكراً للتنبؤ بمستقبل الشعب اليهودي الامريكاني، فارجو ان تسامحوني اذا قررت - وانا أقتل النبي Amos - اننى لست نبيا ولا تلميذ نبى ولذلك اتوقف عن التنبؤ. إلا انه نظرا لرغبتى فى لفت الانتظار على الاقل إلى منهج متطلبات تحليلى، فاننى اقدم عشرة تغييرات محتملة يمكن ان نراها فى السنوات القادمة، على أن يؤخذ فى الاعتبار تحذيرى السابق بشأن النبوءات ذات النفى الذاتى self-negating prophecies . وبعض هذه التغيرات تتعلق على اوسع نطاق بالعالم الجديد لوضع الديانة الامريكية الذى ينبغى على اليهود مواجهته. والبعض الآخر فى نطاق اضيق يتعامل مع نمو الإسلام وعواقبه المحتملة:

١. الثالث القديم والمألوف بين البروتستانت والكاثوليك واليهود سوف يفسح فى المستقبل الطريق أمام دائرة دينية أكثر اتساعاً. فعلى اقل تقدير سوف يتعين علينا ادخال المسلمين كأعضاء فى الجماعة الدينية. بل والأكثر احتمالاً انه سوف يتحتم علينا توسيع الدائرة لى تضم كل طابور الطوائف الدينية الامريكية، سواء الديانات الشرقية أم الغربية.

٢. ان الصورة الحالية للديانة الامريكية سوف يتحتم أن تتغير لى تتسجم - أكثر مما هي عليه الآن - مع الحقائق الاحصائية. وبناء عليه يمكن أن يجد اليهود انفسهم موضوعين على قدم المساواة لا مع البروتستانت والكاثوليك، ولكن بسخرية مع المسلمين باعتبار ان كليهما يمثل أكبر الديانتين العالميتين ^(١) ويضمنا اقل من

^(١) الديانة اليهودية ديانة سماوية فى أصلها إلا أنها ليست ديانة عالمية لا منهاج ولا انتشارا. بل الطابع العنصرى فيها أصل. ففى قانونها الأخلاقى يوجد الحاجز العالى والقائم بين الاسرائيلى وغير الاسرائيلى. فإى خير يسديه الاسرائيلى اذا لم يكن مقتصر على شعبه فانه لا ينبغى ان يتعدى وطنه ولا يشمل الغرب المقيم معه .. كالقرض برى (ثنية ٢٣ : ٢٠) ومطالبة الاجنبى بالحق (ثنية ١٥ : ٣) وعدم استعباد اخيه (لاويين ٢٥ :

٣٪ من تعداد الشعب الأمريكي. وهناك إشارة خفية لما هو مخبأ للمستقبل موجودة فعلاً "بدائرة معارف الديانات الأمريكية" (١٩٧٨) تأليف "ج. جوردون ملتون". إذ تدعى دائرة المعارف أنها تستكشف "المدى الرحب للديانات الأمريكية وتقوم بوصف ١٢٠٠ كنيسة". كما تقسم الديانات الأمريكية إلى ١٧ "ديانة عشيرة"، منها عشر ديانات فقط تتبع أساساً العقائد والشرائع النصرانية. أما ديانة اليهود فإنها لم تصنف على أنها ديانة عشيرة في هذا التقسيم، وإنما تضم اليهود إلى المسلمين والهنود والبوذيين تحت مسمى "العشيرة الشرقية والشرق أوسطية". ويفسر "ج. جوردون ملتون" ذلك قائلًا "إن ضم اليهود والهنود والبوذيين والمسلمين في عشيرة واحدة يرجع أساساً إلى الخصائص المشتركة والمتفردة بسبب إقامتهم بأمريكا دون نفى ما بينهم من اختلافات جوهرية"^(٢١).

٣. وحيث أنه من المنتظر للديانة اليهودية الخروج من فكرة "قدرة الانصهار الثلاثية" للديانة الأمريكية، وهبوط منزلتها الذي لا مفر منه في نسيج الديانة الأمريكية، فإن على اليهود في العقود القليلة القادمة أن يثبتوا أمام التجربة التي سيضطروهم التيار البروتستانتي السائد إلى خوضها قريباً في هذا القرن: ألا وهي تجربة فقدان المنزل والشعور بالحرمان. واعتقد أن رفعة المنزل التي حققها اليهود عندما نجحت صورة "القدرة الثلاثية" سوف تتقلب إلى العكس جزئياً إن لم يكن كلياً. ونتيجة لذلك سوف يكون على الطائفة اليهودية أن تتعلم كيف تتعايش مع صورة عن نفسها مختلفة جذرياً عما كانت، وهي صورة لن تكون جذابة على أية حال.

٤. ونتيجة لكل ماسبق، سوف يقل كثيراً عن الآن ما يتمتع به اليهود الأمريكيان من الاعتبار في المنزل ومن جانب الاعلام. وبينما كان اليهود خلال عدة سنوات مضت يستفيدون من نصيب غير متكافئ في الاعتبار الديني الذي كان تقريباً

٣٩) وعدم التسلط عليه (لاوين ٢٥: ٤٣-٤٥)... الخ (د. محمد عبد الله دراز مدخل إلى القرآن الكريم) (المترجم).

على نفس مستوى البروتستانت والكاثوليك - فسوف يكون عليهم ان يكيّفوا توقعاتهم بالنزول إلى مستوى اكثر واقعية ينسجم مع حجم الطائفة اليهودية الحالّي ودلالة ذلك.

٥. وقد يتعرض كذلك النفوذ السياسى لليهود إلى الهبوط فى السنوات القادمة. إذ أن رجال السياسة سيصبحون على بينة بالتغيرات التى تطرأ على الوضع الدينى بأمريكا، وقد يشعر كثير منهم أنهم غير مبالين للانصات حين يتحدث يهود اللوى. ولا شك أن النفوذ السياسى فى امريكا يتجاوز أهمية الارقام، إذ أن التنظيم والذكاء والخبرة والمشاركة والمال أيضا لها نصيب كبير. ولكن نظرا لضرورة تعويض ضغط العناصر النشطة فى معاداتها لمصالح اليهود فمما لا شك فيه أن معلومة ان اليهود الامريكان هم اقل أهمية مما هو معتاد فى النظر اليهم، سوف يكون لها اثر الصدمة عليهم. مما سوف يحتم على اليهود فى الاعوام القادمة العمل بقوة اكبر لتحقيق اهدافهم وأنهم لن يتمكنوا من تحقيق قوتهم بسهولة.

٦. وقد يقع على اسرائيل الجانب الاكبر من المعاناة من جراء هذه التغيرات. إذ ان انحدار منزلة اليهود الامريكان ، مقترنا بصعود الاسلام بأمريكا وبنمو الرشد السياسى لطائفة المسلمين الامريكان، سوف يجعل من الصعب فى الاعوام القادمة الظفر بموافقة الكونجرس الأمريكى على منح اسرائيل المساعدات الضخمة. وبالفعل تتبع "لجنة العمل السياسى المسلم" سياسات مؤيدة للفلسطينيين. كما تعلّم المسلمون الامريكان من كثرة مراقبة كيفية عمل يهود اللوى السياسى ولذلك فهم يعتزمون مضاعفة نشاطاتهم السياسية فى الانتخابات القادمة ويأملون انتخاب عضو مسلم بالكونجرس الأمريكى بقدم عام ١٩٩٢⁽²²⁾.

٧. ومن المحتمل خلال العقود القليلة المقبلة على الأقل، أن نرى عودة اللهجة الطنانة لنزعة التدين الظافرة triumphalism ، فتظهر العقائد الجديدة على المسرح الأمريكى وقد انتفخت بكثرة عدد معتقبيها الجدد الذين يخدعون أنفسهم

حين يتصورون أن عقيدتهم هي العقيدة الحق - عقيدة المستقبل - التي سوف تحمل الحقيقة العلوية إلى الأمريكان جميعاً، وتجمعهم في ظل الكنيسة (أو المسجد) الواحدة. ومما لا يمكن تلافيه تقريباً أن هذه الأمانى تثير الحماسة الدينية وتحفز المخلصين على الاشتراك في ما يشبه الحروب الصليبية الدينية التي تتصادم مع الجهود التحررية التي تجاهد من أجل خلق الانسجام الدينى. بينما الكاثوليك واليهود والبروتستانتى السائد يعرفون عن تجربة أن هذه الأمانى إن عاجلاً أو آجلاً مصيرها إلى خيبة الأمل. إذ إن الديانة الواحدة المتفردة monism لا تتفق مع الأسلوب الأمريكى. وهذا هو الدرس الذى ينبغى على كل طائفة دينية أن تعيه من جديد.

٨. وحتى ذلك الحين، وإلى أن تستوعب دروس أخرى، سوف يظل الحوار بين العقائد المختلفة محفوفاً بالصعوبات المتزايدة. وفي الماضى، أرسى زعماء اليهود والبروتستانت والكاثوليك بعض قواعد آداب المجتمع أتاحت لهم العمل المشترك المتبادل. لقد تعلموا جميعاً ما سماه "جون موراي كوديهى" John Murray Cuddihy "ديانة الكياسة"⁽²³⁾. غير أن العقائد التي سبق في الماضى أن استبعدت من التيار الدينى السائد لا تؤيد بالضرورة قواعد الآداب هذه، ويمكنها في بعض الحالات أن تهون من شأنها صراحة. والشاهد على ذلك النزعة البلاغية المفرطة لبعض الوعاظ المتزمتين أو لزعماء السود المسلمين مثل "لويس فراخان". ومالم يأت أو إلى أن يأتى جيل جديد من الزعماء الدينيين من نطاق عقيدة أكثر رحابة لهم القدرة على الدخول في دقائق الحوار الدينى، فسوف يكون من الصعوبة بمكان إحراز أى تقدم. كما أن المناقشة سوف تثبت ما إذا كانت عاجزة عن أن يكون لها معنى أو هدف، أو أنها سوف تنسم بالقسوة إلى درجة العجز عن تحقيق النفع والمصلحة.

٩. وعلى الجانب المشرق الآخر، فإن بزوغ الاسلام واتساع الثوابت في نسيج الديانة الأمريكية يمكن على المدى البعيد أن يوثق العلاقات بين المسلمين

واليهود. وبما أن النصارى واليهود والمسلمين يواجهون أنواعاً من القضايا الدينية المتشابهة بشكل يثير الدهشة في مجتمع لا يزال مسحوقاً، فإن لدى هذه الطوائف كافة الأسباب التي تجعلهم يتعلمون كيف يعملون معاً لدعم مصالحهم المشتركة. فضلاً عن أن البيئة الأمريكية المحايدة سوف تساعد على اتاحة مستوى من التعامل الدينى المشترك بين اليهود والمسلمين قد لا يتصور حدوثه فى أى من البلاد العربية أو فى إسرائيل. ونظراً للأسباب التى سبق أن أوضحناها فإننى لا أتوقع حدوث حوارات جادة بين الأديان فى المستقبل القريب. غير أن تاريخ العلاقات الكاثوليكية اليهودية طوال القرن الماضى بأمريكا يثبت احتمال حدوث التغيير. وبناء على ما يكتبه "روبرت ووثنوو" Robert Wuthnow عن Decline of Denominationalism "تقهقر التعصب الطائفى" (24) فى السنوات الحالية، فإن تحقق التحسن يمكن أن يحدث فى وقت أقرب مما نظن.

١٠. وأخيراً قد يدفع التغيير الذى يطرأ على عالم الديانة الأمريكية - اليهود إلى إعادة التقييم الجذرى لبرامجهم وأهدافهم عن السنوات المقبلة. وإذا فرض على اليهود مرة أخرى الوصف بأنهم أقلية دينية أو عقيدة منشقة، ففى امكانهم أن يلعبوا نفس الدور الذى لعبوه فى السنوات الماضية بأن يركزوا أولاً وقبل كل شئ على مصالحهم الخاصة، ثم بعد ذلك على القضايا التى تهم الأقليات الدينية، وأخيراً فقط على البرامج الاجتماعية والسياسية الكبرى التى تشغل بال الأغلبية الدينية. ولقد لعبت الطائفة اليهودية عبر التاريخ دوراً هاماً جداً كزعيمة وناطقة بلسان الأقليات الدينية بأمريكا. كما عملت أكثر من غيرها على ارساء النظريات الشاملة للحياة الأمريكية (قدرة الانصهار والتعددية الثقافية) والحرية الدينية للجميع. وفى رأى أن اليهود كان لهم أثر أقل كثيراً كأعضاء ذوى أصوات ايجابية فى ظل الأغلبية الدينية، بالإضافة إلى تبديدهم موارد طائلة على قضايا ليس لديهم عنها جديد يقال. وبالعودة إلى إعادة تركيز الأولويات على قضايا جماعة الأقلية. وبخاصة القضية الأمريكية القديمة المتعلقة بحقوق الأقلية ازاء

الأغلبية - فإن اليهود يستطيعون حالياً القيام بدور يفوق ما فعلوه بوصفهم أعضاء "بالمؤسسة" الدينية. كما أن عملية إعادة التركيز هذه سوف لا تقوى فقط من هوية الأقلية اليهودية، وإنما سوف يكون لها ميزة إضافية هي تشجيع الابقاء على حياة جماعة هي بمثابة سلاح يقاوم التزاوج والاندماج المتبادلين.

وأختم حديثي بالفكرة الأخيرة. فقد فعل اليهود فى هذا البلد الخير الكثير إلى أبعد الحدود، سواء فى الماضى عندما كان ينظر إليهم كأعضاء فى أقلية دينية تشبه الاثراك والكفار. ويفعلون أكثر فى الوقت الحاضر بعد أن أصبحوا جزءاً من الأغلبية الدينية جنباً إلى جنب مع البروتستانت والكاثوليك داخل "قدرة الانصهار الثلاثية". ونظراً لأن هناك تغييراً جارياً حدوثه فى الوقت الحالى، فإن ذلك يقتضى نقطة تامة ولا يتطلب أى انزعاج بالضرورة. ولقد رأينا فى الحقيقة كيف أن بعض متطلبات هذا التغيير يمكن أن تتحول وتكون ايجابية. غير أنه من الخطأ تصور أن اليهود مستهدفون عبر التاريخ، نتقاذفهم قوى خارجة تماماً عن ارادتهم. وبينما قد لا يكون فى مقدور اليهود عمل شئ إزاء إعادة تنظيم الحياة الدينية الامريكية، أو إزاء نمو الاسلام بأمريكا، فإن طريقة مواجهة هذه التحديات يمكن أن تختلف اختلافاً كبيراً. لقد عاش اليهود الامريكان بعد التحديات القديمة رغم نبوءات التشاوم، لأن قيادات اليهود كانت تواجهها بطريقة ابداعية وبالحكمة والفتنة والمرونة. ونأمل من قادتنا الحاليين أن يفعلوا مثلهم.

مراجع البحث:

- (1) "جون آدمز" الى "م.م. نواه" (١٥ مارس ١٨١٩) اعيد طبعه فى "موشى داليد" With Eyes Toward Zion (بعيون نحو صهيون) (نيويورك ارنو ١٩٧٧) ص ١٩ و "م.روزبلات" The Jews: What Are They Coming to (اليهود: ما العمل الذى قدموا من اجله) جلاكسى ١٣ (يناير ١٨٧٢) ص ٦٠ "توماس ب. مورجان" The Vanishing American Jews (اليهود الزائلون) لوك ٢٨ (٥ مايو ١٩٦٤) ص ٤٦-٤٧. "روفن ب. بولكا" فى The coming cataclysm (الطوفان القادم) (أوكفيل - انتاريو مطبعة مورايبك ١٩٨٤) ص ١٤. انظر أيضاً

- American space, Jewish Time في Stephen J. Whitfield (معدن. كونكتكت. اركون بوك ١٩٨٨) ص ١٧١-١٩١.
- (2) "روبرت ووثو" The Restructuring of American Religion: society and Faith since world war II (اعادة تنظيم الديانة بأمريكا - مجتمعا وعقيدة منذ الحرب العالمية الثانية) (برينستون . مطبعة جامعة برينستون ١٩٨٨).
- (3) "جوزيف ستوري" Commentaries on the Constitution of the United states (تعليقات على دستور الولايات المتحدة (بوسطن ١٨٣٣) اعادة طباعتها بمعرفة "جون ف. ولسون" و "دونالد ل. دراكامان" في Church and state in American History (الكنيسة والدولة في تاريخ امريكا) (بوسطن ١٩٨٧) ص ٩٢-٩٣.
- (4) "روبرت ت. هاندي" A-christian America: Protestant Hopes and Historical Realities (أمريكا نصرانية: آمال البروتستانت وحقائق التاريخ) (نيويورك - اكسفورد ١٩٧١) ص ١١٨.
- (5) "مورتن بوردن" Jews, Turks and Infidels (اليهود والترك والكفار) (شابل هل - مطبعة جامعة نورث كارولينا ١٩٨٤) ص ٦٢-٧٤ . "عاعومي وكوهين" Encounter with Emancipation: The German Jews in the United states 1830 - 1914 (في مواجهة التحرر: اليهود الألمان بالولايات المتحدة من ١٨٣٠ حتى ١٩١٤) (فيلادلفيا - شركة النشر اليهودية ١٩٨٤) ص ٩٨-١٠٠، ٢٥٤-٢٥٦.
- (6) "جوناثان د. سرن" American Jews and Church state Relations: the search for "Equal Footing" (اليهود الامريكان وعلاقات الدولة بالكنيسة: البحث عن "مكانة عادلة") (نيويورك: لجنة اليهود الأمريكيان ١٩٨٩) وبخاصة ص ٤-١٠.
- (7) "مارك سيلك" Spiritual Politics: Religion and America since world war I (السياسات الروحية: الدين وامريكا منذ الحرب العالمية الأولى) (نيويورك سيمون وشوستر ١٩٨٨) ص ٤٠-٥٣. ويورد "سيلك" عديداً من الشواهد الأخرى عن هذه الحقبة بالاضافة إلى التي ذكرناها هنا. انظر أيضا "سيلك" في Notes on the Judeo- christian tradition in America, American quarterly 36 (ربيع ١٩٨٤) ص ٦٥-٨٥ وفي مقال قادم سيحاول "بيني كروت" ان يبرهن على أن الفكرة اليهودية النصرانية هي الآن في نمو في سنوات ١٩٢٠ لجزء من حركة "goodwill" متعددة الاديان في هذه الحقبة. انا شاكر للبروفسور "كروت" لمشاركته لي في هذه المادة قبل النشر.

(8) "سيدنى أ.أهلستروم". A Religious History of the American People. (تاريخ دينى للشعب الأمريكى) (نيوهافن - مطبعة جامعة ييل ١٩٧٢) ص ٨ - ١٢ انظر أيضا "ر. لورانس مور" Religious Outsiders and the Making of Americans (الغريباء المتكيفون وتكوين الامريكاني) (نيويورك اكسفورد ١٩٨٦). وبتوسع "هنرى و.جودن" فى (علم التاريخ فى الديانة الامريكى) "The Historiography of American Religion in Encyclopedia of the American Religious Experience بدائرة المعارف عن التجربة الدينية الامريكى (الناشر "شارل هـ. لى" و "بيتر و.وليم" (نيويورك اولاد شارل سكرابينز ١٩٨٧) المجلد الأول ص ١٦٠-٣.

(9) "افيرت ر.كلنشى" "Better Understanding" فى Universal Jewish Encyclopedia (1942) (تفاهم أفضل - بدائرة المعارف العالمية اليهودية) (١٩٤٢) المجلد الثانى ص ٢٥٧. "لويس منسكى" National conference of christians and Jews (المؤتمر الوطنى للنصارى واليهود) نفس المرجع المجلد الثامن ص ١١٤. "بنى كروت" Towards the Establishment of the National Conference of christians and jews: The tenuous Road to Religious Goodwill in the 1920s- American Jewish History 77, N°3 (march 1988) (نحو تأسيس المؤتمر الوطنى للنصارى واليهود: طريق غير محدد المعالم نحو رضاء دينى فى اعوام ١٩٢٠ - تاريخ اليهود الامريكاني ٧٧ - رقم ٣ (مارس ١٩٨٨) ص ٣٨٨-٤١٢. نفس المرجع, "A wary collaboration: jews, catholics and the protestant goodwill movement" (تعاون حذر: اليهود والكاثوليك وحركة الرضاء البروتستانتية) (قائمة). "اكس ج. جولدمان" "الكزندر د. جود" Alexander D. Goode in "Giants of the faith: Great American Rabbis حاخامات أمريكا" (نيويورك ١٩٦٤) ص ٣١١-٣٢٩ انظر أيضا "لانس ج. سوسمان" فى The Rise of the Interfaith Movement in America and the Role of Rabbi Isaac Landman, American Jewish Archives 34 (April 1982) (نحو تفاهم أفضل) (ظهور حركة تعدد العقائد بأمريكا ودور الحاخام اسحق لندمان. ارشيف اليهود الامريكاني).

(10) "ويل هيربرج" Protestant - catholic- jew: An Essay in American Religious sociology (البروتستانت والكاثوليك واليهود - دراسة للاجتماع الامريكى الدينى" طبعة منقحة (نيويورك - كتب أنكر ١٩٦٠) وبخاصة ص ٢٥٦-٢٥٧. "ديفيد ج. دالين" (تأملات ويل هيربرج) will Herberg in Retrospect تعليق ٨٦ (يوليو ١٩٨٨) ص ٤٣-٣٨.

- (11) "مكسويل آبل" (الواجب الأساسي للمعبد اليهودي بأمريكا) The Basic Task of the synagogue in America أعيد طبعه بمعرفة: "ملتون برجر" في (طرق بقاء اليهود) Roads to Jewish survival (نيويورك بلوش ١٩٦٧) ص ١٥٣. (طورش شتاء ١٩٥٥).
- (12) "شارل هـ. ستمبر" في (اليهود في ذاكرة أمريكا) Jews in the mind of America (نيويورك باريك بوك ١٩٦٦) ص ٧٧.
- (13) "سيلك" (السياسات الروحانية) ص ٤٤-٤٧، ١٤٦-١٤٧، ١٨٠.
- (14) "دالين" (تأملات ويل هيربرج) ص ٤٢.
- (15) "ويد كلارك روف" و "وليم ماكيني" (الخط الرئيسي للديانة الأمريكية: شكل ومستقبل تغييره) American Mainline Religion: its changing shape and future (نيوبرونسويك ن-ج ١٩٨٧) وبخاصة ص ١٧ "سيلك" (السياسات الروحانية) ص ١٨١ وعن رؤية شاملة للديانات غير اليهودية وغير النصرانية انظر "ج-جوردن ملتون" (دائرة المعارف الأمريكية الدينية) (ولمنجتون شركة ماجراث للنشر ١٩٧٨-١٩٨٥).
- ينبغي التأكيد على أن هذه "الاستثناءات" ليسوا في أغلبهم غير دينيين معترف بهم. إذ أن الأمريكيان يعرفون الدين بطرق لم يسبق استخدامها قبل ذلك. ومن أجل تصنيف قيم عن حقائق الفحص بخصوص Unsecular America (أمريكا غير الدنيوية) انظر "رشارد ج. نيوهور" طبعة Unsecular America (جراند رابيدز- منشيجان اردمانز ١٩٨٦) وبخاصة ص ١١٥-١٥٨.
- (16) "انطوني ب. توث" في (الطائفة السورية بنيوكاسل ومكونها العلوي الوحيد) The syrian community in new castle and its unique Alawi component-western pennsylvania Historical Magazine 69 ١٩٤٠-١٩٥٠.
- (المجلة التاريخية لغرب بنسلفانيا) (يوليو ١٩٨٦) ص ٢٢١-٢٣٩.
- "نيول س. بوث" (جونيو) (الاسلام في شمال أمريكا) "Islam in north America" Encyclopedia of the American Religious Experience دائرة معارف التجربة الدينية الأمريكية - طبعة "شارل ج. ليبى وبيرت و. وليمامز" (نيويورك - اولاد شارل سكرابيز ١٩٨٧) مجلد ٢ ص ٧٢٥. عن مراجع أحدث، انظر جورج ديمتري سليم The Arabs in the United States: A selected list of References (العرب بالولايات المتحدة : قائمة مختارة من المراجع) بيان كتب إدارات الشرق الاوسط بمكتبة الكونجرس (واشنطن ١٩٨٣).
- (17) "أليكسا ناف" "العرب" بدائرة معارف هارفرد عن الجماعات العرقية بأمريكا Harvard Encyclopedia of American Ethnic Groups

- طبعة ستيفن ثيرنستروم (كامبرج ماساثوسيت، مطبعة جامعة هارفرد ١٩٨٠) ص ١٣٢.
- (18) "ليفون يريك حداد" و "أدير ت. لوميس" (القيم الاسلامية بالولايات المتحدة) (نيويورك - اكسفورد ١٩٨٧) ص ٣- (time) ٢٣ مايو ١٩٨٨ ص ٤٩. انظر تقدير "كارول ستون" عدد المسلمين بـ ٤,٦٤٤,٠٠٠. ونيويورك تايمز ٢١ فبراير ١٩٨٩ ص ١ تحدث عن (٦ ملايين مسلم بالولايات المتحدة).
- (19) "حداد ولوميس" (القيم الاسلامية بالولايات المتحدة) ص ٣ Time ٢٣ مايو ١٩٨٨ ص ٤٩. في نفس الموضوع "ينتظر أن يتجاوز عدد المسلمين بالولايات المتحدة عدد اليهود في أقل من ثلاثين سنة. ويصبحون ثاني اكبر طائفة في البلد بعد النصارى".
- (20) Time ٢٣ مايو ١٩٨٨ ص ٥٠. "حداد ولوميس" (القيم الاسلامية بالولايات المتحدة) ص ١٦١.
- (21) "ملتون" - دائرة معارف الديانة الامريكية المجلد الأول ص VII - XII مجلد ٢ ص ٣٠٧-٣٥٤ خطة تصنيف ملتون عن خصوصية البنية يمكن بالطبع نقدها بسهولة. فوصفه للديانة اليهودية الامريكية ملئ بالاختطاء الجسيمة. وتضمنه عيسى لليهود تحت عنوان Mainstream Judaism (تيار اليهودية السائد) هذا التضمن هجومي.
- (22) "تايم" ٢٣ اغسطس ١٩٨٨ ص ٥٠. وكتب عالم الاجتماع العربى عبده أ. الخولى فى اعقاب حرب الايام الستة وهو يحلم ببرنامج اصولي اكثر شدة للعرب الامريكان. وأشار إلى أن "كثيراً من الحركات الوطنية الكبرى التى غيرت من مجرى احداث تاريخنا الحديث انطلقت من الخارج" "فهل يمكن أن يحدث أن مؤرخى المستقبل سوف يركزون على النخبة العربية بأمريكا ودورهم فى ثورة عربية كاسحة يمكن ان توحد الشرق الاوسط وأن تحرره من كلا الصهيونية العالمية والاحتلال العسكرى والفساد". وانظر عبده أ. الخولى فى (العرب الامريكان: الوطنية والفرقة التراثية وحفظ التراث فى العرب الامريكان: دراسات فى التماثل طبعة) "إلين س. هاجوبيان وآن بادن" (ولميت ج-٣ مطبعة جامعة المدينة ١٩٦٩) ص ١٧.
- The Arab-American: Nationalism and Traditionalism and Traditional Preservations in the Arab Americans: studies in Assimilation.
- (23) جون موارى كوديهي (بدون مهاجمة: الديانة المدنية والذوق البروتستانت (نيويورك سيورى ١٩٧٨) No offense: Civil Religion and Protestant taste
- (24) موثو و (اعادة بناء الديانة الامريكية) ص ٧١-٩٩ Restructuring of American Religion.

* * *

إبراهيم: أهو اليهودى الأول أم المسلم الأول^(١)؟ نص وراث و "حققة" فى الحوار بين الأديان بقلم "روفن فايرستون"

لقد أصبح الوضع متزايدا فى هذه البلاد منذ العقد الأخير أن التراث الدينى الاسلامى وحضارة الإسلام ينبغى التعامل معها بجدية أكثر^(٢). ويرجع تأثر حركة الفكر الأمريكى البطيئة - وان كانت ملفتة للنظر - إلى عاملين على جانب من الأهمية هما: الوعى المتزايد بأن عدم الاستقرار فى الشرق الأوسط سوف يؤثر سلبيا على خير بلادنا، بالإضافة إلى تزايد عدد طائفة المسلمين وظهورها فى الولايات المتحدة .. ولقد زاد فضول الأمريكان عن الإسلام بسبب توقف أعداد كبيرة منهم بالجزيرة العربية خلال حرب الخليج عام ١٩٩١ وتدخل القوات بين البلدان العربية والغرب. وكان من نتائج هذه التطورات شئ واحد هو زيادة الحرص من مجموعات الحوار على وجود مسلمين للمشاركة فى الحوار.

وسوف نتعرض فى هذه الدراسة لبحث معالم القصص اليهودية والاسلامية حول سيرة إبراهيم (عليه السلام)، مما سوف يلقى الضوء على نقاط الخلاف المشتركة، مع تطبيق وسائل التقريب المستخدمة فى مقارنة الأديان على الحوار بين الأديان المتعددة^(٣).

إن عقد أية مقارنة بين أديان التوحيد الثلاثة الكبرى يكشف عن وجود أوجه كثيرة للتطابق والتماثل، كما يوضح فى نفس الوقت كثيراً من نقاط الاختلاف والتعارض. فمثلا تطالب جميع الأديان الثلاثة فى جوهرها بعبادة الإله الواحد. كما أن كلا منها تستمد سلطتها الدينية من النصوص المقدسة ومن تفسيرات هذه النصوص، فضلا عن أنها أيضا تعتز بمعتقدات تراثية مشتركة وشخصيات تاريخية مشتركة. وتؤكد أية دراسة متأنية للموضوعات المشتركة وجود عدد كبير من التشابه الصارخ فى النصوص والعقيدة والتشريع. غير أن الدراسة تكشف أيضا أن

كثيراً - إن لم يكن أغلب - الموضوعات التراثية المتطابقة في ظاهرها هي في حقيقتها في تعارض خطير . وقد يكون موضوع شخصية إبراهيم (عليه السلام) هو الموضوع الأساسي والأكثر تعبيراً عن ذلك برغم أنه الشخصية التي كثيراً ما نشير إليها باعتباره الجد المشترك لأديان التوحيد الثلاثة الكبرى. وبينما هي حقيقة لا ريب فيها أنه في الواقع هو في نظر هذه الأديان الجد الأعلى والنموذج الأمثل، إلا أن كل ديانة تميل إلى رؤية إبراهيم من زاوية مختلفة حتى إن الشخص ليضطرب أن يتساءل في كثير من الأحيان عما إذا كانت هذه الأديان تتحدث عن نفس الشخصية.

إبراهيم في القرآن

طبقاً لما جاء بالكتاب المقدس يكون إبراهيم قد ترك أور الكلدانيين مع أبيه تارح، ثم رحل إلى حاران حيث توفي أبوه. ومن حاران رحل إبراهيم برفقة زوجته سارة وابن أخيه لوط إلى أرض شعب كنعان تلبية لأمر الله، وإلى جانب إقامة قصيرة له بمصر، تصف الكتب المقدسة حياة إبراهيم بعد ذلك بالحياة البدوية في جوار الأرض التي وعدّها الله له ولذريته، والتي عرفت فيما بعد بأرض بنى إسرائيل^(٤). وبينما كان إبراهيم بمصر وهبت هاجر كجارية لسارة^(٥) زوجة إبراهيم، وذلك طبقاً لما جاء بالتراث اليهودي وإن لم يرد ذلك صراحة بنصوص التوراة^(٦). تعرض إبراهيم وسارة إلى عدة مغامرات أو تجارب مثيرة إلا أنهما ظلّا بلا ذرية. وحين أصبح واضحاً تماماً أن سارة - طبقاً لسفر التكوين ١٦ - قد تجاوزت سن الانجاب، منحت جاريته المصرية لابراهيم لكي يتمكن من أن ينجب لنفسه منها وريثاً. وما أن حملت هاجر حتى وقع نزاع رهيب بين المرأتين. وقامت سارة - ذات المكانة الاجتماعية العليا - بمعاملة هاجر بقسوة حتى اضطرت هاجر إلى الهروب منها إلى الصحراء، حيث قابلها ملاك الرب الذي أمرها بالعودة إلى

^(٦) حسن أن يقول الكاتب أن هذا الذي ذكره من تراث اليهود، معظمه لم يرد في نصوص التوراة.

سارة، وأعطى هاجر نوعاً من النبوءة المبهمة بشأن ابنها القادم إسماعيل – الذى سيكون إنساناً وحشياً^(١) واستقلالياً كما سيكون هذا شأن ذريته التى لاتحصى عدداً والتى ستنتال معه البركة. فعادت هاجر وولدت إسماعيل.

وفى الباب ١٧ تأكد من جديد العهد بين إبراهيم وبين الله بعملية الختان. وتم ختان إسماعيل مع جميع ذكور أهل بيت إبراهيم. ووعده الرب إبراهيم بولد من سارة، وأخبره أن العهد سوف يتحقق فقط من خلال ابن سارة إسحق وليس من خلال إسماعيل^(٢). ومع ذلك أكد الله لإبراهيم أن إسماعيل سيكون أباً لأمة كبيرة يولد منها ١٢ أميراً^(٣).

^(١) إن النص القرآنى الذى هو منزل من عند الله – وليس من أقاويل المؤرخين يقول ﴿رب هب لى من الصالحين. فبشرناه بغلام حليم﴾ ثم قال بعد ذلك ﴿وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين﴾ (الصفافات ١٠٠-١٠١، ١١٢). وقال ﴿واذكر فى الكتاب إسماعيل أنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا، وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا﴾ (مريم ٥٤-٥٥).

^(٢) عبارة التوراة العبرانية هكذا "وهى بهى فراء آدم" ومعناها "انه يكون انسانا قويا" (التناقض فى تواريخ واحداث التوراة – محمد قاسم محمد – جامعة قطر) (المترجم).

^(٣) كيف يكون العهد منقطعاً عن إسماعيل؟ وقد جاء بكتاب أشعيا الباب ٤٢ أن الدين الجديد فى بيوت قيثار بن إسماعيل. وفى أشعيا ص ٦٠: ٧-١ "كل غنم قيثار تجتمع اليك. كباش نايوت تخدمك – تصعد اليك مذبحه على مذبحى" وقيثار ونايوت هما ابنا إسماعيل. وفى سفر الاستثناء الباب ٣٦ "جاء الرب من سيناء، واشرق من ساعير واستعلن من جبل فاران". واستعلانه من فاران كناية عن انزاله القرآن لأن فاران جبل من جبال مكة. وحسب التوراة "سكن إسماعيل فى بيرة فاران" (المترجم).

^(٤) كيف يفترى على الله أنه جعل العهد فى إسحاق وذريته وليس فى ولد هاجر إسماعيل. والله تعالى هو الذى أوحى إلى إبراهيم أن يذهب إلى مكة ويقيم البيت اذ يقول ﴿واذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت ألا تشرك بى شيئا. وظهر بيتى للطائفين والقائمين ...﴾ (الحج ٢٦). ويتحدث عن إبراهيم وإسماعيل انهما معاً اشتركا فى رفع قواعد البيت الذى كان أول بيت وضع للناس ليعبدوا ربهم اذ يقول ﴿واذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ...﴾ (البقرة ١٢٧) بل ان الله يخبر بصريح العبارة انه أعطى العهد لإبراهيم وإسماعيل اذ يقول ﴿وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل ان طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود﴾ (البقرة ١٢٥).

وعندما تتركز القصة على ميلاد اسحق بالبواب ٢١، نعلم أن ابراهيم وابن سارة تم ختانهما، إلا أنه أثناء حفل الفطام الذي يقام بعد عام أو^(١) ما يقرب من العام كان النزاع لا يزال محتدماً بين سارة وهاجر وانفجر كالخريق الهائل. وأصرت سارة على نفى هاجر^(٢) وابنها من شمل العائلة. وحزن لذلك ابراهيم حزناً شديداً. غير أن الله أمره أن يحقق رغبة سارة. وبناء عليه صعد ابراهيم مبكراً يوم رحيلهما لكي يزودهما بالمون التي سوف يستهلكانها أثناء السفر بالصحراء.

ووضعت هاجر اسماعيل تحت شجرة، ومشيت بعيداً جداً حتى لا تسمع صراخ ابنها وهو يموت عطشاً لأنها لن تتحمل الألم. ثم جلست وأخذت تبكي بمرارة. فسمع الرب صوت اسماعيل وأرسل الملك الذي أكد الوعد الإلهي بأن اسماعيل سيكون أمة عظيمة. وأمدهم الله بعين ماء خارقة واستمر في امداد الطفل وهو ينمو ويكبر في صحراء فاران الموحشة.

هذه هي نهاية خلاصة قصة اسماعيل في الكتاب المقدس. ونجد تعليقاً قصيراً بسفر التكوين ٢٥: ٩ اذ بعد وفاة ابراهيم قام اسماعيل واسحق مجتمعين بدفن أبيهما: وذكرت هنا أيضاً أسماء أولاد اسماعيل الاثنى عشر بالإضافة إلى ذكر أن اسماعيل عاش حتى بلغ من العمر ١٣٧ عاماً. وهناك اشارات قليلة مبعثرة عن

^(١) حادثة رحيل هاجر واسماعيل مع ابراهيم عليهم السلام وقعت قبل ميلاد اسحاق. وكان اسماعيل طفلاً رضيعاً حملته امه على كتفها كما جاء بسفر التكوين ٢١: ١٥ اذ كان عمر ابراهيم عليه السلام عند ميلاد اسماعيل ٨٦ عاماً (التكوين ١٦: ١٦) وعند ميلاد اسحاق ١٠٠ عاماً (التكوين ٢١: ٥) وبالتالي كان عمر اسماعيل وقت ميلاد اسحاق ١٤ عاماً. ولكن سفر التكوين ٢١: ١٤-١٩ يقول ان رحيل اسماعيل كان بعد نظام اسحاق اي كما يقول المفسرون في الثالثة أى أن عمر اسماعيل كان ١٧ عاماً. فكيف يمكن ان تضعه امه على كتفها (التكوين ٢١: ١٥)؟ وكيف تضعه تحت الشجرة (التكوين ٢١: ١٥)؟ وكيف تبحث له عن الماء وتخشى عليه الموت عطشاً؟ (كتاب محمد في الكتاب المقدس بالانجليزية د. جمال بلوى ص ٣٧) (المترجم).

^(٢) وهذا افتراء أخر على الله. فاسماعيل وامه لم ينفيا إلى مكة. وإنما ذهب بهما ابراهيم لساء البيت كما اشارت الآيات السابقتان.

أن شعباً من أهل الصحراء عرفوا باسم Yishma'elim (الاسماعيليون) ظلوا يعيشون بالأراضي^(٦) المتاخمة. ولكن لاشئ بعد ذلك يمكن أن نجده بالكتاب المقدس عن اسماعيل. لقد اختفى بعد استبعاده من التاريخ المقدس الخاص بعهد الله لبنى إسرائيل.

إلا أنه طبقاً لوهى القرآن فإن علاقة إبراهيم بإسماعيل لم تنته بنفى هاجر وإسماعيل. إذ أن إبراهيم بنفسه قد اسكن بعض ذريته بموقع مدينة مكة المقدسة. وبني هو وإسماعيل بيت الله (الكعبة) هناك وطهرا للعبادة. وتم تفويض إبراهيم بأن يؤذن في البشرية جميعاً بالحج وبأدائه بالبيت الحرام وحول مكة^(٧).

ولما كان القرآن غير منظم بحسب تواريخ الأحداث كما هو شأن معظم الكتاب المقدس، فإن الاشارات إلى إبراهيم وإسماعيل مبعثرة خلال ٢٤ سورة ذات صياغات متنوعة. فالقرآن يذكر في سورة إبراهيم - ٣٧ أن إبراهيم قد أحضر بعضاً من ذريته لكي يعيشوا في واد غير ذي زرع مجاور لبيت الله الحرام ليقوموا الصلاة بانتظام. وموقع هذا المكان المقدس ليس محدداً في هذه الاشارة. غير أن سورة (آل عمران - ٩٦) تذكر أن أول بيت للعبادة وضع لبنى البشر كان ببكة المباركة وهو اسم مرادف كما يقول المفسرون - لمدينة مكة المقدسة (كما تكتب وتنطق بالعربية)^(٨). ويواصل القرآن في الآية الآتية القول إن "مقام إبراهيم" الشهير يقع هناك. وبالفعل يوجد اليوم مقام إبراهيم في الرقعة الفسيحة المقدسة التي تقع فيها الكعبة، مركز الشعائر الاسلامي الذي لا تنتهك حرمة. ويذكر القرآن أيضاً أن هذا هو المكان الذي تودى فيه فريضة الحج. والواقع أن القرآن يخبرنا في سورة البقرة ١٢٤-١٢٩ كيف قام إبراهيم وإسماعيل بإرساء أسس الكعبة وطهرا للحج والعبادة. ومع ذلك فالقرآن لا يشرح كيف حضر إبراهيم إلى مكة. إذ الأخرى الافتراض بأن المخاطبين يعلمون الاجابة. والحقيقة أن مفسرى السنة الاسلامية يلجئون إلى الروايات القديمة التي تحكى رحلة إبراهيم من الأرض المقدسة بالقرب من أورشليم إلى الأرض المقدسة بمكة وضواحيها^(٩). والرواية التالية يمكن العثور

عليها في أصح التفسير القرآنية. إذ أنها تروى بصفة عامة منسوبة إلى أحد أكبر مفسري القرآن المحدثين وأحد صحابة الرسول وهو عبد الله بن عباس^(١).^(١٥)

ورغم أنه لا يوجد أي نص في التوراة، ولا أية إشارة مباشرة عنها، فإن القصة مألوفة لدى الذين لديهم إلمام بنزاع سارة وهاجر كما يصوره سفر التكوين ١٦، ٢١. وبما يتفق مع سفر التكوين ٢١: ١٤، تصور الروايات الإسلامية إبراهيم وهو يزود هاجر بالمؤن من أجل السفر. إلا أنه بخلاف ما جاء بالكتاب المقدس، تذكر المراجع الإسلامية أن إبراهيم صاحب هاجر واسماعيل لكى يوصلهما بنفسه إلى الموقع الصحراوي لمدينة مكة المستقبلية المباركة^(١٦). وأن إبراهيم تركهما بالقرب من شجرة خفيضة أقرب إلى مكان الكعبة، مما يذكر بترك هاجر لاسماعيل "تحت إحدى الأشجار" كما جاء بسفر التكوين ٢١: ١٥. وعندئذ انطلق إبراهيم في رحلة طويلة عائداً إلى أورشليم غير أن هاجر تبعته وسألته إلى من يتركهما في مثل هذا المكان المهجور. وبعد سكوت طويل أجابها "الله" وقيل أن يستأنف رحلة العودة أخذ يدعو بالدعاء الذي ذكر بالقرآن بسورة إبراهيم - ٣٧ ﴿ربنا إني أسكنت من ذريتى بوادٍ غير ذي زرع عند بيتك المحرم. ربنا ليقيموا الصلاة﴾.

لم يكن اسماعيل سوى طفل في ذلك الوقت. ولما نفذ الماء من قربة هاجر، جف جسمها وتوقف لبنها عن تغذية ابنها. وحين أصبح عطش اسماعيل فوق احتماله أخذ يتلوى من آلام الاحتضار. ولم يكن في قدرة هاجر أن تطبق رويته يموت، فتركته تحت الشجرة (انظر سفر التكوين ٢١: ١٦)، وتسلفت تلاً بالقرب منها بحثاً عن أية مساعدة. ولما لم تجد أحداً، أسرع فوق التل المقابل في الناحية

^(١) مثل هذه الروايات نأخذها طبقاً للقاعدة الإسلامية التي تقول: ما جاءكم عن أهل الكتاب مما كان موافقاً لما جاءنا أخذناه (تطبيقاً للحديث الصحيح "وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج") وما كان مخالفاً رفضناه. وما كان غير ذلك توقفنا فيه، فلا نقبله ولا نكذبه. طبقاً للحديث النبوي عن ابن مسعود رضي الله عنه في حديث رواه ونقله الطبري في تفسيره، ورواه ابن كثير عند تفسيره قوله تعالى ﴿ولا تحادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن﴾ إذ يقول ﴿إما يُكذِّبُوا بحق أو يُصَدِّقُوا بباطل﴾.

الأخرى، وألقت بنظرة هناك أيضا إلا أنها لم تر شيئا. ثم أخذت تعدو بلا أمل بين التلّين سبع مرات. وحين فقدت الأمل تماما - سمعت صوتا .. فعادت مسرعة إلى ابنها فرأته في صحبة ملك - تذكر النصوص أن اسمه جبريل - الذى أحضر لهما ماء غزيراً من الأرض، فسكبته هاجر فى قريبتها فوراً وانقذت بذلك حياة طفلها (سفر التكوين ١٦: ٧، ٢١: ١٧-٢٠) وأخبر الملك هاجر أن الولد وأباه سوف يبنيان يوماً بيت الله فى هذه البقعة.

وطبقا للإسلام فإن هذه القصة توضح الأصل المقدس لهذه البئر المقدسة. وهى البئر الموجودة فى البقعة المقدسة بمكة والتى يرتوى منها الحجاج حتى اليوم عندما يؤدون الحج بمكة. والتلان اللذان جرت هاجر بينهما طلباً للنجدة، هما التلان المقدسان الصفا والمروة واللذان يجرى بينهما كل مسلم منتسكاً ومقلداً عدو هاجر بينهما سبع مرات وذلك حتى يومنا هذا.

ومع ذلك فالقصة لم تنته بعد. إذ بعد أن استقرت هاجر واسماعيل بمكة، مرت مصادفة جماعات من العرب من قبيلة جرهم، ولاحظوا مظاهر الحياة فى الوادى الذى كان يظن أنه جاف وقاحل. فأرسلوا من يستكشف لهم الأمر. فوجد هاجر واسماعيل إلى جوار هذه البئر العجيبة. ولما شاهدوا غزارة هذا النبع المبارك، طلب زعماء القبيلة الإذن من هاجر للإقامة معها هناك. فأذنت لهم هاجر وأحضرت قبيلة جرهم أهلها إلى مكة، واستوطنوا فى هذه البقعة المقدسة. ولما شب اسماعيل تعلم اللغة العربية^(١) والثقافة من قبيلة جرهم وفى آخر الأمر تزوج بإحدى نسايتهم^(٢) (٣).

^(١) يقول عباس محمود العقاد "أن إبراهيم كان عربيا وكان يتكلم العربية.. وليست العربية التى تتكلمها اليوم.. وإنما هى لغة الاقوام التى كانت تعيش فى شبه الجزيرة العربية. وقد كانت لغة واحدة من اليمن إلى مشارف العراق والشام وتحرم فلسطين وسيناء.. وان إبراهيم لم يكن عبريا من العبريين (إبراهيم أبو الانبياء ص١٢٤) (المترجم) -

قد تبدو هذه نهاية مناسبة للقصة، غير أن القصة استمرت. إذ لم يكن إبراهيم راضياً أن يترك ابنه وحده مع هاجر في الصحراء رغم أنه يعلم أن الله سيكون مع أبنه (حسب سفر التكوين ٢١: ٢٠). ولكونه أباً خنوئاً ومسئولاً ولم يكن قد طرد ابنه البكر، فإنه شعر بالحاجة إلى زيارة ابنه لكي يرى بنفسه كيف صار حاله. ولهذا رحل إلى مكة^(١٢). ولم يكن اسماعيل بداره في ذلك الوقت، فقابل إبراهيم زوجته الغليظة غير الكريمة. ونتيجة لهذه المقابلة غير السارة طلب منها إبراهيم أن تبلغ زوجها رسالة رمزية يفهم منها اسماعيل أن عليه أن يطلقها. واتطلق عندئذ إبراهيم في رحلة العودة نحو الشمال دون أن يرى اسماعيل. ولما عاد إسماعيل أحس على الفور أن أباه كان هناك وسأل زوجته عما حدث. وبكل سذاجة حدثته عن الشيخ الغريب الذي حضر إليهما فجأة، وعرف اسماعيل من الرسالة الرمزية ومن وراء الكلمات أنه ينبغي عليه أن يطلقها. وعلى الفور قام الابن البار بتطبيق زوجته ثم تزوج من امرأة أخرى من قبيلة جرم.

ومرة أخرى شعر إبراهيم بالحاجة إلى زيارة ابنه إلا أنه لدى وصوله وجد اسماعيل أيضاً غائباً، لكن هذه المرة استقبل إبراهيم بحفاوة بالغة وبوقار من زوجة اسماعيل الجديدة (لاحظ كيف أن إبراهيم يمثل صورة مصغرة للكرم والحفاوة في كل من اليهودية والإسلام). وطلب إبراهيم من زوجة إسماعيل أن تبلغ زوجها

- ^(١٢) ﴿فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك...﴾ (الصافات ١٠٢) أشار الكاتب إلى رقم الآية بالهامش رقم ١٣ دون أن يذكر نصها ودون أن يتحدث في المقال عن موضوع الدبح. وكان أهميته ضعيفة. وعبارة "بلغ معه السعي" يفهم منها أن تربية اسماعيل كانت تحت بصر ورعاية أبيه حتى بلغ سن المشي وهو معه (المترجم).

^(١٣) ﴿ونادياه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا﴾ ثم جاء بعدها ﴿وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين﴾ (الصافات ١٠٤-١٠٥، ١١٢). ومعنى ذلك ان اسحق كان هدية من الله لابراهيم كابين ثان جزاء طاعته في تنفيذ امر الله بذبح ابنه الوحيد في ذلك الوقت وهو اسماعيل. وكلمة اسماعيل معناها (سمع الله) حيث أن الله سمع دعاء ابراهيم بطلب الذرية الصالحة ﴿رب هب لي من الصالحين﴾ ومعنى كلمة اسحق (ضحك) لأن سارة ضحكت عندما جاءت بها البشري ﴿وامراته قائمة فضحكت...﴾ (فتحى حجازي).

رسالة رمزية بأن هذه الزوجة قد تأكد أنها الزوجة ذات الاختيار المناسب للزوجية. ثم رزقا بالذرية. ومن خلال سلسلة طويلة من الأنساب لم ترد بهذه الرواية وإنما ذكرت في رواية عن مصادر إسلامية أخرى، يتجلى منها أن النتيجة النهائية لهذا الزواج المؤيد من العناية الإلهية (ويتدخل من إبراهيم نبي الله) كان ميلاد محمد (صلى الله عليه وسلم) .. آخر وأكبر رسل الله جميعا.

وبعد ذلك زار إبراهيم مكة للمرة الثالثة. وقابل اسماعيل هذه المرة ببيته وهو يحد السهام في ظل نفس الشجرة التي تركه إبراهيم تحتها هو وأمه منذ سنين مضت. وأبلغ إبراهيم اسماعيل أن الله قد أصدر إليه أمراً. فأجابه اسماعيل أنه إذا أمر الله إبراهيم بأى شئ فإنه سينفذه على الفور. فأخبر إبراهيم اسماعيل عن أمر الله لهما ببناء الكعبة كما جاء بالقرآن (سورة البقرة - ١٢٧). ولقد أطاعا أمر الله بكل تقان، وكان اسماعيل ينال أباه الحجارة بينما كان إبراهيم يضعها في مكانها في هذا البناء المبارك. وهما بينيان، كانا يدعوان بهذا الدعاء الوارد بالقرآن: ﴿ربنا تقبل منا، إنك انت السميع العليم﴾ (البقرة ١٢٧) (١) (٢).

(١) لكن المؤلف ذكر امر الله ببناء الكعبة، ولم يذكر أمر الله في رؤيا إبراهيم ان يذبح اسماعيل، ولم يذكر موقف اسماعيل من هذا الأمر الإلهي ﴿قال ياأبت افعل ما تؤمر، ستجدنى إن شاء الله من الصابرين﴾ (الصفافات ١٠٢) لأن هذا الأمر يخالف ما روته كتبهم المقدسة من أن الذبيح هو اسحاق وليس اسماعيل مع أن رواية القرآن تجعل حادثة الذبح (في سورة الصفافات) قبل بشرى إبراهيم بانه اسحاق. فبعد أن ذكر القرآن قصة ذبح اسماعيل قال ﴿وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين﴾ (الصفافات ١١٢).

(٢) ذكر المؤلف هذا الدعاء، ولم يذكر الدعاء الذى بعده ﴿ربنا واحعلنا مسلمين لك . ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ... ربنا وابعث فيهم رسولا منهم (أى من آل اسماعيل) يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم...﴾ (البقرة ١٢٧) وهذا النص خير رد على سؤاله عن إبراهيم أهو مسلم أم يهودى؟.

الرواية في الكتاب المقدس مقابل قصة القرآن التاريخية

تشتمل المصادر اليهودية والاسلامية على روايتين عن ابراهيم واسماعيل مختلفتين ومتناقضتين من وجوه كثيرة - كل منهما تستند إلى مقاطع مختلفة من الكتب الدينية Sacred Scripture. فطبقاً لرؤية الكتاب المقدس يكون عهد الله مع ابراهيم مبرماً مع اسحق وليس مع اسماعيل المطرود^(١). أما يعقوب ابن اسحق الذي سماه ملاك الله فيما بعد باسم إسرائيل فقد أنجب القبائل الاثنتى عشرة التى تكون منها الشعب الاسرائيلى^(٢). فالعهد مبرم مع اسحق وليس مع اسماعيل. واسحق هو ذبيح الله عن طيب خاطر على جبل Moriah وهو بالضبط مكان معبد المستقبل بأورشليم؛ بيت الله. وتمتد ذرية ابراهيم من خلال اسحق وتنتهى بدأود اكبر ملوك بنى اسرائيل، ورمز الوحدة والخلص المسيحى المستقبل للشعب اليهودى.

أما طبقاً للرؤية الإسلامية، فكان ابراهيم قد أخذ بنفسه ابنه البكر اسماعيل - الذى لم يطرد أبداً - إلى المكان المقدس بمكة. وانهما بمكة قاما شخصياً ببناء بيت الله الحرام^(٣). وأن ابراهيم كان معنياً أن يأخذ على عاتقه أن يجعل اسماعيل يتزوج بالمرأة المناسبة التى سوف تكون جديرة بالمنزلة الأمامية فى سلسلة الأنساب التى سوف تؤدى إلى ميلاد محمد (صلى الله عليه وسلم) اكبر الأنبياء، وأداة نقل أعظم هدية من الله ألا وهى القرآن.

^(١) لم يكن العهد لاسحاق وحده كما تقول روايتهم. وانما كان عهد الله لاسماعيل كما عهد إلى اسحاق قال تعالى ﴿وعهدنا إلى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتى...﴾ (البقرة ١٢٥) وما مبررات طرده؟
^(٢) ومع ذلك ومن خلال نصوصهم، فابراهيم ليس يهودياً. فباعترافهم أن اسرائيل هو ابو القبائل الاثنتى عشرة التى هى اصل اليهود. وهؤلاء جاعوا بعد ابراهيم واسحاق ويعقوب. يقول الله تعالى ﴿ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً، ولكن كان حنيفاً مسلماً﴾ (آل عمران ٦٧) وقبل هذه الآية يقول الله تعالى ﴿يا أهل الكتاب لم تحتاجون في ابراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده﴾ (آل عمران ٦٥).

وطبقا للتراث اليهودي، يكون تاريخ اسماعيل غير متصل بالتاريخ المقدس لشعب الله^(١٤). فالتاريخ المقدس^(١) يظل في خط اسحق. أما في الاسلام فإن اسماعيل يكون الجد الأعلى لأكبر رسل الله الذي سوف يقود شعبه يوما ليحقق حكم الله على الأرض. ويظل التاريخ المقدس لخلاص البشرية عن طريق الخضوع للإسلام كلية في خط اسماعيل.

^(١) يقول د. جمال بدوى في كتابه (محمد في الكتاب المقدس بالانجليزية ص ٣١-٣٤): هل كان اسماعيل وذريته خارج عهد الله ووعده؟ هناك اجابة مألوفة وان كانت خطأ بالراح. وقدمت لها مبررات:

١. ان اسماعيل ليس ابنا شرعيا لابراهيم: ويقول المفسرون في The Interpreter's Bible "ان اسماعيل مثل اسحاق من ذرية ابراهيم إلا أن اسحاق هو الوعد الأخير ومولود من سارة الزوجة الحقيقية. بينما اسماعيل مولود من ام حارية. ورغم أنه من نسل ابراهيم إلا أنه يجب أن يفصل عن الابن الشرعى". غير أن هذه الحجة لا تستند إلى المنطق أو الاخلاق بل ولا إلى نصوص الكتاب المقدس ذاته. فهل كان رق هاجر يمتعها من أن تكون زوجة شرعية لابراهيم؟ وإذا لم تكن زوجة شرعية .. فأى زوجة تكون؟ ويصف سفر التكوين ١٦: ٣ هاجر بأنها زوجة ابراهيم "وأخذت ساراي امرأة ابرام هاجر المصرية حاريتها ... واعطتها لابراهيم زوجة له" فإذا كانت زوجة شرعية فلا اساس للسؤال عن شرعية بنوة اسماعيل ابنها "ابن الحارية أيضا سأجعله أمة لأنه نسلك (التكوين ٢١: ١٣)". وطبقا للقانون اليهودي يكون للمولود الأول نصيب مضاعف في الشرف والميراث. وان هذا الحق لا يمكن أن يتغير بسبب وضع امه (انظر التثنية ٢١: ١٥-١٧).

٢. ان اسحاق وحده هو ابن العهد والوعد .. ان دراسة نصوص التكوين ١٧: ٢١، ٢١: ١٢ مع نصوص أخرى من نفس الكتاب توضح أن الاسماعيليين يدخلون في وعد الله وعهده مع ابراهيم: إذ أن عهد الله مع ابراهيم تم قبل ان يكون له اولاد (التكوين ١٢: ٢-٣) وتكرر بعد ميلاد اسماعيل وقبل ميلاد اسحاق (التكوين ١٧: ٤). ويوضح سفر التكوين ٢١: ١٢ ان اسحاق سوف يسمى نسل ابراهيم. والنصوص التالية (التكوين ٢١: ١٣) تسمى اسماعيل نسل ابراهيم. وكما ان اسحاق مبارك (التكوين) فإن اسماعيل ايضا مبارك (التكوين ٢١: ١٣). وتأكد ذلك في سفر التكوين ٢١: ١٨. ويلاحظ ان حديث الله عن "العظيمة" لا ينحصر معناها في العدد فقط وانما فوق كل شئ في الايمان والميراث الروحي والزعامة الدينية

٣. ولماذا حصر العهد والوعد إما في اسماعيل وإما في اسحاق؟ أى في واحد منهما فقط. الا تقتضى العدالة الإلهية المساواة بين الأخوين؟ (المترجم)

وتمثل الروايات اليهودية والإسلامية عن قصة إبراهيم ودرينه نموذجاً تقليدياً عن تراث الديانتين الذي يقص قصصاً مختلفة بل ومتنافسة عن نفس الشخصيات المثالية. هذه الملاحظة ليست جديدة. فمذ العصور القديمة، كان أتباع الديانات المختلفة يعرفون أن الديانات الأخرى تفهم التاريخ ووسيلة الخلاص بطرق مختلفة، وأنهم كثيراً ما تناقشوا، وتجادلوا، وتنازعوا بل وشنوا الحروب بينهم بسبب خلافاتهم.

الأفكار الدينية المتنافسة:

إن تراث كل ديانة من ديانات التوحيد تطور من دفاعه ذي النزعة الطاردة ضد ادعاءات الآخرين^(١). فالتراث اليهودي والنصراني يميل إلى اعتبار الادعاءات الإسلامية أخطاء أو محاولات لتحريف الحقيقة الدينية باسم قوة الإسلام الزمنية^(٢). وفي المقابل يميل التراث الإسلامي إلى اعتبار الادعاءات اليهودية والنصرانية أنها نتيجة التلاعب في نصوص الوحي، التي كانت في الأصل تحمل نبوءات واضحة تبشر بقدوم محمد (صلى الله عليه وسلم) وظهور الإسلام. وكل من روايات الكتاب المقدس والروايات القرآنية في نظر أتباعها هي قديمة قدم الخلق والادعاءات المتناقضة لا يمكن التسامح فيها، وحيث أن المؤسسات التي تمثل ديانات التوحيد تميل تقليدياً إلى قبول حقيقة واحدة فقط، فإن تراثاً واحداً فقط هو الذي يمكن أن يكون صحيحاً. وبالتالي تكون الأخرى أما خطأ وإما محرفة عن عمد.

^(١) الإسلام لم تطور شيئاً ضد ادعاءات الآخرين. وما يتعلق بالعقائد وقصة إبراهيم وإسماعيل وإسحاق وغيرها ثابت منذ عهد الإسلام الأول بلا أدنى تغيير أو تطوير وبنصوص صحيحة وموثقة وقصص الأنبياء نزلت في السور المكية قبل أن يكون للإسلام سلطة زمنية. (المترجم)

^(٢) الروايات عن الاسم السابقة لا تقبل فيها أقوال الشر لأنها غيب فلا تقبل منها إلا ما وافق نصاً قرآنياً أو سنة نبوية والنص القرآني مقطوع بشيئته. والسنة يقبل منها ما صحت روايته أو حسنت ما قول بأعطاء الروايات الإسلامية إذا استندت إلى النص القرآني أو النبوي ضلال عن الحقيقة وتزييف لها إذا رصت.

وفى العصر الحاضر، حاول المهتمون بالحوار بين التراثات الدينية المتعارضة تجاوز هذه الفجوة بطرق متعددة. فالمدخل الأكاديمي التقليدي^(١) كان يميل إلى تحليل النصوص لكلا التراثين من أجل محاولة تحديد ما إذا كان أحد التراثين قد "استعار"^(٢) من التراث الآخر، أو لمحاولة تحديد ما إذا كان التراثان قد تطورا بعيدا عن التراث المشترك. هذا المنهج يفتت ويحلل الوحدات المختلفة لكل رواية خاصة بالتراث لمحاولة استخراج أسرارها. إلا أن الأسلوب الأكاديمي للأسف كان يميل مع ذلك إلى النزعة الانتقاصية reductionism التى من أثرها إنقاص سلطان الرواية إلى مجرد جملة أجزاء بسيطة بل وقليلة الأهمية. انها تميل

^(١) النصوص الاسلامية ترحب بالاسلوب الاكاديمي النزيه. وتدوين السنة وتسجيل القرآن يتفقان مع احداث المناهج العلمية. اما جمع التوراة فان الدراسة الاكاديمية العلمية اثبت غير ذلك. اذ ابتداء من القرن الاول قبل الميلاد كان هناك دفاع عن رأى القائل بان موسى عليه السلام قد كتب الاسفار الخمسة كلها. أما اليوم فقد هجر هذا الفرض تماما، وبدأ العلماء يشككون فيه حيث رأى احدهم استحالة ان يكون موسى عليه السلام قد كتب عن نفسه كيف مات. ثم قام "ريشار سيمون" بدراسة هذه القضية بكتابه "التاريخ النقدي للعهد القديم" نشره ١٦٧٨م وفيه يؤكد الصعوبات الخاصة بتسلسل الاحداث والتكرارات وفوضى الروايات وفوارق الاسلوب فى الاسفار الخمسة. ثم قام "جان استروك" عام ١٧٥٣م بدراسة اخرى نشرها على الملأ بناء على ملاحظة اساسية هي وجود نصين جنباً إلى جنب فى سفر التكوين يحتوى كل منهما على خاصية مختلفة فى تسمية الرب: اذ يسميه احدهما ييهوه ويسميه الثانى بالوهيم. وهناك اخطاء اخرى ذات طابع تاريخي اكتشفها عدة مفسرين يهود ونصارى حيث وقفوا على عدة تعديلات مختلفة واضافات لاحقة للنصوص الاصلية ... وخلص "موريس بوكاي" فى دراسته إلى القول بأن سفر التكوين يتضمن اكثر المتناقضات وضوحا مع العلم الحديث ويحصرها فى ثلاث نقاط جوهرية (١) خلق العالم ومراحل (٢) تاريخ خلق العالم وتاريخ ظهور الانسان على الارض (٣) رواية الطوفان . (انظر كتاب الاسلام والاديان.. د. مصطفى حلمي ص ١٤٩-١٥١) (المترجم)

^(٢) نظرية الاستعارة هذه مبنية - فى نظر الدارسين الغربيين - على ان الاسلام ملفق من الديانتين السابقتين. غير أن أى دراسة جادة وصادقة لابد أن تؤكد أن الاسلام ثبتت أصوله وقصص انبيائه منذ ايام الوحي المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم فى كتاب ﴿ لا يأتى الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴾ (فصلت ٤٢) فليس هناك استعارة إلا عند الذين لا تقوم دراستهم على الحق والانصاف.

إلى تجاهل السلطة الكبرى- بل حتى السمو - فى المنهج الأدبى والحقائق الدينية التى تقدمها مثل هذه الروايات.

إن أسلوبا ليس به نزعة انتقاصية فى تناول الادعاءات الدينية المتنافسة - مثل هذه - مطلوب بشدة، إلا أن الجهود المتصفة بالتسامح من جانب بعض علماء الدين المتحررين تبدو غير متوافرة. ولقد قام مفكرون دينيون متسامحون بين الحين والآخر ببناء شعارات دينية لإيجاد حلول مشتركة لبعض القضايا المذهبية الخاصة مثل التى أثرت هنا. غير أن هذه المحاولات تميل لأن تظل غير مرضية على الأقل لواحد، وفى بعض الأحيان لكل الأطراف المتنازعة^(١٥). وهناك رؤية ثالثة، ألا وهى رؤية الملحد غير المتعاطفين مع الدين، الذين يلحون بأن مثل هذه الإدعاءات المتناقضة ليست إلا دليلا على تحكم الدين، ويشيرون إلى أن الدين ينحصر دوره فقط فى تفسير الظواهر البشرية والطبيعية، ولا أمل فيه للتوفيق بين الشعوب المتدينة.

أما أسلوب التقريب بين المعتقدات الدينية المتنافسة أو حتى المتعارضة كالمثال الذى سقناه هنا عن ابراهيم واسحاق واسماعيل^(١) فيمكن أن يكون مساهمة تقدم للمهتمين بعملية الحوار بين الأديان. ويتطلب هذا الأسلوب أولاً وقبل كل شئ أن نكون على استعداد للتسليم بعدم الاهتمام بتحديد النص "الأصلى" أبداً. فاليهود يميلون إلى الادعاء بأنه باعتبار أن شريعة التوراة قد سنت قبل شريعة القرآن بوقت

^(١) ليس فى نظرة الاسلام إلى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب أى تباين أو تعارض مع ما يصح ثبوته عن الله فى الكتب المقدسة فالإسلام يرى ابراهيم عليه السلام رسولا عظيما من الخمسة أولى العزم، ويراها الأب للأنبياء من بعده. وقال عنه الله تعالى ﴿وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب﴾ (العنكبوت ٢٧) وهكذا قال الكتاب المقدس. وما ان الله أخبر ابراهيم بان العهد فقط سيكون فى ولد سارة اسحاق، وليس فى ولد هاجر اسماعيل، فنبهه ان ابراهيم ذهب بائنه اسماعيل ليبنى أول بيت وضع فى مكة. وكان وهو يئنه يدعو هو وابنه قائلين: ﴿ربنا واجعلنا مسلمين لك، ومن ذريتنا أمة مسلمة لك﴾ (البقرة ١٢٥) ثم يقول فى دعائه بعد ذلك: ﴿ربنا وابعت فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك﴾ (البقرة ١٢٦).

مبكر جداً، فإن القصص القرآني الذي يشتمل على شخصيات ورد ذكرها في التوراة تمثل روايات متعارضة. (أى "أخطاء" أو "تحريفات متعمدة") لقصص التوراة. غير أن المسلمين يدعون أيضاً بأن وجود القرآن سابق لنزول التوراة^(١) بجبل سيناء لأنه سابق لخلق الكون. وباعتباره "أم الكتاب"^(٢) أى الأصل أو URTEXT الوحي، يكون القرآن هو الأساس الذي تستمد منه كل الكتب المقدسة التي نزلت بالوحي. وبناء على ذلك يكون زعماء بنى إسرائيل القدماء قد اطلعوا على النص الحقيقي للتوراة الذي ورد فيه ذكر اسماعيل فى أول الأمر بشكل أكيد، وأنهم تعمدوا تحريف الكتب المقدسة لتبرير ادعائهم بأن الديانة اليهودية ستظل هى دين الله المفضل. إذن كل من اليهودية والاسلام يدعى أنه "الأصل" وبالتالي هو الذى يقدم القصة "الحقيقية".

غير أن الدراسات الحديثة للنظرية الأدبية تحاول التشكيك فى كلتا النظريتين^(٣). فمنذ وقت بعيد كان ثابتاً أن القصص المتعلقة بموضوعات التوراة التي كانت معاصرة أو سابقة على تلقى روايات التوراة، كان قد عثر عليها فى الحضارات القديمة التي قامت فى بلاد ما بين النهرين وحتى مصر. ويحتمل أن تكون قد وجدت ترجمات لعدد من هذه الأساطير على اشكال مختلفة منذ زمن ممتع فى القدم. ويمكن الرد على ذلك أنه حتى بالمفهوم الأدبى لم يحدث أبداً أن

^(١) حجية القرآن لا ترجع إلى أنه فى أم الكتاب فقط. وانما تتركز فى انه كلام الله المعجز المنزل على الرسول بلفظه، والمتواتر على مر الزمن من جيل إلى جيل. ولا يوجد فى العالم سوى نص قرآنى واحد متفق عليه من الجميع بلا أدنى اختلاف (المترجم).

^(٢) هذا تفسير سى "لأم الكتاب" فالقرآن ليس أم الكتاب، وانما هو مأخوذ منه ﴿إنه لقرآن كريم. فى كتاب مكنون﴾ (الواقعة ٧٧-٧٨) والكتاب المكنون هو أم الكتاب. وهو اللوح المحفوظ ﴿بل هو قرآن مجيد. فى لوح محفوظ﴾ (البروج ٢١-٢٢) وهذا الكتاب المكنون أو اللوح المحفوظ منسوخ من علم الله، ومنه القرآن وكل الكتب المقدسة.

^(٣) قصة ابراهيم عليه السلام عندنا ليست نظرة، وانما هى نص إلهى ثابت.

وجد "أصل" لرواية عن قصة إبراهيم^(١٦). فلا يستطيع إذن أى دين أن يثبت ملكيته الخاصة أو حقه فى "حقيقة خاصة به فى هذا الشأن"^(١).

فالسؤال عن أيهما هو النص "الأصلى" سؤال يفرض نفسه، غير أنه فى النهاية هو السؤال الخطأ لأناس راغبين فى الحوار. فالحجج حول أى الوحيين جاء أولاً لا يمكن الفصل فيها وإنما هى تعوق التقدم. انها لا تشجع على الحوار والتفاهم وإنما تدعو إلى الجدل والنزاع. وعلى زعماء الدين تجاوزها وسرعة إنشاء أتباعهم (وأنفسهم) عن الاقتناع^(٢) بأنهم وحدهم الذين لديهم الحقيقة المطلقة الفريدة، وأن يتحركوا قدماً إلى قضايا أخرى.

الحوار بين العقائد:

على الذين يشتركون فى حوار أن يكونوا على استعداد لاحترام الارتفاع الدينى لدى الآخرين الذين يتبعوه سبلا مختلفة فى معرفة الله. وهذا يتطلب إيماناً عميقاً فى أن حقيقة وجود الله يتجاوز مطلب الإنسانية الدينى. وأن نكون راغبين على حد قول الكاتب عن الإسلام "مارشال هُدجسون" ... "فى بذل الجهد من أجل الأمل فى أن شينا غالباً على الأذكىاء وذوى الحساسية من الناس طوال عدة أجيال لا يمكن أن يكون شينا مبتذلاً على أقل تقدير"^(١٧). إذ من الأرجح أن يتضمن حقائق نستطيع أن نتعلم منها.

فبالنسبة لليهودى الذى نشأ وهو يؤمن بحقيقة العهد الإلهى مع الشعب اليهودى، تبدو المقالة الإسلامية حول قصة إبراهيم وإسماعيل فى نظره تحدياً ولكن ليس بالضرورة أن يكون التحدى تجاه عقيدة شخصية لأحد، أو تجاه غرور شخص،

^(١) نحن المسلمين لا نثبت قصة إبراهيم ولا انتساب ديننا إلى منهجه بروايات عشر عليها هنا وهناك، وإنما نثبت ذلك بالوحى المنزل الذى يجعل كل منصف يقر بصحته وبعده عن التزيف.

^(٢) هذه الدعوة لا تتفق مع ما سبق أن قيل من أن الحوار لا يحتم على أحد التنازل عن صحة عقيدته وإفرادها بالحقيقة المطلقة (المترجم).

وإنما تجاه موقف عام لشخص ما نحو الأديان الأخرى. إن دراسة كيفية تناول الاسلام لأى موضوع لا يحتاج منا أن نترك عقائدنا. بل إنه يفتح أعيننا لكى نفهم أن المسلمين شأنهم شأن اليهود يرون أنفسهم فى علاقة خاصة مع الله وهم يحققون وصايا الله. وعندما نصل إلى فهم مدى عمق هذه العلاقة، نتعلم كيف نحترم ونقدر الدافع الروحانى والدينى لدى أبناء عمومتنا المسلمين، حتى ونحن نقر باختلاف طرقنا.

وعلىنا أن نسلم بأن الدعوة إلى الاقتراب من تراث نظام دينى آخر وادعاءاته مع توافر الاحترام العميق والانفتاح الرحب هى دعوة مثيرة للخوف. إذ أن الشخص إذا كان على استعداد لقبول شرعية ديانة أخرى، ألا يحتمل أن ذلك يضع الأسس الجوهرية فى عقيدته موضع الشك آخر الأمر؟ هذا ممكن .. غير أن المشكلة تبدو خطيرة تماما إذا قبل هذا الشخص تعريفا لحقيقة دينية على أنها مطلقة وثابته وتنتمى إلى تراث دينى واحد. ولقد أثبتت الدراسات الحديثة أن بعض الحقائق الأساسية فى الكون الطبيعى^(١) غير جديرة بأن يستمر الظن بثباتها. وحتى بعض الحقائق الراسخة مثل جوهر المادة والزمن .. اتضح أنها عرضة لمرونة نسبية. وعلى ضوء علمنا الحالى عن عالم الطبيعة، يبدو أنه من الفطرسية الادعاء فى ظل تمامية entirety هذا الكون، أن يكون الله قد سمح بأن تكون "الحقيقة" الدينية مودعة فى تراث دينى واحد لاغير^(٢). والحاخامات أنفسهم يقرون بأنهم لا يستحوزون على ملكية الحقيقة الدينية ملكية خاصة، فى الوقت الذى يعلمون فيه أن عقيدتهم هى الحق فى نظرهم. إنهم يسلمون بأن الاتقياء من كل الشعوب لهم نصيب فى

^(١) الحقيقة الدينية تختلف عن النظرية العلمية المتعلقة بالطبيعة. فالأولى ثابتة بأنها منزلة من عند الله. والثانية عرضة للتغير بحسب نتائج الابحاث البشرية. ولا معنى هنا للربط بين القضيتين بقصد زعزعة قوة وثبات الحقيقة الدينية. (المترجم)

^(٢) بل الفطرسية هى فى الادعاء بأن الحقيقة نائمة وضائعة فى أديان وتراثات متعارضة ومتناقضة ﴿ان الدين عند الله الاسلام ... ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه﴾ (آل عمران ٨٥، ١٩) (المترجم)

الآخرة⁽¹⁸⁾، ويذهب الحاخام "يوهانان" إلى حد القول بأن أى شخص يرفض الوثنية يمكن اعتباره يهوديا⁽¹⁹⁾. وحتى فى عرض الكتاب المقدس لتراثنا، وعلى الرغم من طرد اسماعيل طرداً نهائياً، فإنه يمنحه بركة ربانية ويقبل أبناءه الاثنى عشر كأمرأه ومؤسسين للقبائل الاثنى عشر⁽²⁰⁾ وهو تشبيه للاثنى عشر ولداً بالاثنتى عشرة قبيلة لإسرائيل. وزيارات ابراهيم لاسماعيل فى التراث اليهودى المتأخر هى اعتراف آخر بأننا نأخذ ادعاء ذريته بجدية⁽²¹⁾.

والاسلام بطريقة مماثلة يشتمل على أسانيد تقرر ادعاءات دينية لدى الغير. فالقرآن ينص على أن المسلم واليهودى والنصرانى والصابئ وأى إنسان يؤمن بالله واليوم الآخر ويعمل الصالحات. سوف يستحق الجزاء الحسن فى الآخرة⁽²²⁾. وفى موضع آخر يقرر القرآن أنه لا إكراه فى الدين. وأن أى شخص يرفض الشر ويؤمن بالله سوف ينجو^{(1) (23)}.

وليست هناك صعوبة بالطبع فى أن نذكر الشعور المتقابل فى التراث اليهودى والتراث الإسلامى. فعلى الرغم - لأسباب تاريخية - من أن المؤسسات التى تتمتع وتخلد سلطان بعض الروايات الدينية كانت تميل إلى النزعة الخصوصية، فقد كانت هناك دائماً تيارات فكرية لها قيمتها تحترم السلوك والفكر الدينى لدى الملل الأخرى، بل وحتى حقيقة ادعاءاتهم الدينية.

وليس معنى هذا القول أن الحقيقة الدينية حقيقة نسبية. إذ أن الله لا يتغير فالله واحد وهو خالد. إلا أن الإدراك البشرى وفهمه لله يختلفان. ويتأثر إدراكنا بأشياء كثيرة منها اللغة والثقافة والتكنولوجيا والتاريخ. وكل تراث ينظر إلى الله من زاوية مختلفة، ويرى بالضرورة الحقيقة الواحدة بطرق مختلفة إلى حد ما. ولا توجد

⁽¹⁾ هذه الادعاءات مرفوضة فى الاسلام. فكل إنسان لا يؤمن بالانبياء جميعاً لا ثواب له فى الآخرة. فالله تعالى يطلب المؤمنين بالايمان بهم وألا يفرقوا بين احد من رسله، وينص على أن الذين لا يؤمنون بكل الرسل كفاراً ﴿إن الذين لا يؤمنون بالله ورسوله، ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسوله، ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض، ويريدون أن يتعلوا بين ذلك سبيلاً، أولئك هم الكافرون حقا﴾ (النساء ١٥٠-١٥١)

نظرة واحدة وفريدة يمكن ان تحيط بكل مظاهر الأصل The Source . وفى الوقت الذى نتعلم فيه من ديانة وروحانية تراث الآخرين، نوقن بعمق وثراء عقيدتنا، ونعلم أننا لم نعد نحتاج إلى مزيد من الألم بسبب المواجهات ولا عدم الأمن عندما نلاحظ الاختلافات التى بيننا. اننا لانحتاج إلى محاولة اقناع غيرنا أن يقبل رؤيتنا الدينية. وبمعنى آخر اننا لا نحتاج إلى البحث عن معتنقين جدد لديننا. إنما الأجدر ملاحظة اختلافاتنا فى الوقت الذى نؤكد فيه عموميتنا المشتركة Commonalities .

عندما نعمل معا ونتعلم المزيد حول بعضنا البعض ولو لمدد قصيرة من الزمن فإننا حتما نتعلم أن بعضنا من الادعاءات السلبية التى نحملها عن بعضنا البعض لا وجود لها فى حقيقة الأمر إننا نتعلم كيف نستبعد الآراء المقولبة، وبالتالي نتعلم كيفية التعامل مع القضايا الهامة بطريقة جديدة وبناءة. إننا فقط فى حاجة إلى احترام ما يتعلق بالتراثات القديمة والعقائد الدينية، ونتوقع نفس الشئ فى المقابل.

وقضية أى من ابنى ابراهيم هو الذى يجب أن ننظر إليه على أنه وحده الذى تلقى بركات الله العظمى هذه القضية لا يمكن أن نجد لها حلاً بمعرفتنا. والسؤال الاكثر فائدة هو هل يمكننا التسليم بحقيقة أن لدينا ادعاءات وعقائد مختلفة، وأننا مازلنا نعيش معاً؟ عبارة "الاحترام المتبادل" هى المفتاح فى عالم الحوار. وليست عبارة "حق" أو "باطل" ومع أخذ ذلك فى اعتبارنا، فإننا جميعاً - أبناء إسماعيل وأبناء إسرائيل - كلنا أبناء إبراهيم. فهل فى مقدورنا أن نعمل معا هنا وفى خارج البلاد على أمل بناء مستقبل أكثر فائدة لنا جميعاً.

هوامش البحث:

- (1) هذا العنوان يستند إلى النص القرآنى بسورة آل عمران - ٦٧ "وما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً، ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين".
- (2) الواقع ان ما كان الغرب ينظر إليه على أنه عطاء "للتراث اليهودى المسيحى" اصبح يختلف اليوم بدون الأكثر الخطير لمنهج التفكير الذى كان متقدماً فى ظل الاسلام خلال العصور الوسطى.

(3) هذه الدراسة تأخذ الترابط المتسلسل في التراث اليهودي الاسلامي كنقطة انطلاق. ويمكن أن تشمل النصراية أيضا ولكن ذلك قد يخدع في مدى صحة الحدود المشتركة بين اليهودية والاسلام مما يقتضى التوسع في الشرح وهذا يتجاوز حدود هذه الدراسة.

(4) أول ذكر لهذا الاسم لا يظهر حاليا حتى إصحاح ١ ملوك ١٣: ١٩ Bereshit Rabbah 45: 1; Targum Yonatan on Genesis 16: 1; Pirkey (5) D'Rabbi Eliezer Chapter 26 (61b); Sefer Hayashar (tel Aviv: Alter - Bergman, 1980): Lekh Lekha pp. 42.44 etc ..

(6) سفر التكوين ٣٧: ٢٨-٢٥، ٣٩: ١ سفر القضاة ٨: ٢٢-٢٣ المزمور ٨٣: ٧ هـ-و-لا اسماعيليون قد يكونون اشتركوا مع أهل مدين الذين كانوا هم أيضا اهل بادية وتجار قوافل (سفر التكوين ٣٧: ٢٨-٢٥ سفر القضاة ٨: ٢٢-٢٣).

(7) المراجع القرآنية موضحة أدناه

(8) العلاقة الصوتية الوثيقة بين الحرف الساكن الأول لكل كلمة قد يؤيد وجهة نظرهم.
(9) ارض اسرائيل لا يشار إليها كما هي في المصادر الاسلامية. وانما يشار إليها عموما على أنها سوريا (الشام) بالعربية. "The Holy Land" ("الارض المقدسة" فارن مع HA'ERETZ HAM-QUDDESHET) نادراً ما تستخدم ولائذك انها مستمدة من القرآن سورة المائدة - ٢١ حيث يحدث موسى شعبه على دخول الارض المقدسة التي كتب الله لهم ..

(10) تاريخ وفاته ٦٨٧ CE ومن أهم المراجع الاسلامية في التراث دائرة المعارف في تفسير القرآن والتاريخ العالمي لمحمد بن جرير الطبري (المتوفى ٩٢٣)، ومجموعة احاديث ابن حنبل (المتوفى ٨٥٦) والبخاري (المتوفى ٨٧٠) ومسلم (المتوفى ٨٧٤) والسير الشعبية للنعلى (المتوفى ١٠٣٥) والكسائي (القرن ١٢). ولمزيد من التفاصيل التحليلية وترجمة المراجع الاسلامية الأولية انظر "روفن فارستون - رحلات بالأرض المقدسة: تطور قصة^(١) ابراهيم واسماعيل في التفاسير الاسلامية (ولاية البانيا - مطابع جامعة نيويورك ١٩٩٠)".

(11) في اغلب ترجمات رحلاتهم، يكون ابراهيم قد اهدى إلى المكان المقدس لكعبة المستقبل بارشاد جبريل أو قوة ملائكية خارقة يشار إليها على أنها "السكنة".

^(١) ما روته التفاسير الاسلامية بالنسبة لقصة ابراهيم واسماعيل عليهما السلام، انما هو القصص القرآني الثابت لا بالروايات ولكن بالتواتر الذي يعطى القطع بالصحة والثبوت. اما الاساطير التي في كتب التفسير فهي مما رواه بعض المفسرين عن بنى اسرائيل.

theories" in W.J.T. Mitchell "On Narrative (University of Chicago Press 1981) pp. 209-232

Marshall G.S. Hodgson "Two pre-Modern Muslim Historians: Pitfalls (17) and opportunities in presenting them to moderns" in John Nef (ed), towards world community (The Hague: Dr. W. Junk 1968) p.67

Tosefta, Sanhedrin 13.10

(18)

Megillah 13a Toseftot (s.v. kol) (19)

"يوهانان" بأن اعتبره يشير فقط إلى اليهود الذين يرفضون الوثنية. والبيان يؤيد هذا الزعم مع الإشارة إلى مناقشة مماثلة في Sanhedrin 93b الذي كانت موضوعات المناقشة فيه تعتبر أفراد قبيلة Judah معارضين لقبيلة أخرى من قبائل إسرائيل. يبدو أن Toseftot وجد صعوبة في الموافقة على كرم عبارات الحاخام "يوهانان". نص هذا التصريح بـ Megillah ومع ذلك فهو لا يوضح مقصده تماماً.

(20) سفر التكوين ١٥ : ١٦

(21) انظر الهامش رقم ١٢ أعلاه

(22) القرآن سورة البقرة ٦٢

(23) القرآن سورة البقرة ٢٥٦

• • •

النمو الفلسفى^(١) فى الإسلام واليهودية (نموذج من العصور الوسطى نقدمه للعصر الحاضر) ليونارد كرافيتز

إن تقلبات التاريخ من الغرابة بحيث أن الذين كانوا أعداء ألداء فى وقت من الأوقات ربما صاروا اصدقاء وشركاء فى وقت آخر. وتاريخ اليهود والمسلمين يقدم لنا هذه الصورة المتقلبة. فمهما تكن المشاكل السياسية التى تواجههم فى الوقت الحاضر، فلا يجوز لأحد أن ينسى التاريخ الطويل الذى شاطروه. فقد كانت علاقاتهم المتبادلة فى الماضى ايجابية وسلبية فى كلا المجالين المادى والروحى. ولم يكن لبعض سمات النهضة الدينية والثقافية لتحقيق لكل منهما دون وجود الطرف الآخر^(٢). فقد يقول قائل مثلاً إن مواضع من القرآن - وهو النص الأساسى للإسلام - يعكس بعض الأفكار اليهودية^(٣). وما أن نهض الإسلام، وانتشر أولاً بين العرب ثم

^(١) الفلسفة هى محاولة الفكر البشرى الوصول إلى حقيقة الكون والحياة والانسان. وإذا نظرنا إلى الفلسفة الاسلامية على أنها انتاج فكرى لمفكرين عاشوا فى الحضارة الاسلامية، فإن هذا التراث الفكرى يتضمن من المبادئ والانكار والقضايا والانظمة والمصطلحات ما هو مخالف للإسلام الذى هو سماوى الاصل والاهداف. إذ أنها لم تكن سوى تقليداً وتكراراً لفلسفة ارسطو مع قليل من الاضافات. اما علم الكلام فهو احد مظاهر تفرق المسلمين، حفل بانحرافات كثيرة تمثلت فى عقائد الجهمية والقدرية والحوارج وكثير من آراء المعتزلة، والدارس لهذه الفرق ولا تاجها من آراء وافكار متعارضة ومتقابلة لا يحد فيها للحق مكاناً.

ومع ذلك وللأسف ينظر كثير من الباحثين المحدثين للفلسفة الاسلامية على انها ما ساهم به المسلمون فى مجال إثراء الفكر الانسانى والحضارة الانسانية وهذا خطأ بالغ .. لأن اصالة الفكر الاسلامى والابداع الحضارى للمسلمين، هى فى اعمال الفقهاء والاصوليين والمحدثين، وفى توصل المسلمين إلى قواعد المنهج العلمى التجريبى، وتطبيقاته، مما أدى إلى تقدم العلوم التجريبية والرياضية والفلكية وغيرها.. لم تشهد اى حضارة اخرى (د. فاروق دسوقى فى مقلمة "القضاء والقدر" ج-١) (المترجم)

^(٢) هل معنى ذلك أن النهضة الدينية التى حققها الاسلام لم تكن لتحدث لولا وجود اليهود؟. وماذا فعل اليهود فى هذا الشأن قبل ظهور الاسلام؟ (المترجم)

بين شعوب أخرى، تعرضت العلاقات بين الشعب اليهودي^(١) وشعوب الاسلام الناشئة لتقلبات هائلة بسبب العوامل السياسية فضلا عن العوامل الدينية.

فاليهود والعرب (والمسلمون من غير العرب) قامت بينهم علاقات كأفراد وكأتباع لنظم دينية مختلفة ومتنافسة. تلك العلاقات لم تكن واحدة رغم أنها كانت وثيقة. فباعتبارهم أفراداً تعاملوا من خلال حساب الربح والتكلفة Cost-Benefit calculus ككل الشعوب أى بلغة القوة والحاجة. وباعتبارهم متحمسين لرسالة دينية، تحققت هويتهم فى نصوص وتراثات تفانوا فى الاخلاص لها، وتكون لهم منها عالمهم الفكرى. فاليهود والمسلمون "أهل كتاب" وان تكن كتباً مختلفة إلا أنها أثارت النزاعات والادعاءات الخاصة المتبادلة. واستطاعت هذه الادعاءات - كما حدث أحيانا - أن تطلق المحاولات من أحد الاطراف للقضاء على الآخر، إلا أن وجود الحاجة وغياب القوة أعاقا هذا الإنفاء.

ومهما تكن مناهضة الاسلام للجماعات اليهودية فى المرحلة الأولى^(٢)، إلا أنه فى مراحل انتشار الاسلام اللاحقة، ناهض الإسلام قوى نصرانية فى أراض متنوعة وقضى عليها. وحيث أن اليهود قد خضعوا للنصارى وصاروا تابعين لهم، فقد أصبحوا الآن يرون فى الاسلام خلفا مرحبا به وحليفا جديدا. أما المسلمون فقد يجدون فى اليهود جماعة تجارية ناعمة، ومستودعا من الكفاءات.

وحيثما سيطر المنتصرون الجدد، حملوا اليه القرآن واللغة العربية. أما اليهود الذين لم يكونوا يتكلمون العربية فقد تعلموها واستوعبوا فيما بعد النهضة اللغوية التى تحققت فى العالم الاسلامى، مثل النحو والشعر. واهتم اليهود بنحو وشعر العبرية نظرا لانهم عاشوا بين شعب يبدى اهتماما بنحو العربية وشعرها.

^(١) بل تعرضت العلاقات بين المسلمين واليهود فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم للتوتر بسبب عداة اليهود للاسلام ونقضهم لمعهدهم، وتحالفهم مع المشركين على المسلمين. (المترجم)

^(٢) العكس هو الصحيح .. (المترجم)

ولم يعكس النحو والشعر فعالية العرب واليهود بوصفهم متحمسين للدين وكأتباع لمجتمعات لها عقيدة خاصة وانما على الأرجح كشعوب. وهذا هو السبب فى أن مثل هذه العوامل الثقافية كانت قابلة للانتقال من طرف للطرف الآخر. فبمجرد قبول النحو، امكن استخدامه لشرح نصوص فى التوراة، وبالتسليم بالشعر امكن استخدامه فى عمل تسبيحة للواحد الأحد الذى منح التوراة. إلا أنه من الواجب أن نوضح أن التوراة قد تمت دراستها بعيدا عن دقة النحو، وكان اليهود فى تعبدهم يستخدمون فقط الشعر الوارد بالكتب المقدسة. وبناء عليه فإن اليهود استطاعوا تجميل تراثهم بشئ كان موجودا فى الثقافة الإسلامية وإن لم يكن من خصائص الإسلام.

والفلسفة تمثل تشابها مع النحو والشعر فى العالم الاسلامى والعالم اليهودى فيما يختص بقابليتها للانتقال باعتبار أنها لم تكن من خصائص أحدهما وأنه يمكن أن تجميل الآخر. وفيما يختص بتجاوب العالم العربى والاسلام للأدب وللمبادئ الفلسفة عند تزاوج المعتقدات القديمة بالأفكار الجديدة - تكون قالب على منوال نموذج التوليفة اللاهوتية فى اليهودية والمسيحية عندما واجه اليهود والنصارى نفس القضايا المتعلقة بكيفية الاستجابة للمعتقدات القديمة وللأفكار الجديدة.

وأمكن للغة العربية المشتركة والتفاعل الاجتماعى الإيجابى للجماعات الاسلامية والجماعات اليهودية أن يصبح النموذج الذى طوره المسلمون مقبولا لدى الجماعات اليهودية. ولقد اتاحت اللغة المشتركة تحقيق المشاطرة فى الكتب والأفكار .. ، كما سمحت العلاقة الايجابية بالمحاكاة فى مبادئ الفلسفة. ونظرا لأن اقتحام الأفكار الفلسفية قد أصاب كلا الجماعتين - الجماعة الاسلامية أولا ثم الجماعة اليهودية - فإن تطور وتدهور الانماط المختلفة للتوليف حدث أولا فى العالم الاسلامى ثم بعد ذلك فى العالم اليهودى. وكان هذا الترابط بين اليهودية والاسلام فى هذا المجال من القوة إلى درجة أنه يمكن أن نستخلص أنه ما لم تكن هناك فلسفة اسلامية، لم يكن لتكون هناك فلسفة يهودية. إن النّين الكبير الذى تدّين به الفلسفة

اليهودية للفلسفة الاسلامية يتجلى بوضوح عند دراسة التشابه في النمو الفلسفي في اليهودية والاسلام وبخاصة في افكار Saadia gaon و Judah Halevi وموسى بن ميمون.

دخلت الفلسفة القرون الوسطى بطريقة متناقضة. فبعد أن نشأت باليونان لتمجيد دور العقل، انتشر تأثيرها بسبب حروب الاسكندر الأكبر. ثم احتلت روما مكان اليونان كقوة امبريالية، واسرت الثقافة اليونانية - التي تشتمل على الفلسفة - زعماءها الجدد مما زاد من انتشارها. كما ساهمت النصرانية^(١) كعامل آخر من عوامل انتشار الفلسفة. ولما كانت لغة العهد الجديد هي اليونانية، فقد وقر في الأذهان أن كل ما هو مكتوب باليونانية ينتمي إلى النصرانية. هذا الربط أوجد الدافع لدراسة اليونانية وقراءة النصوص اليونانية، وبعضها كان فلسفياً. ولما كانت الأديرة قد نشأت بقيام الكنائس النصرانية، فقد اوجدت الايدى العاملة اللازمة لنسخ هذه النصوص. وفي وقت معين لم تكن هذه المخطوطات اليونانية قد نسخت فقط بل ترجمت ايضا إلى السريانية.

وعندما ظهر الإسلام على المسرح، واجتاح الشرق الأوسط، أخذت النصوص التي كانت قد ترجمت إلى السريانية، وترجمت إلى العربية وبخاصة ما كان يتعلق منها بالطب والفلسفة. وبنفس الأسلوب الذي استخدمت به النصرانية^(٢)

^(١) لقد اتخذت النصرانية من الفلسفة اليونانية اسلوباً لشرح عقائدها وذلك في اتجاهين: اتجاه افلاطون، وقد اخذ به القديس اغسطين، والاتجاه الآخر اتجاه ارسطو الذي اخذ به طوماس الاكوينى. (الاسلام والمذاهب الفلسفية المعاصرة د. مصطفى حلمي).

^(٢) رفض علماء الاسلام الفلسفة اليونانية بتصوراتها الوثنية لتعارضها مع عقيدة التوحيد. ولقد تأثر بمصطلحاتها بعض المعتزلة. ولكن جاء الامام الغزالي فقصمها بكتابه "تهافت الفلاسفة". ولقد عورضت عملية التوفيق والتلفيق بين التصورات الفلسفية اليونانية والعقائد الاسلامية التي تمت على يد فلاسفة مسلمين يعدون على اصابع اليد الواحدة وهم الكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد. ولكنها عورضت معارضة شديدة .. ومن هنا يتضح أن دور الاسلام لم يكن كما زعم المؤلف هو نشر الفلسفة بدون وعى. بل على

دون وعى كقوة دافعة لانتشار الفلسفة، قام الاسلام بنفس الدور. وبطبيعة الاشياء، دخلت النصوص والأفكار ذات الأصل اليونانى إلى الهرم الاجتماعى من قمته. فأصبح أمراء المؤمنين وزعماء المجتمع، هم الذين يقرأون هذا الأدب القديم الجديد وبالتالي واجهوا الفلسفة ومفاهيمها عن الله، وعن الانسان، وعن واجب الإنسان - وقد كانت بعيدة عما يقدمه القرآن.

ولقد حركت الفروق بين الفكر الفلسفى اليونانى وبين القرآن أول محاولة لاجراء نوع من التوفيق بين هذين العالمين. وهذا التوفيق هو ما يسمى 'بعلم الكلام' الذى كان هدفه محاولة الربط بين حرفية القرآن وبين الأفكار الفلسفية. هذه العلاقة - المتناقضة فى نهاية المطاف - حاولت أن تتوقف عند بعض عناصر التراث الاسلامى التى ينبى عليها الكيان التشريعى للمجتمع، وان كانت قد احتفظت ببعض المبادئ الأخرى التى بزغت من التراث الفلسفى، والتى تعتبر عند دراستها مدمرة للكيان الإسلامى.

والاشعرى (٩٣٥-٨٧٣) من بغداد - هو من أوائل من طور علم الكلام وبدأ منهجا من التفكير الدينى انتشر فى العالم الاسلامى. ولم يكن مصادفة ان Saadia Gaon (٩٤٢-٨٨٢) من Sura (ايضا ببابل) كتب دفاعاً عن اليهودية تحت عنوان "كتاب العقائد والآراء" The Book of Beliefs and Opinions⁽²⁾. متبعا النموذج الاسلامى فى علم الكلام، ومتناولا قضية التوحيد والعدل، أولا باستخدام الخلق لاثبات توحيد الله ثم مجادلا من أجل إثبات حرية الإنسان معلنا أنه "لا يمكن لإنسان أن يحاسب عن عمل عمله ما لم يكن يملك حرية الاختيار"⁽³⁾. ونجد فى Saadia مفكراً يهودياً فى علم الكلام يحاول أن يربط الفلسفة بالتوراة تماما كما حاول كتاب علم الكلام أن يوفقوا بين الفلسفة والقرآن.

العكس فإن علماء الاسلام قبلوا ما تضمنته الفلسفة اليونانية من علوم ومعارف مثل الفلك والطب .. مما لاصلة له بالعقيدة. وعارضوا فقط التصورات الميتافيزيقية كما ذكرنا.

(الاسلام والمذاهب الفلسفية المعاصرة د. مصطفى حلمي)

وعندما حدثت تطورات فى العالم الاسلامى، ظهر ما يشبهها فى العالم اليهودى. فمثلا كانت شخصية وفكر الإمام الغزالى (١٠٥٨-١١١١) حركة جديدة بعيدة عن منهج علم الكلام. أثبت فى كتابه "تهافت الفلاسفة" The Incoherence of Philosophy ان محاولة مفكرى علم الكلام فى التوليف بين الدين وبين الفلسفة محاولة فاشلة، وأن المعرفة الدينية لا يمكن أن تستقى إلا من الوحي الإلهى.

وقدم "جودا هاليفى" Judah Halevi (١٠٨٥-١١٤١) حجة مماثلة فى قصته الفلسفية The Book of the Kuzari⁽⁴⁾. اعتمد فيها على حقيقة واقعة - إن لم تكن مذهلة - حدثت منذ ٤٠٠ سنة مضت - وهى اعتناق جميع شعب Khazar للديانة اليهودية. ويتخيل الكتاب الحجج التى سيقى لإقناع ملكهم بصحة الديانة اليهودية. فعندما انزعج الملك من حلم متكرر دعا - فى أول الأمر - فيلسوفا، ثم رجل دين نصرانى، ثم عالماً مسلماً فى التوحيد لكى يقدم كل منهم وجهة نظره. فالأول لم يقدم أى عون للملك لمواساته، بينما الآخران قدما حججا تشبه مفكرى علم الكلام. ولما لم يقتنع الملك دعا عالماً يهودياً ليبدى رأيه. وبمعكس كل من النصرانى والمسلم، لم يقدم اليهودى حجج علم الكلام مبتدئاً بالخلق، وإنما انطلق من الوحي الذى نزل بسيناء. وفى النهاية ثبت أن الممارسة الدينية أقدر من التفكير العقلى اللاهوتى فى توصيل المعرفة الدينية.

وفى رده على الغزالى، استخدم ابن رشد (١١٢٦-١١٩٨) أسلوباً أكثر فلسفة للنصوص الدينية الاسلامية. وهو - اى ابن رشد - ولد بقرطبة، حيث عمل قاضياً وطبيباً، واشتهر فى العالم الاسلامى وخارجه كفيلسوف، وعرف بأنه المعلق على فلسفة أرسطو. وفى هجومه على الغزالى فى كتابه "تهافت التهافت" حاول أن يبرهن أن الفلسفة والدين يعملان على مستويين مختلفين. الفلسفة تقدم الحكمة إلى مجموعة محدودة من الناس، بينما الدين يمد غالبية الشعب بالمعرفة. وبالتالي فإن الفلاسفة يدافعون عن الدين، معتقدين "أن الشرائع الدينية هى فنون سياسية ضرورية، وهى مبادئ مستمدة من التفكير العقلى الطبيعى والالهام الطبيعى"⁽⁵⁾ هذا

العرض للدين بالاضافة إلى رايه في أن الكون لم يخلق في لحظة محددة، وإنما خلق بيد إله خالد وبالتالي أصبح خالداً، أثار عليه غضب علماء الدين ذوى النزعة التحفظية الزائدة. وانتهى به الحال إلى أن نفى من قرطبة. واضطر إلى قضاء أيامه الأخير مطرودا في Lucena ، وتوفى بمراكش.

وهناك رجل آخر ولد أيضا بقرطبة، وكانت له نفس الظروف كقاضى وكطبيب وكان له تأثير مماثل كفيلسوف. هو موسى بن ميمون (١١٣٥-١٢٠٤) الذى صار بفضل تعليقه على المشناه Mishnah وعلى أكبر تشريع للقانون اليهودى فى The Mishneh Torah - أكبر مشرع دينى يهودى فى عصره. ألف كتابا أثار الجدل والخلاف إلى درجة أن بعض الجماعات اليهودية لعنت جماعات أخرى، وأن اليهود قاتل بعضهم البعض. هذا الكتاب هو The Guide of the Perplexed (دليل المحتار). وعلى الرغم من أن الكتاب كان موجها - كما ذكر ابن ميمون ذلك فى المقدمة - إلى الشخص المحتار من التناقض بين ادعاءات الفلسفة والتوراة، إلا أن الكتاب فى الواقع ترك كثيرا من قرائه أكثر حيرة وارتباكاً. فقد أوجت مقدمته بأن بعض الافكار كانت مستترة تحت سطح عبارات ابن ميمون، وأن بعض القراء فقط هم الذين كان يمكنهم أن يسبروا غور معانيها. فقد ابتدأ الكتاب بمناقشة كلمة "image" (صورة)، وعرفها على أنها الفكر، واختتمه بمناقشة كلمة "wisdom" (حكمة) وكان الكتاب يوحى بمنهج لتحسين الفكر، ولتحقيق بعض التقدم نحو الحكمة.

كان الخلق موضع جدل ونقاش فى نظر موسى بن ميمون كما كان فى نظر ابن رشد. وكان ابن ميمون يسلم بالخلق، لا لأن التوراة ذكرته، وإنما لأن الخلود لا يمكن إثباته فلسفياً. وعلى نفس المنوال كان يسلم بالوحى إلا أنه كان يقترح له إعداداً فلسفياً. وأيضاً كان يسلم بالعناية الإلهية ولكنه كان يقول إنها تتوقف على مدى نضج الانسان الفرد فى فكره، مما كان يتطلب دراسة الفلسفة.

هذا الإلحاح على الفلسفة كان يمثل مشكلة لدى قراء ابن ميمون. لأنه كان يجعلهم في حيرة مما إذا كانت الفلسفة عنده أكثر أهمية من التوراة. وبالإضافة إلى ذلك، كانت رؤية ابن ميمون للخلق - كمذهب حاسم في اللاهوت - تبدو في نظر الكثيرين - على أحسن الفروض - فائرة وتعوزها الحماسة - وعلى أسوء الفروض - تخفى إنكاره للخلق. فالمطالبة بأعداد فلسفي للنبوة - حتى ولو كان غير كاف - كان يوحى بفكرة بعيدة عن فهم التوراة. وبعض القراء كان يرتاب في أن ابن ميمون في حقيقته كان يعتقد أن الإعداد الفلسفي كان كافياً⁽⁶⁾. وعلى نفس المنوال عندما جعل رويته للعناية الإلهية متوقفة على نمو الفكر، فقد أصبحت العناية الإلهية عملاً للأعداد الفلسفي المطلوب لنمو الفكر.

لقد كان لكتاب "دليل المحتار" تأثير الانفجار على الجماعة اليهودية فور ترجمته إلى العبرية وبالتالي صار في متناول أكبر عدد من القراء. كان الكتاب محل هجوم أو دفاع، وكانت قراءته محرمة أو مباحة بحسب موقف الجماعات المتنازعة حول معانيه. ولقد كتبت تعليقات متنوعة لشرحه (بأبواب منها حوالي ستين تعليقاً)، إلا أنه حتى يومنا هذا ليس هناك إجماع على ما كان يقصده ابن ميمون. وفي نظر عدد من الأجيال وكثير من اليهود، ظل كتاب "دليل المحتار" رمزا للإباحة أو عدم إباحة خلط الفلسفة بالديانة اليهودية.

أما بالنسبة لـ saadia و هاليقي فإنه يمكن العثور على تشابه بين آراء ابن ميمون وابن رشد. وكثير من فلاسفة اليهود الذين جاءوا بعد ابن ميمون قرأوا ابن رشد، كما أن كثيراً من المعلقين اعتمدوا على فكر ابن رشد لمحاولة شرح معاني كتاب "دليل المحتار". والواقع أن ابن رشد كان مرجعاً باعتباره "أحد علماء اللاهوت"⁽⁷⁾.

وكما يتضح من الأمثلة الثلاثة السابقة، كانت فلسفة اليهود تعكس تفاعل المسلمين واليهود في العصور الوسطى في معاركهم مع المفاهيم الجديدة لعالمهم مع

عقائدهم، وفي محاولاتهم الربط بين ما يعتقدون وبين ما يفكرون فيه. هذه الأمثلة من القرون الوسطى يجب أن تكون مرشدة للمسلمين واليهود المعاصرين.

مراجع البحث:

- (1) انظر Judaism and Islam مقدمة نقدية "لموشيه بيرلمان" - ترجمة من الالمانية لكتاب Was Hat Mohammed ausden Judenthum aufgenommen أعيد طبعه عام ١٨٩٨ (نيويورك: دار كفاف للنشر ١٩٧٠) وأبراهام اسحق كاتش في كتاب Judaism in Islam: Biblical and Talmukic Backgrounds of the Koran and its Commentaries (New York: NYU Press 1954).
- (2) سعدية جاوون The Book of Beliefs and Opinions ترجمة صمويل روزنتال (نيوهافن - مطبعة بيل ١٩٤٨).
- (3) سعدية جاوون نفس المرجع ص ١٨٧
- (4) جودا هاليفي The Book of Kuzari ترجمة هارتويج هيرشفيلد (نيويورك شركة باردرس للنشر ١٩٤٦).
- (5) ابن رشد "تهافت التهافت" ترجمة سيمون فان دن برج (أوكسفورد: مطبعة أكسفورد ١٩٦٤) ص ٣٥٩ المجلد الأول.
- (6) انظر تعليقات Shem Tov Efodi على "دليل المختار" ج ٢ ص ٣٢ وبخاصة تصريح Abarbanel "فهم جميع المعلقين من لغة ابن ميمون أنه كان يدمر مذهبه الذاتي، ويتناقض مع ذات كلماته، حيث أن المقاطع الشعرية التي أوردها لا تؤيد رأيه ... " يمكن العثور على Shem Tov Efodi و Abarbanel في Sefer Moreh Nebuchim المطبوعة تصويريا (أورشليم ١٩٦٠).
- (7) Moses Narboni "Introduction" commentary on the Guide(on press 1946).

* * *

اكتشاف أخوة اليهود والعرب من جديد: "أحدى اللوالم الملحمة"

للقرن الواحد والعشرين"

عبد الوهاب حشيش

"أينما تكون، فهناك دائما أناس يتجسسون عليك إلى ما تحت جلدك، وفى صلواتك. احرص يا بنى على ألا تخدع غرائزهم .. تأكد ألا تتحنى أمام الجماهير الغفيرة ... المسلم أو اليهودى أو المسيحى سوف يكون عليهم أن يقبلوك كما أنت .. أو أن يفقدوك. وعندما يبدو لك أن صدر الناس قد ضاق بك. فقل لنفسك إن أرض الله واسعة .. واسعة اتساع أيدى الله ورحمته .. لا تتردد أن ترحل بعيدا .. بعيدا عن جميع البحار .. بعيدا جدا عن جميع الحدود .. عن كل الأوطان .. عن كل المعتقدات .. "

أمين معلوف Leon L'Africain

"إن فهم دين الغير شرط لاغنى عنه للاعتراف بذلك الدين والتعاون معه. وعليه تتوقف حركة العقل لاسقاط التحامل والتحيز المسبق .. ان استبعاد النزعات أمر لازم لإدراك الدين الآخر عن حق كطريقة شرعية للتعامل مع الله. وهذه شروط ضرورية لحركة القلب نحو التقدير والرغبة فى التعاون مع جماعة الدين الآخر. إن تفهم الإسلام لليهودية يقوم على ثلاثة مستويات: إنه يرى أن أتباع هذا الدين بشر، وأنهم ورثة لثراث دينى ذى نزعة نبيلة، وأنهم بصفة خاصة يهود"

دكتور اسماعيل د. الفاروقى

فى "اليهودية والصهيونية والإسلام"

من "اليهودية أو الصهيونية .. ما الفرق بالنسبة للشرق الأوسط؟"

لقد قبلت شرف المشاركة فى هذا الجهد الجماعى لسببين بسيطين: أن رحلتى الحديثة للشرق الأوسط مع اللجنة الأمريكية متعددة الاديان من أجل السلام بالشرق الأوسط أثرتنى أكاديميا وروحيا، وكان وعى السامى الاسلامى المغربى محل اختبار حتى عندما كان اسمى العربى الصفر يثير الخوف والارتباب لدى

طاقم الامن الحدودى الاسرائيلى. واستطيع أن أقول إننى وجدت قلقهم اكثر شرعية واكثر قبولاً مما يبدو من ظاهر مواقفهم العنصرية أو ذات النزعة العنصرية التى كان اسمى العربى يثيرها فى أى وقت وكنت موضع "تحقيق" بمعرفة ضباط أمن غربيين. ورغم قبولى هذا الطلب الكريم من أخى الجديد وزميلي الحاخام "جارى بریتون جراتاتور". فأننى أنبه القراء إلى نقطتين هامتين: الأولى عن الضعف: فليس عندى سلطة علمية عن تاريخ اليهود والمسلمين فى القرون الوسطى. والثانية عن القوة: إذ لدى إيمان كامل فى تقنى فى الأخوة اليهودية العربية الاسلامية. فان جميع الحروب العربية الاسرائيلية، والافتتال شبه العسكرى المشترك، فضلاً عن أعمال الدولة الارهابية، وأعمال الارهاب الفردية أو الجماعية، كل ذلك لم يكن ليضعف من أملى أو تفاولى فى إعادة إيقاظ القرابة اليهودية الاسلامية، كشرط مطلق لاعادة اكتشاف الأخوة اليهودية العربية

اليهود والعرب:

بين التراث والتراثات

عندما دخل الاسلام القرن الخامس عشر من تاريخه الهجرى فى ديسمبر ١٩٧٩ (محرم ١٤٠٠ من هجرة النبى محمد صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة التى افتتحت التاريخ الهجرى الاسلامى)، مر العالم الغربى بصدمة. إذ فجأة لم يعد ينظر إلى الاسلام على أنه ظاهرة دينية راکدة ومهجورة. فقد روعت الثورة الإيرانية الإسلامية فجأة العلماء ورجال الدولة بسبب أنه قبل ذلك بشهور قليلة فقط كان الرئيس جيمى كارتر يشاطر الشاهنشاه نخباً رمزياً مهنئاً إياه "بإستقرار" إيران. وكل من يعلم أن أحد آخر مبادرات الرئيس كارتر كانت بإنشاء صندوق خاص لدراسة الإسلام، يستطيع أن يدرك مدى العمق السياسى والنفسى لتأثير الاسلام على شئون العالم. فأعقب من الأبعاد القومية والأيدىولوجية للنزاع العربى الاسرائيلى، كاد الاسلام كنين وكأيدىولوجية أن يسبب دماراً أكبر من أى وقت مضى فى العلاقات اليهودية العربية، واليهودية الاسلامية، والنصرانية الاسلامية.

أ - أسلمة الأيديولوجية

أو جعل الاسلام أيديولوجية

بينما الرغبة والكفاح من أجل عودة تطهيرية إلى منابع الإسلام ترجع إلى منتصف القرن التاسع عشر، فإن الاهتمام المؤيد للإسلام من جانب بلاد الغرب هو حديث نسبي. وما يعبر عنه بالسلفية قد تشكل وانتظم نحو نهاية القرن التاسع عشر بإرشاد مفكرين أمثال جمال الدين الأفغاني واثنين من أهم أتباعه، المصري الشيخ محمد عبده (١٨٤٩-١٩٠٥)، والسوري الشيخ رشيد رضا (١٨٦٥-١٩٣٥)^(١). وكانت هذه الحركة في نظر على مراد - وهو جزائري إسلامي كان يلقى الدروس بأوروبا - قبل كل شيء تعبيراً عن الحاجة والقلق بشأن "الوفاء للجماعة الأصلية الأولى التي يعتقد أنها حققت الرسالة الإسلامية بتمامها وصحتها"^(٢) أما الاتجاه الآخر الحديث فهو "جعل الاسلام أيديولوجية" وهو اتجاه يبدو أنه ينتشر في أنحاء العالم الاسلامي كله من خلال الرؤية المتنامية أو باستخدام الاصطلاح الجديد (Newsibility of "Islamic Fundamentalism") أي الرؤية الجديدة "لنزعة العصمة الحرفية الاسلامية"^(١).

ويعد أن أعلنت طبيعة مشاركتي أي جهدي لموازنة ذاتيتي الايجابية بعمل متخصص جاد عن طريق التحليل العلمي، اخترت أن نركز انتباهنا أكبر على هؤلاء المسلمين وغير المسلمين الذين حاولوا العودة إلى "المنبع" لمزيد من الفهم البناء للوحي، وليس فقط إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وإنما أيضاً إلى أسلافه أي إلى جميع الأنبياء الذين ورد ذكرهم في القرآن، وبصفة خاصة موسى وعيسى "مجدهما" الله بحسب تعبير موسى بن ميمون عند اشارته إلى أنبياء دينه.

^(١) أي الايمان بعصمة تعاليم الاسلام من الخطأ، ووجوب تطبيقها حرفياً (المترجم)

ب - تراث التعايش اليهودى العربى الإسلامى معاً

على الرغم من أننى وجدت تناقضات خطيرة فى تعليقات البروفسور "برنارد لويس" على "حركة الاستشراق" فى سياق الكلام عن الحرب الباردة⁽³⁾، فإن آراءه عن الاسلام فى علاقته مع "أهل الكتاب" وثيقة الصلة وتجسد الاقتباسات المأخوذة من القرآن وتعزز بحوثاً أخرى لبعض العلماء. فبعد التشديد عن أتباع الإسلام "كأمة دون الناس" - أى شعب أو جماعة مختلفة عن بقية البشر - يذكرنا البروفسور "لويس" برفض الاسلام للوثنية رفضاً تاماً. ومن هنا كانت المعارك⁽¹⁾ التى لا مفر منها ضد الوثنية والتى قربت الإسلام أكثر من اليهودية والنصرانية اللتين كان ينظر اليهما - لا كحلفاء وقتئذٍ - وإنما كملل من أصل واحد تعارض خصماً مشتركاً⁽⁴⁾. والأهم من ذلك أن البروفسور "لويس" كان يؤكد على ظهور "معنى القرابة والنسب - على الأقل فى الأوقات المتأخرة - داخل شعور الجماعات الثلاث" وكان البروفسور على ثقة تامة أنه يستطيع ان يتكلم عن "التعددية الدينية وأيضاً عن التعايش معاً" فى الاسلام، استناداً إلى القرآن وإلى المفسرين المتأخرين: "فى معظم العصور الوسطى كان اليهود فى أرض الإسلام يمثلون اكبر جزء من الشعب اليهودى واكثرهم نشاطاً. بينما اليهود الذين عاشوا فى البلاد النصرانية - أى فى أوروبا - كانوا أقلية غير ذات اهمية نسبياً. ومع بعض الاستثناءات فإن كل ما كان خلافاً وذا معنى فى الحياة اليهودية حدث فى الأراضى الإسلامية"⁽⁵⁾.

فى ظل مثل هذا العرف يمكن أن نجد الأصل لتجديد العلاقات اليهودية العربية الإسلامية، فإن لم تكن علاقات أخوية، فعلى الأقل علاقات من أجل "سياسة حسن الجوار". ولقد قدم زميلى البروفسور على مراد ابلغ إيضاح عن الفروق الدقيقة

⁽¹⁾ هذه المعارك لم تبدأ من جانب المسلمين الذين صبروا ثلاثة عشر عاماً على اذى المشركين دون ان يستل سيف واحد فى وجههم. ثم بعد هجرة المسلمين كانت حروبهم دفاعية. اذ لما عجز المشركون عن رد الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان لجأوا إلى الاضطهاد قبل الهجرة، وإلى العدوان المسلح بعد الهجرة، ولحققتهم الهزيمة فى كل حال. (المترجم).

داخل السنة الاسلامية (Islamic Tradition)، والأعراف الاسلامية (Islamic traditions) تركز النصوص القرآنية العديدة على مفهوم "الدين"، وتضعه في مجال بلاغى Semantic حيث تتكرر المفاهيم الثلاثة التالية إيمان faith ، عبادة cult ، عرف روحانى spiritual tradition. وفي هذه الحالة تكون السنة الابراهيمية هي التى من المفروض أنها كانت تتحقق كل فترة من خلال تعاقب الأنبياء.

وهذه الفكرة هي بالضبط التى سمعناها من فضيلة مفتى سوريا خلال بعثتنا السلمية إلى الشرق الأوسط. فالى الذين يمكن أن يكونوا أو الذين لا يزالون يخافون من منافسة دين توحيدى ثالث يقدم على مراد التفسير الذى يحقق اقوى طمأنينة بين الأديان "إذا كان الاسلام قد ظهر فى هذا المجال البلاغى semantic على وجه التحديد، فإن ذلك ليس باسم نظام له قيم جديدة يقطع الصلة بالتراث السابق، وإنما لتأكيد هذا التراث القديم من جديد، وبأسلوب جديد فى التعبير وفى اللغة وفى الثقافة". ويستند على مراد إلى القرآن للتأكيد على هذه النظرة المطمئنة لأتباع "أهل الكتاب" الثلاث ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾ (سورة ابراهيم ٤)⁽⁶⁾.

ثانيا: العرقية والديانة والقومية فى العلاقات اليهودية العربية.

أ - يهود شمال افريقيا:

بين القومية العربية والصهيونية

وراء اقتناعى الاسلامى بأخوتى مع اليهود والنصارى، تقف تجربتى كشمال إفريقيا تونسى التى أضافت بشكل هائل الكثير إلى وعى بهويتى السامية المغربية. وأتجرأ فأقول إن ما كان مسلماً به من مؤسسة الدعوة Fondation de la Vocation كالتزام على بشأن "الأخوة اليهودية العربية. والتقارب العربى الاسرائيلى" بباريس عام ١٩٦٥ صار اهتمامى التخصصى الأكاديمى، والفكرة الوجودية المستحوذة على كيانى. غير أنه فى عام ١٩٨٣ - وشكراً لرفقة الصيف فى NEH

بمركز الدراسات الشرق أوسطية بجامعة هارفرد - حيث شرعت في أول بحث "علمي" لى عن الأدوار الكامنة والواقعية لليهود شمال إفريقيا في العلاقات العربية الاسرائيلية^(٧). إذ أن مؤلفات ابن خلدون فتحت أمامي آفاقا جديدة لوعى الفكرى والانسانى حول منازعات العرقية الوطنية، والعرقية الدينية. وأحفظ في ذهنى وفى قلبى جوهر الموقف الاسلامى تجاه "أهل الكتاب" الذى تعبر عنه هذه الآية "لكم دينكم ولى دين"^(٨). وإن جهدى هنا سيكون من أجل التوفيق بين موقفى الذاتى وبين نضالى الاكاديمى للتوصل إلى سند قوى يثبت وجود الأدوار الايجابية والواقعية والكامنة لليهود الشرقيين Sephardim فى مجال بناء الثقة بين دولة إسرائيل والعالم العربى بأجمعه. وفى رأى أنه باعادة اكتشاف الأخوة القديمة يمكن لليهود والعرب (النصارى والمسلمين) أن يجعلوا الدولة الفلسطينية 'البعيدة عن التصور'^(٩) ليست فقط ممكنة التحقيق بل ومرغوبة التحقيق ايضا.

ب - العنصر الاستعماري

فى العلاقات اليهودية العربية

اعتمد (ماريون وولفسن) على السلطة العلمية لليهود شمال افريقيا أمثال أندريه شوراكى، وديفد كركوس وغيرهما، لكى يجرى تفرقة حاسمة بين تجارب اليهود فى الشرق وتجاربيهم فى الغرب. "يقع كثير من الغربيين فى الوقت الحاضر فى خطأ كبير عندما يعقدون مقارنة بين بلاد الشرق الاوسط والبلاد الغربية، حيث يتوقعون ان يجدوا ظروفًا اجتماعية

^(٧) هذه الآية موجهة إلى كفار قريش ﴿قل يا أيها الكافرون. لا أعبد ما تعبدون. ولا ائتم عابدون ما أعبد. ولا انا عابد ما عبدتم. ولا ائتم عابدون ما أعبد. لكم دينكم ولى دين﴾ (سورة الكافرون) وليس لأهل الكتاب. أما دعوة القرآن الموجهة إلى أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى فهي ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله .. آل عمران ٦٤﴾ (المترجم)

متطابقة، على الرغم من أنه لا يوجد أى أساس منطقي للمقارنة بين هذه المناطق. فمعدل النمو ومستويات المعيشة مختلفة تمام الاختلاف. وعلى نفس المنوال يطبق نفس المقياس على الماضى. فرغم أن تاريخ يهود الشرق الاوسط ويهود شمال افريقيا هو فى اساسه مختلف عن تاريخ يهود بلاد الغرب، إلا أن اليهودى الغربى فشل فى فهم هذا الفرق لأنه يميل إلى تفسير مشكلة يهود الشرق على ضوء تجاربه التاريخية المتباينة، ويراهم بعين اليهودى الغربى. فحتى نهاية عهد "الجيتو" (أحياء اليهود فى المدن)، ظل يهود الغرب ينتمون إلى مجموعات ذات اكتفاء ذاتى لها تقاليدها وتراثها، وتعيش منفصلة تماما عن غير اليهود المحليين. أما فى الشرق الاوسط، فإن اليهود كانوا دائما ينتمون عرقيا إلى نفس المجتمع .. والاساطير والخرافات والطقوس والأوهام اليهودية كانت جزءا من تراث الشرق.. ولما اخذ الناس يدركون شيئا فشيئا أنهم أعضاء فى هذه الاوطان، صاروا يشعرون نحو اليهود بانطباق المعنى الجماعى عليهم وهم يعيشون بينهم؛ غير أن هذه النظرة الخارجية غابت تماما عن الشرق بظهور النزعات القومية فى العصر الحديث.^(٩)

فى نظر "شوراكى" أن سبب العنف العرصى الذى وقع ضد اليهود يرجع فى معظمه إلى "البؤس المنزل الذى أغرق فيه الاقطاع شعوب المنطقة بأجمعها"^(١٠). وهذه بالضبط هى حجتى الاساسية فى وجه الذين - باخلاص ام بغير اخلاص - يعتقدون أو يحاولون أن يجعلوا العالم يعتقد ان "اليهود تعرضوا للاضطهاد" فى الاراضى العربية الاسلامية. ومن المؤكد حقا ان اليهود لم يمارسوا او يستفيدوا من القيم الديمقراطية فى بلاد أصلهم العربية. ومن ذا الذى استفاد؟ إذ أغلب هذه البلدان

^(١٠) من المعجب أن نسمع هذا عن مطلقا .. ! فالقطاع الذى عرفته اوربا لم تعرفه البلاد التى كان الاسلام يحكمها. لأن الشريعة الاسلامية التى حكمت هذه الشعوب - ولا سيما نظام الميراث - لا تتيح للاقطاع ان يظهر. والذى شاع فى مصر فى الآونة الاخيرة، من وصف اصحاب الاملاك الزراعية بالاقطاعيين، هو تعبير مجازى لا يمثل الحقيقة. إذ ليس هناك صلة بين ملكية كبيرة من الارض، وبين ما عرف عن نظام الاقطاع فى اوربا.

كان تحت نير الاستعمار الأوروبي المباشر أو غير المباشر. ونظرة فاحصة للتغلغل الفرنسي في شمال إفريقيا، وتغلغل بريطانيا العظمى في المشرق، تكشف لنا السياسة المكيفيلية "فرق تسد" التي شاركت في صنع المأزق الذي واجهته الجماعات اليهودية: هل كان عليهم ان يظلوا متمسكين بالنزعة التقليدية التحفظية أم يعتنقون الوعود التي قدمها التحديث الأوروبي من خلال التعليم في التكنولوجيا والعلوم؟

ان أثر الاستعمار الفرنسي المزمع على شمال إفريقيا يفسر في يسر رد الفعل الكمي والكيفي للجماعات اليهودية في الجزائر (منذ ١٨٣٠) وفي تونس (منذ ١٨٨١-٨٢)، وفي المغرب حيث انتهت المقاومة ضد فرنسا حتى ١٩١٢. واستنادا إلى أقوال "ديفيد كركوس وجورج فاجدا"، يرسم لنا "شوراكي" الصورة النهائية لما أطلق عليه كثيرا في الماضي اسم "التكافل اليهودي الاسلامي":

"في العصور الوسطى كانت العلاقات بين اليهود والمسلمين في اسبانيا وفي المغرب متماسكة الى درجة ان بعض اليهود لم يكن يتردد في ان يصلى بالمسجد مختلطا بالمسلمين. وعندما كان المسلمون ينطقون بالشهادة^(١)،^(٢) كان اليهود يعلنون الشهادة اليهودية shema israël دون اى خوف من أن النزعة التخصيصية اليهودية يمكن أن تصطدم بدعوة الاسلام الجديدة.^(١٠)"

وحين ننقل إلى الممارسات الدينية الأكثر شعبية، نجد تكافلا يهوديا عربيا متعادلا في الاساطير والسحر وتقدیس الأولياء^(٣). ودراسة البروفسور Issaacha Ben Ami الشاملة عن الأولياء المغاربة توضح ذلك بجلاء فمن ستمائة وخمسين

^(١) لعله يعنى الشهادة التي هي العنصر الأول في اركان الاسلام (أشهد أن لا إله إلا الله. وأشهد أن محمدا رسول الله).

^(٢) النطق بالشهادة في صلاة المسلمين يتم سراً في قراءة التشهد. فكيف يسمعها اليهود الحاضرون؟ وقد يقصد المؤلف الجزء الأول فقط من الشهادة دون الجزء الثاني الخاص بأن محمد رسول الله (المترجم)

^(٣) هذه امور دخيلة على المسلمين ولا تتفق مع عقيدة الاسلام. وما عرفها المسلمون إلا في عصور تخلفهم. (المترجم)

ولى - على تفاوت بينهم فى الأهمية - مائة وستة وعشرون يتمتعون بتقديس اليهود والمسلمين سواء بسواء⁽¹¹⁾. وهذا بالتأكيد السبب الحقيقى للصدمة الثقافية التى لاقاها اليهود الشرقيون واليهود الغربيون اثناء "اجتماعهم" بالارض الموعودة. و Albert Memmi العالم والكاتب اليهودى التونسى - الذى اشترك مع الوطنيين التونسيين فى نضالهم ضد الاستعمار، ولم يفلت العالم العربى من نقده الشديد، إلا أنه لم ينكر يوما "انتماءه العربى". بل على العكس عندما تعرض اليهود الشرقيون - وبخاصة يهود شمال افريقيا - لما يشبه التمييز العنصرى (على قدر ما قد يبدو فى هذا من تناقض ظاهرى) استل "ألبير ميمى" أشد اسلحته مضاء - وهو قلمه - لكى يكتب إلى زعماء اسرائيل، ويحتج على مثل هذا الذل الذى أصاب إخوانه اليهود العرب.

ولا استطيع أن أنهى هذا الجزء من بحثى دون أن أعود إلى ظاهرة أكثر ايجابية فى التكافل اليهودى العربى. وهى اللغة التى يستخدمها كل من اليهود والمسلمين بالأراضى العربية: ألا وهى اللغة العربية الفصحى ولهجاتها المحلية. ومع ذلك يعتبر "اندرية شوراكى" السمات السابقة للتراث اليهودى العربى أقل دلالة وتعبيرا عن الآتى:

"على مدى ثمانية قرون كتب علماء اللاهوت فى اكبر معبد لليهود مؤلفاتهم الرئيسية باللغة المقدسة فى الإسلام وهى العربية. هذا التجمع اللغوى هو العلامة البارزة على وحدة التجمع الثقافى والسياسى. ومن ناحية أخرى لم يخطر على بال أى يهودى أن يكتب باللاتينية فى منتصف القرون الوسطى النصرانية.⁽¹²⁾"

وهناك نقطة أخرى وهى أن "ديفيد بن جوريون" - رئيس الوزراء - كان يؤيد رأى "شوراكى". ففى بداية الخمسينيات اعتاد بن جوريون ان يقضى وقت تناول الغذاء فى تعلم اللغة العربية حتى يستطيع قراءة مؤلفات "موسى بن ميمون" فى نصها الأصلى⁽¹³⁾ العربى.

ثالثاً: السلام Shalom, Pax, Peace, Salaam

- النظرية والتطبيق:

أ - العقل والايمان فى الفكر اليهودى الإسلامى:

اعلن Elie Wiesel فى خطاب قبول جائزة نوبل للسلام عام ١٩٨٦:

"فى بعض الأوقات يتحتم علينا أن نتدخل. عندما تتعرض حياة الناس للهلاك، وحين تواجه الكرامة الإنسانية المخاطر، عندئذ تصبح الحدود والحساسية الوطنية غير ذات موضوع. وحيثما يضطهد الرجال أو النساء بسبب العرق أو الدين أو الآراء السياسية، فإن هذا المكان يتحتم - فى ذلك الوقت - أن يصبح هو بؤرة الاهتمام العالمى"⁽¹⁴⁾.

ومما لا شك فيه أنه كلما اقتربنا من القرن الواحد والعشرين، فإن ظروفنا البشرية تبدو أشد تعاسة من أى وقت. وهذا أكثر شئ يدعو إلى الأسى، لأن نهاية الحرب الباردة كانت تحملنا على الاعتقاد أنها سوف تفتح المجال لنظام دولى جديد. ولقد كان البروفسور Phillip E. Hammond و Ninian smart ثاقبى البصر إلى حد كبير فى اعدادهما المشترك لسمينار NEH عام ١٩٨٦ عن "الدين والقومية: مآزق المواطن" فكتبنا:

"من أجل فهم عالمنا، فمن الأهمية بمكان أن نفهم أنه عالم تعددى، وأن التعددية الدينية تسهم بشكل جوهري فى تنوع الأمم. وليس العالم غير متدين، بعكس بعض الآراء. والدين لا يتجه نحو الزوال، ومع ذلك فهو بالتأكيد يتعرض حالياً للتغيير، وبالتالي تتغير العلاقة بينه وبين القومية. وأحداث بولندا وإيران وشمال إيرلندا ... على سبيل المثال، لا يمكن فهمها دون أخذ الأحوال الدينية فى هذه البلاد فى الاعتبار. هذه الأحوال التى تتجسد فى حركات من أجل الحقوق السياسية، والهوية الثقافية، واستقلال السلطة الوطنية. واننا نرى أن (حركة الغالبية الأخلاقية) Moral

Majority^(١) ليست مجرد ظاهرة دينية بالمعنى الضيق وإنما هي عنصر ذو شأن خطير في الكفاح في مجال الثقافة الأمريكية.

ولقد تألم "اليهود العرب" و "العرب الاسرائيليون" جدليا من مآزق المواطنة وشاركوا في صنعه تحت الضغوط المتعاقبة للحركة الصهيونية والقومية العربية في اسرائيل اكثر من أى مكان آخر. وبين عام ١٩٨٤ واغسطس ١٩٨٦ ادهش الملك الحسن الثانى ملك المغرب - العالم مرتين باستضافته لمؤتمر يهودى به اعضاء فى الكنيسة من اصل مغربى، ثم استضافة رئيس الوزراء "سيمون بيريز". ونشرت Jerusalem Post فى ابريل ١٩٨٦ حديثا لمسلم اسرائيلى هو الدكتور سامى مآري^١ Dr Sami Ma'ari اخصائى علم نفس - اكد فيه ان "شعور الكراهية الذى يقال عنه الاسرائيليين من أصل شرق أوسطى يكونونه لعامة العرب، هو قول سطحي وليس له أى أساس أيديولوجي". وهناك رأى متقائل للبروفسور "شارل هوفمان" الذى يرى: "ان الطرق المتوافقة مع القواعد والمستخدمة فى دراسة مواقف اليهود العرب تجاه العرب ومدى احتمالات السلام قد جعلت المرأة تشوه صورة ثقافة اليهود العرب وتاريخهم".^(١٥)

فى عام ١٩٧٩ كان البروفسور "عمانويل جتمان" قد لاحظ "أن الدين يلعب دوراً غامضاً ومتعدد الأوجه فى عملية الاندماج التى تتم داخل المجتمع الاسرائيلى اليهودى" وأضاف أن الدين "يحقق وظيفتين متناقضتين: فمن ناحية هو مصدر للنفور والانشقاق والنزاع" ومن ناحية أخرى "وإلى حد ما يحقق شعورا مشتركا، ويحمى روابط وولاءات مشتركة، وبالتالي يفيد كعامل للصهر" وهذا فى الواقع صحيح بكل تأكيد عن كل الجماعات اليهودية كأقليات تعيش من سواحل المغرب إلى الصين. إلا اننى أجد صعوبة فى مشاركة البروفسور "جتمان" فى تصريحه الواثق "بان الديانة اليهودية - بعكس كثير من الديانات الأخرى - انطلقت دائما بشجاعة من أسلوبها

^(١) وهى حركة امريكية للانجيليين المسيحيين تسعى لإدخال تغييرات اخلاقية فى السياسة والمجتمع (عن

قاموس World Book Dictionary) (المترجم)

كديانة ذات عرقية واحدة. وهذا الأمر قد قوى من الانتماء العرقي القومى بين اليهود سواء فى الواقع العملى ام فى الغاية". ومن جهة اخرى، ينطبق رأى البروفسور "جتمان" فقط على حالة اليهود عندما يكونون أقلية. وفى تأمله لنظام الحكم العثمانى كتب يقول:

"كانت الجماعة اليهودية تمثل أقل الصعوبات أمام العثمانيين عند إعادة تنظيم الجماعات الدينية غير المسلمة، لأن العرقية والدين والجماعة تلتقى معا داخل الطائفة اليهودية. وبالتالي فإن "الملة" Millet المنشأة مع الرئيس الحاخام (Hahambashi) مستمرة فى سلطتها كنظام يبدو فريدا جدا فى نوعه."

والواقع أنه طبقا لرأى "كمال كربات": "كانت الجماعة اليهودية منذ البداية قريبة من المثال العثمانى الظاهر فى التوليفة العرقية والدينية والجماعية بحيث صارت لبنة البناء فى بنيانه السياسى"⁽¹⁶⁾. وكان اليهود "السيفرديم" فى تركيا فى سبتمبر ١٩٩٢ يحتفلون بالعام السعيد الـ ٥٠٠ Gook years⁽¹⁷⁾

ب - العرقية فى العلاقات العربية الإسرائيلية الحديثة

١ - التقارب الفكرى

طبقا لقول Harold R. Isaacs: "ينتمى أى فرد إلى جماعته الأساسية بأعمق وأدق ما يكون فى هذا من معنى أى أنه ليس وحده.. انه ليس وحده فقط، وانما ما دام قد اختار أن يظل فى جماعته فإنه لا يمكن طرده أو التكر له. انها هوية لا يستطيع أحد أن ينتزعها عنه" وهذا يثير فكرة قد تكون أصبحت مبتذلة، ومع ذلك فإنها تظل سارية المفعول. إذ يؤكد Isaacs "انكم تستطيعون اخراج الفلسطينيين من فلسطين، ولكنكم لن تستطيعوا اخراج فلسطين من الفلسطينيين" وبصراحة تامة اقول إنه مع إعجابى باليهود أنهم ظلوا يتذكرون ويحلمون "العام القادم باورشليم" طوال

ألفى عام، فائنى لا أستطيع أن اكف عن الدهشة كيف يمكن أن ننتظر من الفلسطينيين أن ينسوا قبل أقل من خمسين عاما^(١).

قال Daniel Moynihan, Nathan Glazier فى مقدمتهما عن العرقية Ethnicity ببساطة ولكن عن حق: "الكلمة الجديدة تعكس واقعاً جديداً، والاستخدام الجديد يعكس تغييراً فى هذا الواقع" ولقد قدما الكلمة الجديدة وهى العرقية Ethnicity، واستخداماً جديداً فى التوسع المتطرد فى اصطلاح "مجموعة عرقية مكونة من اقلية ومن اجزاء من مجموعات من اطراف المجتمع تتحول لتكون العناصر الرئيسية للمجتمع. وكان المتوقع لهذه المجموعات ان تذوب وان تتلاشى. أو أن تدوم كمجموعة الناجين المجلوبين أو المزعجين" والاكثر لفتا للانظار فى مثل هذه الدراسات هو تأكيد صحتها من خلال أكثر الأحداث معاصرة فى أهم مناطق العالم مثل افريقيا وجنوب آسيا وقلب أوروبا.

ويعرف R.S. McLaurin الاقلية بأنها جماعة من الأشخاص تجمعهم حاسة التماسك، وتمثل فى مجموعها أقل من نصف تعداد الشعب فى كينونته" وذكر أيضاً "ان الاقليات يمكن نظريا ان تشتمل على مجموعات سياسية، ومجموعات اجتماعية أو اقتصادية، وطوائف دينية، ومجموعات بحسب النوع أو السن، ومجموعات مهنية، ومجموعات بحسب اللغة أو العرق"^(١٨) وفى محاولته لعرض الاقليات كجزء من مكونات القوة السياسية، اقترح McLaurin أن عملية التكيف الفعالة مع المجتمع يمكن أن تكون مصدر "قوة لهوية الاقلية فى هذه المجموعات" و "العمود الفقرى لمقاومة عملية الامتصاص". ومن أجل مزيد من الايضاح، أود ان انقل نصا مطولا من مقدمة McLaurin فى كتابه "الاقليات والسياسة فى الشرق الاوسط"^(١٩)

"الاقليات المتماسكة يمكن ان تمثل مشاكل مستعصية بالنسبة لحكومات البلاد التى يكون فيها النظام السياسى وشكل الحكومة - لا يتمتعان بشرعية رسمية. أما ولاء

^(١) لن ينسى الفلسطينيون فلسطين لا قبل خمسين عاما ولا قبل ألف عام. وسيعودون مهما طالت الأيام. كما أشارت إلى ذلك النصوص الثابتة.

مجموعة الاقليات فهو فى الغالب اكثر واقعية من ولاء الدولة، وبالتالي فإن القرارات التى على مستوى الدولة تتخذ عادة مع مراعاة الابقاء على الاخلاص المشروط لهذه المجموعات. والواقع أن سياسة الدولة تظل رهينة بارادة الأقلية. وحيثما يكون هناك عدد من هذه المجموعات ذات السياسة الموحدة، تصبح قومية الدولة اسطورة - أى فكرة لا تشعر بها شريحة الاغلبية الشعبية. صحيح أنه إذا أشير إلى المؤلفات الغزيرة التى تساند فكرة "التحديث المتكامل" integrative modernization فإنه يصبح طبيعياً أن وجود مجموعات الأقليات وقوتها الكامنة يمكن النظر إليهما على انهما حالة شاذة، تتطوى على مفارقة تاريخية، وتودى إلى اختلال وظيفي - والأهم أنها سريعة الزوال.⁽²⁰⁾

٢ - حالة اسرائيل - اليهود العرب والعرب الإسرائيليون:

ما الدور من أجل السلام؟

استعين بملاحظة Glazier و Moynihan (بعيدا عن بوتقة الانصهار) (Beyond the Melting pot) بشأن ظهور الوعي العرقى فى وقت كان مفترضا فيه ان تختفى المجموعات العرقية⁽²¹⁾. إن خرافة الوحدة العربية⁽¹⁾، وقد غذاها شعور "الأخوة" الإسلامية - قد شاركت بلا جدال فى استمرار بقاء وحدة ثقافية وسياسية ودينية فى المجتمعات العربية الإسلامية حيث لعب اليهود دوراً كبيراً فى تاريخ هذه البلاد بما فيها المعارك الوطنية ضد الاستعمار⁽²⁾. وفى مقابل هذه الخلفية، فإبنتى لازلت أرى فى يهود شمال افريقيا "حالة شتات كبيرة واضحة المعالم، تختلف من عدة وجوه عن مجموعات اليهود عامة، بل وحتى عن يهود بلاد المشرق والمغرب

⁽¹⁾ الوحدة العربية ليست خرافة. إذ ان عناصرها الاساسية متوفرة اكثر من اية وحدة اخرى على مستوى شعوب العالم. واسباب عدم تحقيقها بصورة كاملة معروفة.. ولا تغيب عن كل لبيب .. ولقد كانت الوحدة متحققة حتى مطلع القرن العشرين قبل بداية الاستعمار الغربى للبلاد العربية. (المترجم)

⁽²⁾ هل كان لليهود دور كبير فى المعارك الوطنية ضد الاستعمار الاجنبى؟ (المترجم)

الاسلامية بصفة خاصة⁽²²⁾. ومن جهة اخرى، تبدو لى عملية اعادة ايجاد دولة اليهود - الإعجازية - انها كانت مغلفة بخرافات متعددة الابعاد، شأنها شأن خرافة توحيد العالم العربى وخرافة "دار السلام".

ويشرح N.S. Eisenstadt فى أهم كتبه (المجتمع الاسرائيلى Israeli Society) ديناميكية السياسة الاسرائيلية الداخلية، وبصفة خاصة عندما كان يتحتم على الدولة الجديدة أن تملأ فراغات متنوعة مثل سلطة الانتداب، والعرب الذين هربوا^(١)، وحتى Yishuv. ويسبب ضيق المساحة سوف أذكر عدة نقاط غاية فى الأهمية من تحليل Eisenstadt. فقد رأت الدولة تزايد المطالب التى قدمتها المجموعات المتنوعة بشأن حصص الموارد Allocation of resources مما غير اساس التضامن خلال الـ Yishuv. ثم أصبحت الزيادة الملموسة فى تعداد سكان اسرائيل سبباً ثانياً جوهرياً يودى إلى التغيير الاجتماعى. وعلى هذا النحو أصبح لليهود العرب - وبخاصة يهود شمال افريقيا - يكسبون - كماً وكيفاً - أهمية فى تطور المجتمع الاسرائيلى، مما سوف يجعل منهم - طوعاً أو كرهاً - أكبر عامل يحسم اتجاه اسرائيل نحو السلام أو نحو الحرب فى الشرق الاوسط⁽²³⁾. ولا ينبغي ان ننسى ان عدم توافق التجانس - نقول فى حده الأدنى - فى العالم الاسلامى^(٢) يمكن مقارنته بالانقسام فى العالم اليهودى الذى امكن تلافيه عندما تجنب الكنيسة التعرض لقضية "من هو اليهودى؟".

والى هذه الدراسات الفكرية الاساسية، يمكننا ان نضم دراسات Joseph Rotschild و Walker Connor بشأن السياسات العرقية والقومية العرقية (ethnopolitics, ethnonationalism). ومع ذلك وبما اننا أصبحنا ندرك أن حب السلام Peace-Loving هو فى ذاته شكل من أشكال الايمان، فإن جهدى القادم فى

^(١) ولعل العالم بأكمله لم ينس مذابح الهجانا والمنظمات الصهيونية وقتل وترويع سكان الاراضى الفلسطينية

الذين اجبروا على النجاة بارواحهم (فتحى حجازى).

^(٢) فى هذا الحديث مبالغة. (المترجم)

دراسة العلاقات اليهودية العربية سوف يتجاوز التصور السلبي بأن "الانقسامات العرقية سوف تظل باقية في المستقبل وأنها بشير شر على استقرار النظام السياسي الاسرائيلي على المدى البعيد، وبالتالي على كفاءة اسرائيل في التعامل بفاعلية مع جيرانها العرب"⁽²⁴⁾ ويعبر R.Bar Yosef عن مخاوفه الكبيرة قائلاً: يمكن ان تتحول المجموعات العرقية إلى مجموعات ضغط بحيث يصبح "الكنيست ساحة لمعارك الاقليات القومية في غياب رؤية سياسية أخرى بعيدة عن مجرد المحافظة على مصالحها العرقية الخاصة ورعايتها". وهذه الآراء تثير السؤال التالي: إلى أين سوف يقودنا كل ذلك إذا تأملنا العلاقات اليهودية النصرانية العربية الاسلامية بأمريكا؟

رابعاً: فرصة جديدة لأخوة يهودية عربية بالولايات المتحدة الامريكية.

يبدو لي أن بعض الظواهر الاجتماعية التي لاحظها Alexis de Tocqueville لازالت قابلة للتحديد مع أحدث موجات للمهاجرين. فإن أمريكا التي تخيلها Walt Whitman رأها وقد تسامت منزلتها القارية لتصل إلى الحجم الدولي الحقيقي. وتبدو الدعوة العابرة للوطنية والعابرة للاديان والعابرة للعرقية والصادرة من "أرض الفرص Land of Opportunity" كأنها هدية ربانية للجنس البشري لا ليعيشوا حياة سعيدة دائمة فحسب وإنما أيضاً لاستخدام هذه الأرض في المصالحة وتسوية الخلافات Reconciliation . فكم من الخصوم والأعداء السابقين قد وجدوا أنفسهم في أمريكا وجها لوجه: ألماناً وفرنسيين، يونانيين وأتراكاً ... الخ ورغم أن اليهود منتشرون في عدد من أقوى وأقدم الجماعات - فإن تباينهم ينعكس في تباين المهاجرين الأوروبيين (من المحيط الاطلنطي إلى الأورال). أما بالنسبة للعرب فإن وجودهم بأمريكا بدأ بالعرب النصاري، مما يفسر سبب تأخر ظهور ثقافة العرب

المسلمين وديانتهم بشمال امريكا. ولكن الطفل kid الحقيقي الجديد على الساحة هو جماعة اليهود العرب Sephandim التي تعتبر "أقلية داخل أقلية"⁽²⁵⁾ وهذا يمثل سبباً اضافياً لليهود والعرب (نصارى ومسلمين) لكي يعملوا معاً لاجياء التعايش الأخرى الماضى بين الاديان وبين الثقافات. واذا كان حقا ان حكومة الولايات المتحدة هي القناة الدبلوماسية الوحيدة لتحقيق السلام العربى الاسرائيلى الفلسطينى، فائنى لا استطيع أن أتصور أى أناس يهودا أم عربا لديهم العزم والتصميم ولا يلتزمون بعلاقات اخوية بين جماعاتهم. ان الغالبية الدائمة لمثل هذه العلاقات ينبغي أن تكون العمل من أجل تحقيق السلام بالشرق الاوسط، وايضا السلام بين اليهود والنصارى والمسلمين حيثما كانوا.

مراجع البحث:

- (1) السلفية هي حركة من خلال جريدتها " المنار" ترى اعادة تحقيق المبادئ التقليدية من اجل الاصلاح الاسلامى السياسى والتشريعى والفكرى. انظر Voices of Resurgent Islam للناسر J. Esposito (اكسفورد ١٩٨٣) ص ٦.
- (2) على مراد "الاسلام فى أفق عام ٢٠٠٠ (القرن الخامس عشر الهجرى) L'islam A L'Horizon 2000 بجريدة العالم الثالث المجلد ٢٣ رقم ٩٢ (اكتوبر ديسمبر ١٩٨٢) ص ٧٥٨.
- (3) عبد الوهاب حشيش (الدراسات العربية والاسلامية والبحر المتوسطية ومتعددة الثقافات بالولايات المتحدة" بالدراسات الدولية تونس ربيع ١٩٨٨
(Les Etudes Arabes, Islamiques, Me'diterrane'ennes et inter-culturelles aux Etats-unis) in Etudes Internationales
- (4) "برنارد لويس" (يهود البلاد الاسلامية The Jews of Islam) (برنستون: مطابع جامعة برنستون ١٩٨٤) ص ١٢.
- (5) "برنارد لويس" التراث اليهودى الاسلامى The Judaeo-Islamic Tradition فى "يهود البلاد الاسلامية" ٦٧. اعتقد أن هذه الكلمات هي أول ما كتبه S.D. Goitein الذى نال اعتبارا كبيرا بالمذكرة ٢ فصل ٢ ص ٢٠٣.
- (6) على مراد "الرسالة الأصلية Le Message Originel" فى "الإسلام فى أفق عام ٢٠٠٠" ص ٧٦٢.

- (7) السيمانار الذى عقد مع "أقليات المسلمين بالشرق الاوسط وبالالاتحاد السوفيتى" تحت الادارة المشتركة لـ Drs. E. Naby & R. Frye . ورغم ان مشروع بحثى كان يركز على البربر، فقد عكفت على الشروع فى دراسة مبدئية حول يهود شمال افريقيا بسبب سبق نسبتهم إلى العرب، وسبق وجودهم بالمغرب قبل الإسلام.
- (8) وليد خالدي "التفكير فيما لا يمكن التفكير فيه: دولة فلسطينية" فى الثنتون الخارجية Foreign Affairs "Thiking the Unthinkable: Apalestinian state" (يوليو ١٩٧٨) ص ٦٩٥-٧١٣.
- (9) ماريون وولفسن "أنبياء بابل: اليهود فى العالم العربى (فابر ١٩٨٠) ص ٣٩ "Prophets in Babylon: Jews in the Arab World"
- (10) اندريه شوراكى "انفجار مدينة" فى "يهود شمال افريقيا" ص ٣٥٤-٣٦٠ "L'Eclatement d'une Cite" in "Les Juifs d'Afrique du Nord"
- (11) انيس بنسيمان Agnes Bensiman "حسن الثاين واليهود" "Hassan II et Les Juifs" (Editions Du Seuil (Paris 1991) ص ٢٣.
- (12) شوراكى ص ٣٥٦
- (13) شكراً لمؤتمر مجلة المغرب Magberb Review عن الاسلام فى المغرب، الذى عقد بجامعة كمبودج فى منتصف الثمانينات عندما نظمت المكتبة Library معرضاً خاصاً عن النصوص العربية فى اسلام القرون الوسطى. لقد كانت أول مرة لى أن يكون لى الامتياز المحرك للمشاعر برؤية بعض اعمال موسى بن ميمون، وبعض روشات لأطباء يهود بالاسكندرية أو القاهرة.
- (14) "إيليه ويسل" Elie Wiesel خطبة القبول Acceptance Speech لجائزة نوبل للسلام عام ١٩٨٦ أوصلو.
- (15) "شارل هوفمان" "كيف يشعر يهود العرب نحو العرب"
- ١٢ نوفمبر ١٩٨٦ "How Sephardim Feel About Arabs" The Jerusalem Post
- (16) كمال كربات "العرقية العثمانية والتراث العقيدى بالشرق الاوسط" The Ottoman Ethnic and Confessional Legacy in the Middle East in (Ethnicity, Pluralism and the state in the middle East) فى (العرقية والتعددية والدولة بالشرق الاوسط) الناشر ed. Milton J.Esman and Itamar Rabinovich (مطابع جامعة كورنل ١٩٨٨).

- (17) "ألن كويل" (اليهود العرب يحتفلون بـ ٥٠٠ عام طيب
 "Sephardim Celebrate 500 Good Years"
 نيويورك تايمز الدولية - ١٤ سبتمبر ١٩٩٢ ص ٤٨ .
- (18) "ر.د. مكلورين" "الاقليات والسياسة في الشرق الاوسط: مقدمة في" الدور السياسى
 لجماعات الاقليات في الشرق الاوسط" نشر "ر.د.مكلورين" (نيويورك: Praeger ١٩٧٩)
 ص ٤٠ .
- Minorities and Politics in the Middle East: An Introduction in The Political
 Role of Minority Groups in the Middle East.
- (19) انظر هامش ١٦
- (20) نفس المرجع
- (21) N. Glazier 7 P.D. Moynihan فى (وراء بوتقة الانصهار: الزنوج وسكان بورتوريكو
 واليهود والايطاليون والابرلنديون بنيويورك.
 Beyond The Melting Pot: The Negroes, Puerto-Ricans, Jews, Italians and
 Irish of New York (كمبردج: مطبعة Mit ١٩٧٠).
- (22) H.z. Hirsbergg "من العصور القديمة حتى القرن السادس عشر" فى (تاريخ يهود شمال
 افريقيا) المجلد الأول (لندن : .. ج بريل ١٩٨١)
- "From Antiquity to the Sixteenth Century" in "A History of the Jews in North
 Africa".
- (23) تقارن جداول Eisenstadt عن (بيانات العرقية الديمغرافية)
 Ethnic-Demographic Data مع كتاب (الناخبون المهاجرون باسرائيل) تأليف Shlomo
 Deshen ص ٦٥-٦٦ .
- (24) Lee E.Dutter فى (اليهود الشرقيون والغربيون - الانقسامات العرقية بالمجتمع
 الاسرائيلى، بجريدة الشرق الاوسط (صيف ١٩٧٧) ص ٤٥١. مؤلفات هذا الكاتب غنية بالمراجع
 عن العرقية.
- (25) أولى "ابراهيم د. لافندر" عناية جادة للاهمية الديمغرافية والثقافية لليهود الامريكان الجدد
 الذين من أصل عربى بدراسة "محاولاتهم للحياة العرقية" Attempts at ethnic revival
 وامكانية "المكاسب الاجتماعية من دراسة اليهود العرب" Sociological benefits from the
 study of the sephardim وأيضاً "الحياة الجديدة لليهود العرب بالولايات المتحدة: حالة للحياة
 العرقية الجديدة فى أقلية داخل أقلية" بجريدة الدراسات العرقية ١٩٧٥ (٣) ص ٢١-٣١

The Sephardic Revival in the United States: A case of Ethnic Revival in a minority-Within a Minority.

• • •

البرامج العملية

اشتمل الكتاب على ٨ برامج عملية. بيّناها كالآتي:

البرنامج رقم ١: تمهيد .. الرحلة بدأت

البرنامج رقم ٢: ابراهيم (عليه السلام) اجداد مشتركون ونصوص مقدسة

البرنامج رقم ٣: الاعياد: عام في حياة المسلمين واليهود

البرنامج رقم ٤: دورة الحياة: ايقاع حياتنا الدينية

البرنامج رقم ٥: زيارة مسجد

البرنامج رقم ٦: زيارة معبد يهودى

البرنامج رقم ٧: الحفاوة المنزلية: مواجهة ماضينا وبناء مستقبلنا

البرنامج رقم ٨: ختام: نحو رحلات مقبلة

اكتفينا بترجمة البرنامج الأول فقط كنموذج لجلسات الحوار التى يمكن ان تعقد خارج الولايات المتحدة. حيث انه قد يتحتم اختيار موضوعات لهذه الجلسات تختلف عن الموضوعات المقترحة بالكتاب.

(المترجم)

البرنامج رقم ١

مدخل: الرحلة تبدأ

نظرة فاحصة:

هذا البرنامج مخصص لتقديم المشتركين بعضهم لبعض، وتنظيم الحوار المكون من ثماني جلسات. والبرنامج يتحرك من الواقع إلى النظرى إلى الشخصى، مبتدئاً بدراسة بعض الأفكار الخاصة بالحوار بين الاديان على هدى هذا المشروع، وينتهى بمشاركة المشتركين فى تجارب وافكار بعضهم البعض. وفى قلب هذا البرنامج صورة الحوار كأنه رحلة. وفى منتصف الرحلة من خلال طرق منفصلة، يتيح الحوار بين اليهود والمسلمين الفرصة للأفراد المسلمين واليهود ان يتقابلوا وان تنشأ بينهم العلاقات المتبادلة، وان يتشجعوا كُتُماً من اجل مشوار حيوى مشحون بالتربية والاثراء والتكافل.

الخطوط التمهيدية:

- أولاً - الترحيب: المقدمة والنظرة العامة
- ثانياً - نظرات ثاقبة ترشد إلى طريقنا: أفكار عن الحوار بين الاديان
- ثالثاً - تخطيط رحلاتنا: ما نحن؟ وما الذى أتى بنا إلى هنا؟
- رابعاً - النظر إلى الأمام: اعداد البرنامج رقم ٢
- خامساً - تقديمنا للرحلة

الإجراءات:

- أولاً: الترحيب: المقدمة والنظرة العامة
- ١ - الترحيب بالمشاركين.
- ٢ - تقديم القائمين على التنظيم Facilitators
- ٣ - توزيع جدول يوضح موضوعات الحديث والتاريخ ومكان كل جلسة ويعطى نظرة فاحصة عن الحوار.

ثانياً: نظرات ثاقبة ترشد إلى طريقنا: افكار عن الحوار بين الأديان.

ملاحظات تمهيدية: هذا القسم من البرنامج ينشد اطلاع المشتركين على المبادئ الأساسية التي تربط حوار الثمانى جلسات. فضلاً عن ان الاقتباسات Quotations موضوعة من اجل تنشيط حوار اوسع حول امكانيات الحوار بين الاديان، وان تتيح للمشاركين ان يعبروا عن توقعاتهم وعن متعتهم فى الدخول فى الحوار بين اليهود والمسلمين. إن تصميم نموذج "حو الحوار On Dialogue" ينبغى ان يشتمل على حيز للقائمين على التنظيم Facilitators لتكملة كشف البيانات بإضافة مقتبسات من مصادر أخرى أو بإضافة العبارات التي يريدون.

١ - توزيع نموذج "حو الحوار"، وتقديم هذا الجزء من البرنامج.

٢ - فرداً فرداً، يقرأ ويناقش المقتبسات (النموذج بما عليه من تأشيريات وتعليقات سوف يلقى الضوء كمرشد على عدة نقاط مأخوذة من المقتبسات). سلسلة الاسئلة المقترحة عن كل حالة:

أ - كيف يمكنك اعادة صياغة هذا الموضوع بكلمات من عندك؟

ب - ما هى الطرق التي يمكن لهذه الفكرة ان تشكل بها بناء أو مضمون

الحوار بين الاديان؟

٣ - ركب المقتبسات والتعليقات

أ - التفكير حول توقعاتك الشخصية ومتعتك الذاتية للدخول فى حوار بين

اليهود والمسلمين، وما هى الحالة التي يمكنك اضافتها الى هذا الكشف؟

ثالثاً: التخطيط لرحلاتنا: ما نحن؟ وما الذى أتى بنا إلى هنا؟

ملاحظة تمهيدية: هذا الجزء الثالث من البرنامج يتيح الفرصة للمشاركين لى يقدموا انفسهم، ولكى يذكروا نبذة عن جذورهم الشخصية. ثم يعطى المشاركون خريطة، ويطلب منهم ان يرسموا الطريق الذى اوصلهم إلى اشتراكهم الحالى فى الحوار بين اليهود والمسلمين. وفى الوقت الذى يقوم فيه المشاركون بوصف

رحلاتهم الشخصية، سوف يبدأون - مما يبشر بالنجاح - فى إدراك بعض من التجارب المشتركة والقيم المشتركة التى يتقاسمها المسلمون الامريكان واليهود الامريكان.

١. وزع خرائط وأقلام

٢. اطلب من المشتركين أن يرسموا الطريق الذى جاء بهم إلى الدخول الحالى فى الحوار بين اليهود والمسلمين.

أ. هذا النشاط مفتوح عن عمد، لكى يسمح للمشاركين بتفسير المشروع بما يتفق مع جنورهم ومصالحهم. فمثلا البعض قد يرسم حركته البدنية من مدينة إلى مدينة، بينما آخرون يمكنهم ان يخطوا نقاطاً هامة لنموهم الدينى، أو ان يوضحوا حياتهم بطرق أخرى.

٣. بعد انتهاء المشتركين، اطلب منهم أن يقدموا أنفسهم، وان يوضحوا باختصار ما دونوه على خرائطهم.

رابعاً: النظر إلى الأمام: اعداد البرنامج رقم ٢

١. لاعداد الجلسة التالية، اطلب من المشتركين أن يقرءوا مقال روفن فايرستون "ابراهيم .. أهو اليهودى الأول أم المسلم الأول ؟". نص وتراث و"حقيقة فى الحوار بين الأديان".

خامساً: تقديس الرحلة

ملاحظة تمهيدية: كما سبق أن اوضحنا، يجمع الحوار بين اليهود والمسلمين على طريق مشترك للاكتشاف، والفهم، والصدقة. ويختتم الحوار بتقديس

هذه الرحلة عن طريق الدعاء Prayer

١. المسلم يقرأ "دعاء اسلاميا عن السفر"

٢. اليهودى يقرأ "دعاء يهوديا عن السفر"

٣. الملاحظات الختامية للقائمين على التنظيم Facilitators.

الأدوات:

١. سوف يحتاج المشاركون إلى صورة من كل نموذج:
 - أ. نظرة فاحصة للحوار (جدول يوضح الموضوع، والتاريخ، ومكان الجلسة القادمة).
 - ب. "نحو الحوار" (أضف مقتبسات أو جمل على النموذج حسب الرغبة)
 - ج. التخطيط لرحلاتنا.
 - د. تقديس رحلة الحوار
٢. أقلام ملونة
٣. بطاقات للاسماء Tags

نحو الحوار On Dialogue (رواية مزودة بملاحظات Annotated Version)

١. ما مدى صحة القول بأن الشخص يفهم عقيدة ما بالتعرف على معتققيها أكثر مما يفهمها من قراءته للباحثين النظريين لتلك العقيدة؟
- تعليق البرنامج:

هذا البرنامج يساعدنا على أن نفهم أن اليهود والمسلمين يمكنهم أن يتعرفوا على الاسلام وعلى اليهودية عن طريق الحوار، افضل من مجرد قراءتهم للكتب أو استماعهم إلى محاضرات عن "عقائد الاسلام" أو عن "الممارسات الدينية في اليهودية". إذ لدينا الكثير الذي يعلمه بعضنا لبعض عن تراثنا الدينية عن طريق التحدث عن حياتنا الدينية. ومع إدراك كل منا أننا لسنا ممثلين رسميين لتراثات أدياننا في كمالها، وإنما نحن مجرد أفراد نعبّر عن هويتنا الدينية بطرقنا الخاصة. فإن التراث - الذي قد يبدو في ظاهره تجريدياً أو بعيداً - يمكن أن يصبح نابضاً بالحياة من خلال طريقة التفاهم الشخصية.

المرجع:

"أوجين ب. بورويتش": "نحو حوار عقيدى مع النصارى"
"On Theological Dialogue with christians"
"Exploring Jewish Ethics" استكشاف الأخلاق اليهودية"
(Detroit: Wayne state University press, 1990), 394.

٢. ربما يكون أهم درس وعينه من الحوار بين الأفراد وبين الأديان فى السنوات الأخيرة، هو أنه ينبغى علينا أن نبذل جهداً حاسماً لكى نتعرف على الناس كما هم، لا كما كنا نتمنى أن يكونوا، لأى سبب من الأسباب.
تعليق البرنامج:

هذا الاستشهاد بحثنا على أن ننحى جانباً القوالب الفكرية Stereotypes، وأن ينظر كل منا للآخر من خلال عدسة غير مصبوغة بقوالب فكرية أو توقعات معينة. وإذا كان الحوار حقاً ذا معنى وذا قدرة على إحداث التغيير، فإنه ينبغى علينا أن نثبت قدرتنا على الانصات الجيد، وأن نؤكد انفتاحنا بأن نترك غيرنا يثيرون دهشتنا، وأن يتحدثوا، وأن يعلمونا.
المرجع:

"أوجين ب. بورويتش" فى كتاب "الدراسات اللاهوتية الحديثة لشخص المسيح وعمله" (new york: Eugene B. Borowitz, contemporary christologies Paulist press, 1980), 7.
٣. الخطوة الأولى لفهم أى شئ غريب عنك، هو اكتشاف بعض عناصر مشتركة تتقاسمها أنت مع الآخرين.

تعليق البرنامج:

هذا التعليق يركز على أهمية البدء فى الحوار بموضوعات تشجع على التفاهم وإيجاد الحساسية Sensitivity
المرجع:

"جاي كيني" فى "الاسلام باعتباره غير"

Jay Kinney. "Islam as Other" (chicago The Institute of Islamic Information and Education)

٤. بالمواجهة المباشرة فقط لنقاط اختلافنا الشديد، هل يمكن ان يتوصل بعضنا لمعرفة بعض معرفة حقيقية. اننا كما نحن، بفضل اختلاف بعضنا عن بعض كما هو بفضل تشابهنا مع بعضنا البعض. وعلى الرغم مما يبدو في هذا من تناقض، فاننى لا أعتقد اننا نفهم ديننا فهماً جيداً، ما لم نر ديننا في اختلافه المتميز عن عقائد البشر الأخرى.

تعليق البرنامج:

هذا القول يتجاوز الاستشهاد السابق، ويذكرنا بأن الحوار بين الأديان ليس فقط أسلوباً للتعرف على أوجه التشابه وتمجيدها، وإنما أيضاً لمواجهة أوجه الاختلاف والتصارع معها. وعلى الرغم من أن التجارب والقيم المشتركة توفر أساساً لبناء الزمالة والتفاهم، فإنه ينبغي أن نكون راغبين في التحرك لما وراء تفاصيل مجالات التشابه commonalities ، وأن يكون لدينا القدرة على الاضطلاع بأصعب واجباتنا ألا وهو التعامل مع اختلافاتنا. وبهذا سوف يزداد تفهمنا للتراثات الدينية الأخرى ولتراثنا أيضاً.

المرجع:

"أوجين ب. برويتش" في كتاب "الدراسات اللاهوتية الحديثة لشخص

المسيح وعمله" Eugene B Borowitz, Contemporary christologies (New York: Paulist press, 1980) , 20.

٥. "الحساسية والاتصال المتبادلان ينموان بدافع من الحاجة المشتركة لأن نفهم ولأن نكون مفهومين"

تعليق البرنامج:

هذا القول يلقي ضوءاً شديداً على أهم عناصر الحوار بين الأديان: وهى الحساسية نحو معتقدات والممارسات غير الدينية، والانفتاح لمقاسمة العقيدة

الشخصية للغير، والقدرة على الانصات للغير باحترام، والاقرار بكمال وربانية عقيدتهم.

المرجع:

"مايكل أ. سجنر" فى "الطوائف والعالمية: من النظرية إلى التطبيق فى الدراسات اليهودية النصرانية" فى "عندما يلتقى اليهود والنصارى"

Michael A. Signer, "communitas et univeritas: From theory to practice in Judaeo-christian studies" in "when Jews and christians meet", ed. Jakob j. petuchowski (new york: state university of new york press), 74.

تقديس الرحلة:

دعاء اسلامى بمناسبة السفر

"باسم الله مجريها ومرساها، إن ربى لغفور رحيم" وعندما تجلس هكذا، عليك ان تتذكر فضل الله عليك وتقول: "سبحان الذى سخر لنا هذا" وانه ليس لدينا القدرة على العمل إلا بعون الله "وإنا إلى ربنا لمنقلبون" الله انت الصاحب فى السفر، والخليفة فى الأهل والأولاد والأموال اللهم إني اعوذ بك من الشيطان، ومن كل صعوبات تقابلنى فى سفرى^(١) اللهم إني أسألك السلامة فى نفسى، وفى اهلى أثناء غيابى. آمين

دعاء يهودى بمناسبة السفر Tefillat Ha. derech

لتكن ارادتك

خالد إلهنا واله اجدادنا

ان تهدينا بسلام، وتعيننا فى سلام

ان تقودنا إلى مكان مقصدنا فى صحة وسرور

^(١) الدعاء المأثور: " ... اللهم إني اعوذ بك من وعشاء السفر وسوء المنقلب وكآبة المنظر فى المال والأهل والولد "

وان تعيدنا إلى ديارنا في سلام
نحنا من كل عدو أو دمار في الطريق
ومن أي فاجعة تهدد العالم
واجعل البركة في عمل أيدينا،
بحيث يمكننا ان نجد الرحمة والحب والصحة
في نظرك وفي نظر كل من يرانا
استمع لطلباتنا لأنك انت الاله الذي يسمع الدعوات والطلبات.
كم انت مجيد، انت الذي تسمع الدعاء

المراجع^(١)

- Denny, frederick M. "Islam" -san francisco: Harper and Row publishers 1987.
- "اسلام" وهذا الكتاب يقدم مدخلا أساسيا للتراث الاسلامي وللجماعة المسلمة على مستوى العالم.
- Firestone, Reuven "Journey in Holy lands", The evolution of the Abraham-Ishmael legends in Islamic Exegesis. Albany: state university of new york press 1990.
- 'رحلة في الأراضي المقدسة - تطور سيرة ابراهيم واسماعيل في التفسير الاسلامي". هذا الكتاب يعرض عددا من الروايات الاسلامية حول ابراهيم من القرآن ومن التفسير المتأخرة. ولقد تم دراسة هذه السير على ضوء الروايات اليهودية والنصرانية والتي كانت معروفة بالجزيرة العربية قبل الإسلام.

^(١) يجب اضافة مراجع اسلامية من مصادر اسلامية صرفة ليتم التوازن مع هذه المراجع. حيث الملاحظ ان المراجع الموصى بها في الموضوعات الاسلامية هي من تأليف كتاب غربيين أو يهود. والواجب ان تذكر ايضا مراجع اسلامية لكتاب مسلمين حيث تتوفر الدقة في الفهم والعرض. وحتى لا يظل المشترك في الحوار داخل دائرة ثقافية ذات صبغة واحدة - ونظرة إلى مراجع كتاب: الاسلام كبديل (د. مراد هوفمان) توضح مدى ثراء المكتبة الغربية بالكتب الاسلامية باقلام مسلمين اوربيين وغيرهم وبلغات متعددة.

- Haddad, Yvonne Yazbeck ed. The Muslims of America, New York, Oxford university press, 1991.
- "مسلمو أمريكا". هذا الكتاب يجمع بحوثاً لعلماء مسلمين في تاريخ، وتحديات، واجابات الطائفة المسلمة بالولايات المتحدة وكندا.
- Haddad, Yvonne Yazbeck and Adair T. Lummis "Islamic Values in the United states", New York: Oxford university press 1987.
- "قيم اسلامية بالولايات المتحدة" هذه الدراسة الاجتماعية للمهاجرين المسلمين بأمريكا ونزرياتهم، تقدم ثروة من المعلومات وتوضيحات حول الطائفة الاسلامية بأمريكا.
- Kertzer, Morris N. "What is a Jew?" Revised by Lawrence A. Hoffoman. New York, Macmillian 1993.
- هذا الكتاب روجع حديثاً، ويعتبر مدخلاً ممتازاً إلى الفكر اليهودي والحياة اليهودية.
- Lewis, Bernard. "The Jews of Islam", Princeton: princeton university press, 1984.
- "يهود البلاد الاسلامية" حاول المؤلف ان "يبحث في منشأ وازدهار ونهاية التراث اليهودي الاسلامي. وان يضع هذه المناهج مقابل خلفية التعاليم اليهودية والاسلامية.⁽¹¹⁾
- Strassfeld, Michael "The Jewish Holidays: A Guide and commentary", New york: Harper and Row, Publishers 1985.
- "اعياد اليهود - مرشد وتعليقات" هذا الكتاب يضيف دراسة شاملة لتاريخ واعراف اعياد اليهود مع تعليقات من علماء معاصرين.
- Stillman, Norman A. "The Jews of Arab Lands: A History and Source Book". Philadilphia: The Jewish Publication Society, 1979."
- "يهود الاراضي العربية - كتاب تاريخ ومراجع" عن طريق تحليل تاريخي ووثائق لمراجع اساسية، يستكشف هذا الكتاب الطوائف اليهودية في العالم الاسلامي منذ عهد محمد صلى الله عليه وسلم حتى القرن التاسع عشر.
- Syme, Daniel B. "The Jewish Home: A Guide for Jewish Living" New York, "UAHC Press, 1988.
- دار اليهود - مرشد في الحياة اليهودية" هذا الكتاب توضيح ميسر عن طقوس وممارسات الأعياد، ودورة الحياة والاحتفالات المنزلية.

رقم الإيداع

٩٥ / ٧٩٦١

I. S. B. N.

977 - 253 - 076 - 7

هذا الكتاب

- نشره الاتحاد الجمعيات اليهودية UAHC بنيويورك عام ١٩٩٣ ويتكون من قسمين أحدهما نظري يشتمل علي سبعة مقالات منها خمسة بأقلام كتاب يهود ومقال لكاتب مسيحي ومقال لكاتب مسلم والقسم العملي به ثمانية برامج عملية للحوار (اكتفينا بترجمة البرنامج الأول كنموذج) .
- ولقد تضافرت جهود شخصيات هامة تنتسب إلي الأديان الثلاثة لإعداد الدراسات والبرامج اللازمة قبل إصدار الكتاب (مشار إليهم في « التنويه ») فضلاً عن دعم رابطة العالم الإسلامي ومقرها الرئيسي بمكة المكرمة - لهذه الجهود .
- ولما كان نشر السلام وتوثيق الروابط بين الناس ودعم التسامح وحرية العقيدة **هو لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي** ﴿ البقرة ٢٥٦ ﴾ من الأهداف العليا التي يسعى الإسلام لتحقيقها فقد اهتم الأستاذ / فتحي محمد حجازي - أحد العاملين بحقل الدعوة الإسلامية لغير المسلمين بأمريكا - بهذا الكتاب وموضوعه وسعى لترجمته للغة العربية ، وحصل علي موافقة الناشر علي الترجمة والنشر ، كما قام بالتقديم للكتاب .
- ولقد اضطلع بمهمة الترجمة الأستاذ/ محمد عبد العظيم علي ، الذي سبق له ترجمة عدة كتب ، كما قام الداعية الإسلامي الكبير الأستاذ / أحمد علي الكردي بالتعليق علي الكتاب من وجهة نظر الإسلام وإيضاح أن الإسلام لا يرفض الحوار بل يدعو إليه بشرط أن يستهدف حقائق ينتفع بها الناس ويهتدي بها أهل الأديان ، ويتبعد بهم عن التعصب والعرقية والمذهبية ، وساهم آخرون بالتعليق ومنهم المترجم .
- ولقد اقتضي استكمال أبحاث الكتاب إضافة مقدمات ذات قيمة علمية عظيمة في أول الكتاب اختتمت بكلمة الأزهر الشريف في مؤتمر الأديان العالمي بباريس .
والله الموفق ...